الدوحة

مجلة قطرية ثقافية جامعة

ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية



الأزهر
عقبات في طريق تطويره — د. محمد البهي

على جناح الوهم — صلاح عبد الصبور

مهرجان الأندلس — كمال شعث

الأفلاك.. هل تتحكم في حياتك؟





د. يوسف القرضاوي

الرسـول



- العلم في الإسلام يشمل مجالات تقصر عن الدلالة عليها كلمة "العلم" بمفهومها الغربي
- كان النبي (ص) أول من شجع التعلم وعمل على إشاعة الكتابة ومحو الأمية بين أصحابه
- الإسلام لم يمنع من تعلم لغات الآخرين، بل دعا إليها وسيلة للتقدم في العالم

العلم الذي دعا إليه الإسلام، وحث عليه القرآن والسنة، هو كل معرفة مستندة إلى استدلال.. ولهذا لا يعد علماء المسلمين التقليد علما، لأنه اتباع لقول الغير بلا حجة.

وعلى هذا يشمل العلم في الإسلام مجالات عدة تقصر عن الدلالة عليها كلمة «العلم» بمفهومها الغربي الحديث.

فيشمل العلم مجال «ما وراء الطبيعة» مما جاء به الوحي، فكشف به عن حقائق الوجود الكبرى، وأجاب به عن الأسئلة الخالدة التي حيرت الإنسان منذ فكر وتفلسف وهي: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟

وبالجواب عن هذه الأسئلة عرف الإنسان مبدأه ومصيره ورسالته، عرف نفسه وعرف ربه والعالم الذي حوله.

وهذا أولى ما يطلق عليه لفظ «العلم» بل هو كما يسميه ابن عبدالبر «العلم الأعلى». ويشمل العلم مجال «الإنسان» وما يتعلق به من دراسات تبحث عن جوانب حياته وعلاقاته المختلفة والروحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وغير ذلك مما تهتم به العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ويشمل العلم مجال «الماديات» المتمثلة في الكون علوية وسفلية، وهي تتضمن علوم الطبيعة والكيمياء والأحياء والفلك والطب والهندسة وغيرها، مما يقوم على الملاحظة والتجربة.

وهذا المعنى أو هذا المجال، هو الذي يقف عنده الغربيون اليوم، لا يتجاوزونه إذا تحدثوا عن «العلم».. لأنه وحده الذي يخضع للاختبار والقياس، ويحكم فيه الحس والتجربة [illegible]

وأقول: إن الإسلام يعترف بهذا النوع من «العلم» الذي تعتبر المادة موضوعا له، ولا يجده مقابلا للإيمان، أو مضادا له، كما تصورت ذلك أديان أخرى في مراحل تاريخية معينة.

بل أقول بكل صراحة واعتزاز: إن القرآن والسنة قد هيآ - بمفاهيمهما - المناخ النفسي والعقلي الذي ينبت فيه هذا العلم، بحيث ترسخ أصوله، وتمتد فروعه، ويؤتي أكله بإذن ربه. ومن هنا التعقيب: تكوين العقلية العلمية.

فهناك عقلية عامة أو خرافية تصدق كل ما يقال لها، وتقبل كل ما يلقى إليها، وخصوصا إذا جاء ممن تعظمه من الآباء والكبراء، وتتقلد ما عليه جمهور الناس صوابا كان أو خطأ، لا تمتحن أفكارها، ولا تخضع معلوماتها لمناقشة أو اختبار تفكيرها: «هذا ما وجدنا عليه آباءنا» أو «نحن مع الناس، إن أحسنوا أو أساءوا».

وفي مقابل هذا اللون توجد العقلية العلمية الموضوعية، التي لا تقبل نتائج بغير مقدمات ولا تخضع إلا للحجة والبرهان، ولا تحكم العواطف والظنون في مقام يطالب فيه اليقين المجرد والعلم المحقق. وقد وضح القرآن والسنة المعالم الأساسية التي تقوم عليها هذه العقلية العلمية. ونستطيع أن نوجزها في الإشارات التالية:

(أولا): ألا يقبل دعوى بغير دليل مهما يكن قائلها. والدليل هو البرهان النظري في العقليات: «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»، والمشاهدة أو التجربة في الحسيات: «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، أشهدوا خلقهم؟» وصحة الرواية وتوثيقها في النقليات: «ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين».

(ثانيا): رفض الظن في كل موضوع يطلب فيه اليقين الجازم والعلم الوثيق، ولذا ندد القرآن بزعم المشركين في آلهتهم بقوله: «وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا».

ورد مزاعم اليهود والنصارى في صلب المسيح فقال: «ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقينا».

وجاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».

(ثالثا): رفض العواطف والأهواء والاعتبارات الشخصية حيث يطلب الحياد والموضوعية، وحيث يكون التعامل مع طبائع الأشياء وقوانين حيث يطلب الحياد والموضوعية، وحيث يكون التعامل مع طبائع الأشياء وقوانين الوجود. لذا كان مما عابه القرآن على المشركين: «إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس». وقال في خطاب داود: «فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله». وفي خطاب الرسول (ص): «فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون



القواعد، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله».

(رابعاً): التمرد على الجمود والتقليد والتبعية الفكرية للآخرين، سواء كانوا من الآباء والأجداد، أو من السادة والكبراء، أم من العامة والجماهير. وفي القرآن إنكار شديد على الذين يقولون: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون. وفي القرآن كذلك نعي شديد على موقف الأتباع الذين أطاعوا سادتهم وكبراءهم فأضلوهم السبيل، وبيان تبرؤهم يوم القيامة، وتحميل الفريقين تبعة مأثم فيه من ضلال قال: لكل ضعف ولكن لا تعلمون. وفي الحديث أيضاً تحذير من اتباع الجمهور وإن كانوا على خطأ، وإدانة لعقلية من يرضى لنفسه أن يكون تابعاً وإن خلقه الله سيداً «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس، إن أحسنوا أحسنت، وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا ألا تظلموا» رواه الترمذي. وهذا الموقف الأخلاقي الذي يتميز بالاستقلال الشخصية في السلوك، يدعو إليه الله في الفكر أيضاً.

(خامساً): الاهتمام بالنظر والتفكير والتأمل في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء، وفي الإنسان نفسه فهو عالم وحده، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، وفي سير التاريخ البشري ومصاير الأمم وسنن الله في الاجتماع الإنساني، قد خلت من قبلكم سنن، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين.

ومن هذه المفاهيم التي [illegible] حقول الظلام الفكري [illegible] الأمية. ويبدو حرص النبي (ص) على محاربة الأمية التي كانت منتشرة بين العرب حتى كانوا يعرفون بين الأمم بـ «الأميين». وهكذا سماهم القرآن: هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم... وقال عليه الصلاة والسلام معبراً عن الواقع القائم حينذاك: «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب».

والرائع هنا أن هذا النبي الأمي في هذه الأمة الأمية، كان أول من تحدث عن القلم، وعمل على إشاعة الكتابة، ومحو الأمية بين أتباعه، بكل سبيل.

ولا غرو، فأول آية أنزلت عليه من ربه تضمنت التنويه بالقراءة والقلم والتعليم: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم». وثاني سورة نزلت عليه من القرآن العظيم سميت «القلم»، وفي مطلعها أقسم الله بهذه الأداة الصغيرة في حجمها، الكبيرة في أثرها «القلم»: «ن والقلم وما يسطرون». وحينما أتيحت للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرصة لتعليم بعض المسلمين الكتابة لم يدعها تفوت دون أن يستفيد منها وذلك في غزوة بدر، حيث كان بعض أسرى قريش ممن يعرفون الكتابة، فجعل فداء الواحد منهم من أسره أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين الكتابة. وذكر ابن سعد في طبقاته عن عامر الشعبي قال: أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين أسيرا، وكان يفادي بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم، فإذا حذقوا فهو فداؤه.

وذكر أن زيد بن ثابت ـ أحد كتاب الوحي ـ كان ممن علمه أسرى قريش، ومعنى هذا أن حملة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن قاصرة على محو الخط كما يقولون بل لابد من درجة التحقق والإتقان، حتى لا ينسى ويرتد إلى الأمية من جديد.

ولم يمنع النبي صلى الله عليه وسلم اختلاف الدين أن يأخذ من المشركين خير ما عندهم، ولا سيما أن مثل تعلم الكتابة لا يحمل ـ في الحصيلة ـ فكرا ولا ثقافة، ولا يبالون بقول المعلم.

ولم يقف حث النبي صلى الله عليه وسلم على تعلم الكتابة عند الرجال فقط بل شمل النساء أيضاً وقد علمت الشفاء بنت عبد الله أم المؤمنين حفصة بنت عمر الكتابة.

تعلم اللغات

ومن التعاليم النبيلة لإيجاد مناخ علمي: تعلم لغات الآخرين عند الحاجة إليها، وخصوصاً إذا كان عندهم علم يقتبس، أو أمر يحتذى، فلا سبيل إلى الاقتناع بما عند غيرك إذا جهلت لغته. ولم يمنع الإسلام من تعلم لغة الآخرين، بل دعا إليها باعتبارها وسيلة لنشر دعوته في العالم، وذلك أن رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسالة عالمية، فهو ـ وإن كان عربيا

والكتاب المنزل عليه عربي، وقد أرسله الله بلسان قومه ليبين لهم ـ قد بعث للناس كافة «ليكون للعالمين نذيرا» «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» «قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا».

فلابد من تراجمة بينه وبين أرباب اللغات الأخرى، حتى يمكنه تبليغ الدعوة اليهم، وتلقى الاجابة منهم، وقد كان عنده ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أصحابه من يعرف الفارسية والروسية والرومية والحبشية، ويكفيه هم الترجمة منها واليها، ولكن لم يكن عنده من يعرف اللغة السريانية التى يكتب بها يهود، فأمر بذلك كاتب وحيه الأنصارى النابغة زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ ليتقنها قراءة وكتابة ويستغنى بها عن الوسطاء من اليهود فى ذلك.

قال زيد: أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية وقال: انى والله ما آمن يهود على كتابى، فما مر بى نصف شهر حتى تعلمته وحذقته، فكنت أكتب له اليهم، وأقرأ له كتبهم. ولعله كان على شيء من المعرفة بها من قبل حتى أمكنه أن يحذقها فى هذه المدة القصيرة، ومن هنا حرص كثيرا من المسلمين على معرفة اللغات، فترجموا منها واليها، وقال فى ذلك الشاعر:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه
فتلك له عند الملمات أعوان
فأقبل على درس اللغات وحفظها
فكل لسان فى الحقيقة انسان

الاسلام والاحصاء

واذا كان عصرنا يعتبر استخدام أسلوب الاحصاء من أبرز دلائل الطريقة العلمية فى معالجة الأمور، وهو فارق مميز بين العلميين والعشوائيين أو الغوغائيين من الناس فان النبى صلى الله عليه وسلم، قد بكر الى الانتفاع بالاحصاء منذ عهد مبكر من اقامة دولته بالمدينة.

فقد روى البخارى ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: احصوا لى كم يلفظ الاسلام.

وفى رواية للبخارى انه قال: اكتبوا لى من يلفظ بالاسلام من الناس. قال حذيفة فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل.

فهو احصاء كتابى يراد تدوينه وتثبيته، وبذلك ليعرف عليه الصلاة والسلام مقدار القوة البشرية الضاربة التى يستطيع بها أن يواجه أعداء المتربصين به، ولهذا كان الاحصاء للرجال فقط، أى القادرين على القتال.

والاحصاء الذى تم فى عهد مبكر من حياة الدولة المسلمة وتم بأمر من الرسول نفسه فى سهولة ويسر، يرينا الى أى حد يرحب الاسلام باستخدام الوسائل العلمية.



ومن حقنا هنا بعد ذلك أن نسأل في التفكير القديم: أن أحد أنبياء بني اسرائيل أراد أن يجعل تعداد الاحصاء لرعيته فعوقب بعقاب الله، كأنه أخطأ بالاحصاء الذي سلبه التدبير الى ارادة الله... ولهذا لم يمش على هذه القوانين العقلية... [illegible] ... ولكن الاسلام... أتاح منذ البداية الانتفاع بالاحصاء كطريقة علمية.

التخطيط

واذا كان الاحصاء من دلائل الطريقة العلمية، فالتخطيط كذلك، بل هو أوضح دلالة عليها، والتخطيط انما يعتمد على الاحصاء، ويرتبط بالتخطيط وضع خطة لمواجهة احتمالات المستقبل.

ومن الناس من يتصورون أو يصورون الدين فى موقف المعارض أو المناقض لفكرة التخطيط العلمى للمستقبل، وهذا من أثر الفكرة الخبيثة التى جعلت العلم مقابلا للايمان، فهما ضدان لا يجتمعان، أو خطان متوازيان لا يلتقيان.

والحقيقة أن فكرة الدين فى جوهرها قائمة على أساس التخطيط للمستقبل، ففيه يأخذ المرء المؤمن من يومه لغده، ومن دنياه لأخرته، ولابد له من أن يخطط حياته لنفسه منهاجا يوصله الى الغاية، وهى رضوان الله ومثوبته.

ويظن أخرون أن التخطيط للغد ينافى التوكل على الله أو الايمان بقضائه وقدره، ولهذا يستبعدون كل الاستبعاد أن يقبل الدين فكرة التخطيط، فضلا عن أن يوجه اليه، أو يحث عليه.

والحق أن الذى يتعمق فى دراسة كتاب الله وسنة رسوله يتبين له أنهما يرفضان الارتجال والعشوائية، وترك الأمور تجرى فى أعنتها بغير ضابط ولا رابط ولا تفكير. ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن التوكل على الله لا يعنى اطراح الأسباب أو اغفال السنن التى أقام الله عليها هذا الوجود، ولا يكاد يستند بحديث قصة الأعرابى الذى جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم، وترك ناقته أمام المسجد قائلا: يارسول الله، أأعقلها وأتوكل، أم أطلقها وأتوكل؟ قال له: اعقلها وتوكل.

وقال الامام الطبرى يرد على من زعم أن تخطيط الأسباب يؤثر فى كمال التوكل: الحق أن من وثق بالله وأيقن أن قضاءه عليه ماض، لم يقدح فى توكله تعاطيه الأسباب اتباعا لسنته وسنة رسوله [illegible] من عدوه [illegible] الرجال على [illegible] وحفر الخندق حول المدينة وأذن فى الهجرة الى الحبشة والى المدينة وهاجر هو وتعاطى أسباب الأكل والشرب وادخر لأهله قوتهم ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك.

ومن قرأ سيرته عليه الصلاة والسلام وجد أنه كان يعد لكل أمر عدته، ويهيء له أسبابه ووسائله، أخذا بالحذر، وبذل كل الاحتمالات، واضعا ما يلزم من الاحتياطات، وهو لم يتخل عن التوكل على الله تعالى.

فهو حين أمر أصحابه بعد أن اشتد ايذاء قريش لهم بالهجرة الى الحبشة، لم يكن هذا الأمر اعتباطا، أو رمية من غير رام، بل كان نتيجة معرفة بالظروف الجغرافية والدينية والسياسية للحبشة فى ذلك الوقت.

فلم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يأمرهم بالهجرة الى مكان ـ مهما بعد ـ فى شبه الجزيرة العربى، فان قريشا ـ بما لها من نفوذ ديني وأدبي ـ تستطيع أن تلاحقهم

ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يذهبوا إلى بلد تحت سيطرة الفرس أو الروم، حيث يحكمها أباطرة لا يقبلون مثل هذه الدعوة الجديدة.

ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يذهبوا بعيدا إلى بلاد مثل الهند والصين، حيث تنقطع أخبارهم وتكون الهجرة مهلكة لهم.

لقد كانت الحبشة هي المكان المناسب جغرافيا، فهو ليس جد بعيد، ولا جد قريب، بل بينه وبين قريش بحر.

وكانت الحبشة هي المكان المناسب دينيا، فقد كانوا أهل كتاب من النصارى الذين يعدون أقرب مودة للمسلمين.

وكانت الحبشة هي المكان المناسب سياسيا، فقد كان يحكمها رجل اشتهر بالعدل والنصفة، ولهذا قال الرسول لأصحابه: «إن بها ملكا أرجو ألا تظلموا عنده».

وهذا يدلنا على أن الرسول وأصحابه لم يكونوا في عزلة عن العالم من حولهم رغم صعوبة المواصلات بين الأقطار بعضها وبعض.

ويدل على ذلك أيضا موقفهم من حرب الفرس والروم، وما كان من جدل بين المسلمين والمشركين في هذا، مما نزلت فيه أوائل سورة الروم: «غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون».

وهكذا - كانوا - وهم في فجر الدعوة ورغم الضعف والاضطهاد - على صلة بالصراع العالمي بين الدولتين العظميين في ذلك العصر، أو المعسكرين الكبيرين الشرقي والغربي.

وأوضح من ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة، ففيها يتجلى التخطيط العلمي، والتوكل الإيماني جنبا إلى جنب.

لقد أعد عليه الصلاة والسلام من جانبه كل ما يستطيع البشر إعداده من الوسائل والاحتياطات والمعينات.

لقد اطمأن إلى المهجر الذي سينتقل إليه، بعد أن بايع المؤمنين من الأوس والخزرج بيعة العقبة الأولى والثانية، واشترط لنفسه أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وذراريهم.

واطمأن إلى الرفيق الذي سيصحبه في رحلته الجاهدة بما فيها من الخطر، وما تحمله من مفاجآت، ولم يكن هناك أفضل من أبي بكر الصاحب الأول والمؤمن الأول - رفيقا.

واطمأن إلى الفدائي الذي سيبيت مكانه، معرضا نفسه لاحتمالات الخطر، وغدرات المتربصين، ولم يكن ثم أفضل من علي فارس الإسلام لهذه المهمة.

ورتب الدليل الذي يدله على الطريق وما فيه من منعطفات ومخاطر يمكن أن تضلل عنه أعين الطالبين، فكان مشركا أمينا هو عبد الله بن أريقط. وهو ما أخذ منه الفقهاء جواز الاستعانة بالخبرة الفنية غير الإسلامية، بشرط الاطمئنان والأمان.

وهيأ الرواحل التي سيمتطيها هو وصاحبه ودليله في سفرهم الطويل، واتفقوا على المكان الموعود الذي يستقلون به الركائب.

وتخير المخبأ الذي يختفي فيه أياما معدودة، حتى تخف حدة الطلب، ويتملك القوم اليأس، واختاره في غير طريق المدينة زيادة في التعمية على القوم، فكان غار ثور.

وأعد فريق الخدمة الذي سيأتي بالزاد والأنباء خلال أيام الاختفاء، فكانت أسماء وعبد الله بن أبي بكر، ومن بعدهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يأتي بأغنامه فيحتلبون منها، ويعفي على آثار أسماء وعبد الله.

خطة محكمة الحلقات، متقنة التدبير، لم تترك فيها فجوة دون أن تملأ، ولا ثغرة دون أن تسد، ووضع فيها كل جندي في دوره المناسب لظروفه وقدراته، فدور أبي بكر، غير دور علي، غير دور أسماء، وكل في موقعه الصحيح.

ومع هذا الإحكام الدقيق، كادت الخطة تخفق واستطاع المشركون أن يصلوا إلى الغار، ووقفوا على بابه، وكان يكفي لكشف أمر وإفساد الخطة أن ينظر أحد القوم تحت قدميه فيرى الرسول وصاحبه في الغار، وهذا ما خشيه أبو بكر، وصرح به الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له كلمته المؤمنة الواثقة: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا».

وهنا تجلى دور التوكل الحق، بعد أن يبذل الإنسان ما في وسعه، ويتخذ من الأسباب والخطط ما يقدر عليه، يدع ما لا يقدر عليه من مفاجآت القدر، لله وحده، وهنا تقع «إن الله معنا» موقعها، وتؤتي أكلها.

منطق التجربة

ونحن نلاحظ ما يميز «العلم» بالمفهوم العصري أو الغربي: أنه لا يقوم على المنطق الشكلي أو الصوري أو القياسي الذي ينسب إلى أرسطو، وإنما يقوم على منطق الملاحظة والتجربة، ويخضع في نتائجه لما تأتيان به، ولهذا يسمى «العلم التجريبي» ويسمى منهجه «المنهج التجريبي».

وهنا أيضا نجد الرسول - عليه الصلاة والسلام - سبق إلى إقرار مبدأ التجربة في الأمور الدنيوية الفنية، مثل أمور الزراعة والصناعة والطب وما شاكلها، فما أثبتت التجربة نفعه في هذا فهو مطلوب شرعا، وما أثبتت ضرره فهو مرفوض شرعا.

وأوضح مثال لهذا المبدأ: موقفه عليه الصلاة والسلام من قضية تأبير النخل، حيث رأى أصحابه من الأنصار يفعلون ذلك، ولم يكن له بذلك عهد، حيث نشأ بمكة وهي واد غير ذي زرع فقال لهم كلمة من باب الظن والتخمين، يشير بها إلى أن هذا العمل لا ضرورة له، وفهم الأنصار منها أنها من أمر الوحي والدين الذي لا يجوز مخالفته، فتركوا التأبير، فخرج التمر رديئا، فبين لهم: أن في هذه الشئون الدنيوية يتكلم من واقع خبرته المحدودة لا بلسان الوحي الإلهي، وأن هذه الأمور متروكة لهم فهم أدرى وأعلم.

والقصة في صحيح مسلم وغيره، رواها عدد من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله ورافع بن خديج وعائشة وأنس رضي الله عنهم.

أخرج المسند عن طلحة رضي الله عنه قال: مررت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في نخل المدينة، فرأى أقواما في رؤوس النخل، فقال: «ما يصنع هؤلاء؟» قال: يأخذون من الذكر فيجعلون في الأنثى يلقحون به، فقال: «ما أظن ذلك يغني شيئا». فبلغهم، فتركوه ونزلوا عنها، فلم تحمل تلك السنة شيئا، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «إنما هو ظن ظننته، إن كان يغني شيئا فاصنعوا، فإنما أنا بشر مثلكم، والظن يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم: قال الله عز وجل، فلن أكذب على الله».

وفي صحيح مسلم من رواية رافع بن خديج أنه قال لهم: «إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر».

وفيه من رواية عائشة وأنس: أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم بعد أن خرج التمر شيصا (بسرا رديئا): «ما لنخلكم؟» قالوا: قلت كذا وكذا. قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم». ومعنى هذا: أن الناس في أمر الدنيا إنما يخضعون للمشاهدة والتجربة، فهذا هو القانون الذي يجب اتباعه، ولم ينزل الوحي ليضع للناس قواعد أو أحكاما في هذه الشئون، فهم متروكون فيها لثمرات تجاربهم وممارستهم، وحسبهم هذه الكلمة الجليلة: «أنتم أعلم بأمر دنياكم».

د. يوسف القرضاوي

الأزهر

عقبات في طريق تطويره

د. محمد البهي

صدر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن اعادة تنظيم الازهر والهيئات التي يشملها ، وتبط بي في نفس السنة بوصفي اول مدير لجامعة الازهر في عهدها الجديد بعد صدور هذا القانون : تنفيذ هذا القانون في دائرة الجامعة :

● في تصنيف الكليات ، وانشاء الجديد منها .

● وفي تحديد عدد الاساتذة في كل كلية ، حسب التخصصات فيها ، وتحديد المواصفات العلمية والمؤهلات الدراسية والانتاجية في التاليف لشغل درجات الاساتذة في الميزانية الجديدة للجامعة ، سواء بالنقل اليها من الحاصلين فعلا في الكليات التقليدية على لقب « استاذ » .. او عن طريق الاعلان ، او النقل من احدى الجامعات في مصر .

● وفي التخطيط لاحتياجات الجامعة من المدرسين والاساتذة في المستقبل ، والدرجات العلمية التي يجب أن يكونوا حاصلين عليها .. وكذلك للطلاب الذين يقبلون في كلياتها سواء من المتخرجين في المعاهد الازهرية ، او الناجحين في الثانوية العامة في وزارة التربية والتعليم .. واخيرا في الكتاب الجامعي وما يجب أن يكون عليه من توجيه التخريج باحث صاحب منهج علمي في بحوثه، او لتخريج صاحب مهنة يجيد اداءها .

في تصنيف الكليات وانشاء الجديد منها : ابقيت كليات : أصول الدين والشريعة .. واللغة العربية .. وضمت اليها كليات : المعاملة والادارة والهندسة .. والصناعة .. وكلية الزراعة .. وكلية الطب .. وكلية البنات الاسلامية ، على أن تنشأ هذه الكلية الاخيرة من اقسام عديدة لتكون نواة لجامعة البنات الاسلامية في العالم الاسلامي كله ، وحظيت بعناية خاصة بهذه الكلية في [illegible] مرافقها ، والمسجد الذي [illegible] الموقع في ضاحية القاهرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالقاهرة وهي [illegible] [illegible] [illegible] الاخلاق السامية .

هذه الكلية .. كان الاقبال عليها شديدا من الاسر العريقة في مصر ، ومن كبار الشخصيات في محافظات عديدة ، مما يدل على مكانة الاسلام في نفوسهم .. وعلى أن اتجاههم لارسال بناتهم الى مدارس وزارة التربية والتعليم وبالاخص المشترك منها بين البنين والبنات ، هو قبول قائم على الاكراه ، وليس على الرغبة . والحكم الوطني في المجتمعات الاسلامية لم يزل حتى اليوم – تحت مشورة الاجنبي – يخشى الاسلام ومعاهده ، وبالاخص المجمع الذي يقوم فيه الازهر .

وتمهيدا لانشاء كلية البنات الاسلامية : تحدد انشاء المعاهد الازهرية للفتيات في اقاليم مصر ، واصبحت هذه المعاهد الرافد الاكبر لهذه الكليات ، وتعددت الاقسام في هذه الكلية وتطورت حتى كادت تكون كليات داخل كلية ، ففيها الآن اقسام الطب .. والتجارة .. والعلوم .. والصيدلة .. والشريعة . واللغة العربية .. والدراسات الاسلامية .. وغيرها ..

وابتدأ الآن مسخها ، فلم تمض سنين ، كلية البنات الاسلامية ، حذف منها الانتساب الى الاسلام ، اصبح يطلق عليها : كلية الدراسات الانسانية ، وهذا التحويل قصد به ، قلت ، ارتباط التعليم فيها عن الاسلام وتوجيه النظر الى أن الانسانيات ، هي الجوهر مما كان يسمى بالاسلام ، فهو اسم عصري !!

وليت الامر يكون على هذا النحو في واقعه ، فالدراسات الانسانية المعاصرة لا تحرص على القيم الانسانية في علاقات الناس بعضهم ببعض وفي توجيه الانسان ، كما يحرص الاسلام عليها في دعوته التي تنادي بالانتقال من طغيان المادية .. الى القيم الانسانية العليا ، ومن اجل ذلك اذا كان هناك امر يطلق عليه « انساني » فهو الاسلام وليست الدراسات الانسانية الحرة على كتاب الماركسية .. والمستشرقين .. والمبشرين .

وفي تحديد الاساتذة في الكليات التقليدية التي اعيد انشاؤها في ظل قانون التطوير ، وهي كليات : أصول الدين .. والشريعة .. واللغة العربية ، خير القائمون على التدريس فيها بين البقاء في درجاتهم الحالية المالية .. او الانتقال الى الدرجات الخاصة بكادر الاساتذة الجديد حسب قانون التطوير ، والفرق بين الوضعين من الجانب المالي هو خمسة جنيهات شهرية في الكادر الجديد ، ولكن النقل من القديم الى الجديد يتطلب

● الدراسات الإسلامية والعربية في الأزهر ... في الكليات ...

● من أسباب الضعف: التقليد ... والتكرار ... والشرح

أن يكون المنتقل صاحب بحوث ومؤلفات علمية، وليست معرفته قاصرة على كتب التراث - ومن لم تكن له مؤلفات ويريد أن يؤلف، فالجامعة تعطيه أجازة سنة دراسية يتفرغ فيها للتأليف، ولا يشغل نفسه أثناء محاضرات أو دروس! ولكن بحكم الرغبة «التواكلية» .. جعلت الجامعة - بعد أن تركتها - عن الأخذ بالسن والقدم في الوظيفة، في التنقل، بدلا من المؤلف والبحث، أو نيل الدرجات العلمية الجديدة في الكليات الثلاث.

(٥) كانت هناك شكوى الآن من ضعف التعميم والتوجيه في هذه الكليات الثلاث بين المتخرجين فيها وفي هيئات التدريس فيها - فمرجع هذا الضعف: إلى البقاء في دائرة المألوف، في تكراره .. وفي عدم مناقشته .. وفي الالتزام بأقوال جاءت فيه، كثيرا ما تذهب بالقيمة العلمية لمبادىء القرآن، كمنهج لحياة الانسان صاحب طبيعة مركبة من حكمة وهوى، وعقل وشهوة ..

مواضع من التقليد

والكليات التقليدية الثلاث رغم صدور قوانين ونظم عديدة لتطويرها لم تزل الدراسة في الموضوعات المختلفة فيها على ما كانت عليه منذ أوائل هذا القرن العشرين - أو بعبارة أخرى: منذ أن دخل «النظام» في الأزهر سنة ١٩١٠.

ان الدراسة في الأزهر قبل «النظام» سنة ١٩١٠ كانت تعتمد

● للمادة الواحدة أكثر من أستاذ يبدأ بالكتاب الصغير وينتهي بالكتاب الكبير

● بعض الأقسام تسادى وتشمل الكليات العلمية والعملية بجامعة الأزهر

حق « الاستاذ » فهناك مواد دراسية وهناك كتب محددة لمواد هذه الدراسة ، تختلف في الحجم وان لم تختلف في النوع · هناك مواد : التوحيد ·· والتفسير ·· والحديث · والفقه ·· وأصول الفقه ·· والبلاغة ·· والنحو والصرف · وهذه هي المواد الرئيسية التي كانت تدرس في الازهر « قبل » النظام « وبعد » النظام « ·· في ظل نظام » القسم العالي » والتخصص الذي أنشيء سنة ١٩٢٥ ·· وفي ظل قانون الكليات في سنة ١٩٣٠ الذي قسم دراسة القسم العالي الى ثلاث كليات : أصول الدين ·· والشريعة ·· واللغة العربية ·· وفي ظل قانون ١٩٣٦ الذي أبقى هذه الكليات مع تغيير نظام التخصص الى ما سماه « بتخصص المادة » ·· او في ظل قانون التطوير ١٩٦١ الذي أسار كذلك انشاء الكليات الثلاث ، مع الحاق كادر الاساتذة فيها بكادر الجامعات الاخرى في مصر ·

ومعنى اعتماد الدراسة في الازهر قبل النظام على « الاستاذ » ·· ان الاستاذ كان المحور الفكري الذي يرتبط به تدريس المادة ·· والكتاب والطالب ·· فللمادة الواحدة أكثر من استاذ يتصدى كل منهم لتدريس الكتاب الصغير في الحجم الى الكتاب المتوسط في الحجم أيضا ·· الى الكتاب الكبير او الواسع في المادة ذاتها · وكبر هذا الكتاب أو سعته تضمن الشرح على نص المتن في المادة والتقرير على الشرح · فالكتاب الصغير ان يقف في حدود النص للمتن ·· فالكتاب المتوسط الحجم يضم الى نص المتن شرحا له ·· بينما الكتاب الكبير يضم الثلاثة أنواع « المتن » والشرح « والتعليق على الشرح » وجوهر الكتب الثلاثة « الصغير » و « المتوسط » ·· و « الكبير » واحد في المادة ·· وفي عدد موضوعاتها ·· وكذلك واحد في اسلوب المعالجة والمناقشة والحجة وان كان في اختصار أو في تطويل ·



الجامع الازهر بالقاهرة

« الاستاذ » الذي يتصدى في تدريس المادة [illegible] تدريسها » الذي ينتهى في ان يمنح بعض الطلاب الذين حضروا في التلقي عليه « اجازة » تدريسها · والطالب ادى مجال في ان يدرس كتب المادة لطلاب آخرين · في نمط امتلاك بلابد الاستاذ وليس بأذن الادارة ·

وبينما « الاجازة » في التدريس تتوقف على اذن الاستاذ : فالطالب هو الذي يختار استاذه ، ويختار الكتاب في المادة التي يريد أن يدرسه مع استاذه · فهو يختار استاذ « التوحيد » مثلا من بين عدد من الاساتذة يقومون بتدريس التوحيد ·· ويختار الكتاب الصغير ، او المتوسط ، او الكبير في المادة على حسب حاجته في المعرفة · والطالب بذلك يرتبط بالاستاذ وبالكتاب ، وليس بصف معين ولا بقسم معين في الدراسة · ولا يتكلف بالتزام النجاح لاستاذ معين · وانما خصائص الاستاذ من سعة الفهم ، ووضوح الحجة في النطق ، وحسن التركيب في اللغة ، واجادة الالمام بالمادة كلها هي التي تحمل الطالب يفضله (أستاذا) في مادة ·· على استاذ آخر في نفس المادة · وكان يقترن الاستاذ « بالعمود » : هل معنى انه أصبح « صاحب عمود » او انه أصبح يشغل مكانا في التدريس في الجامع الازهر من جدارة واستحقاق ·

وعندما حول هذا النوع من التدريس الى « نظام » راعى النظام المادة ·· والكتاب · وجعل السنوات التي يستغرقها تدريس الكتب صلحة الأحجام الثلاثة · ابقى الاقسام فيه (قسم تدريس المادة في انواع كتبها الثلاثة الى ثلاثة اقسام دراسية الابتدائي ·· والثانوي ·· والعالي · وجعل في الابتدائي « الكتاب الصغير الحجم في المادة ·· وفي الثانوي الكتاب المتوسط الحجم فيها ·· وفي العالي الكتاب الكبير الحجم في تلك المادة · مع ان المسائل المدرجة في الانواع الثلاثة « واحدة ·· ومع أن طبيعة التناول في المسائل المدرجة ، وطبيعة العرض لها لا يختلف بعضه عن بعض ؟

حتى في التطوير الاخير للدراسة في الكليات التقليدية الثلاث أبقى

● فلماذا التطوير في أقسام الدراسات المختلفة لم يؤد إلى الحد من مشاكل المعطلة؟

هذا التطوير : لنوع ثالث من الكتب وهو النوع الأخير أو الذي كان يدرس حسب منحه في القسم العالي . قبل انشاء الكليات سنة ١٩٣٠ او وزعه بين الكلية وتخصص المادة . والابقاء على نفس هذه الكتب والاحتفاظ بها منذ قبل . النظام . حتى الآن . جعل لها شبه قداسة وجعل الرأي فيها لا يعارض . ومن هنا ظل معنى . التطوير . بعيدا عن الدراسة في الكليات التقليدية في الأزهر . وكان ينتظر من التطوير . أن ترجع حركة التدريس فيما يعنى بالمواد الرئيسية في هذه الكليات : الى كتاب الله مباشرة . وهو القرآن كما كان يطالب بحثه ابن تيمية . وكما طالبت الحركة الاصلاحية التي قادها جمال الدين الأفغاني . ومحمد عبده . في أساس الرجوع الى كتاب الله والالتزام به قبل الالتزام بكتب المؤلفين وبالاخص كتب المتأخرين منهم . ومعنى ذلك . أن تناقش كتب التوحيد والأصول . والتفسير . والفقه . مثلا . وما جاء فيها من آراء مذهبية . أو طائفية . في ضوء القرآن كمنهج لسلوك الانسان المؤمن . واعتقاده .

واذا كان . الاستاذ . فيما قبل . النظام . في الأزهر هو . المركز . الذي تدور حوله الدراسة . ومحور اهتمام الطلاب له في التلقي عليه فقد كان يدفع الى تعميق العلاقة بين الاستاذ والطالب . وفي الوقت نفسه يحمل الطالب على التحصيل واتباع أسلوب المجهدة الذي يسلكه استاذه والعلماء من قبله الأمر . وهذا النوع من العلاقة لم يصل اليه . النظام . ولا التطوير للأزهر في يوم من الأيام . فالاستاذ فيما بعد النظام مفروض على الطالب . والكتاب كذلك مفروض على الطالب . وقد لا يجيد الاستاذ تدريس الكتاب . وقد لا يكون الكتاب متكافئا مع سن الطالب او مع مستواه العقلي . أو مستواه في التحصيل .

الكليات العلمية

أما الكليات غير التقليدية . وهي

[illegible] بالكليات [illegible] [illegible] الاستاذ البيلاوي [illegible] وكيلا [illegible] قام باختياره الاساتذة [illegible] يهم ولي [illegible] الشخصي وفي مستوياتهم العلمية . فقد شغل وظيفة الأمين العام للجامعات المصرية فترة مكنته من الوقوف على أحوال الاساتذة في الكليات المختلفة في مصر وبالأخص أنه كان قبل شغله لوظيفة الأمين العام للجامعات . ثم الوكالة لجامعة الأزهر . استاذا في كلية طب القصر العيني بالقاهرة وله اصدقاء ومعارف عديدون . والله يجزيه عن هذا الاختيار خير الجزاء .

والطلاب الذين كانوا يقيدون في سجلات الكليات العلمية والعملية بجامعة الأزهر بعد صدور قانون رقم ١٠٣ أتوا من أول الأمر جميعا من المدارس الثانوية التابعة لوزارة التربية والتعليم . الى أن تخرج المعاهد الأزهرية للبنين والبنات من القسم العلمي في الدراسة الثانوية الحاصلين على شهادة الثانوية . وبعد أن خرجت هذه المعاهد أصبح المتخرجون فيها أصحاب الحق الأول في القبول في كليات الجامعة العلمية والعملية . ثم قصر الآن القبول عليهم وحدهم لكثرة عددهم . بعد أن كثر عدد المعاهد للبنين والبنات .

وكذلك الشأن مع القبول في كلية البنات الاسلامية . مع كثرة عدد معاهد الفتيات في القاهرة والمدن الكبرى والأقاليم في مصر . وكثرة المتخرجات منها . أصبح القبول الآن في الأقسام العديدة في كلية البنات وهي كلية جامعة لكل أنواع الدراسات المالية والعليا قاصرا على الطالبات الأزهريات من الحاصلات على الشهادة الثانوية في معاهد الفتيات الأزهرية .

ولأن الدراسة في جامعة الأزهر قاصرة على الطلاب المسلمين والطالبات المسلمات من الداخل والخارج وحدهن يخشى بعض من يحقد على مصر الاسلامية من زيادة الأعداد التي تتخرج في كليات الجامعة العلمية والعملية وبذلك يخل بهذه الزيادة النسبة القائمة حاليا بين أصحاب الدرجات العلمية في الأقلية والاكثرية المسلمة ١٩٢٠ والوضع القائم قبل انشاء الكليات العلمية والعملية في جامعة الأزهر كان وضعا يكاد يكون التفوق فيه واضحا في جانب الأقلية .

وفي الوقت الحاضر تعددت الأقلام في بعض الصحف تنادي بفصل الكليات العلمية والعملية . بجامعة الأزهر . ووضعها في جامعة جديدة لا تحمل اسم الأزهر . حتى يقبل فيها غير المسلم والمسلم على السواء . وبهذا الفصل يتحقق ما يسمى . بتكافؤ الفرص .

ولكن ينسى أصحاب هذه الأقلام أن تمويل الأزهر بجامعته ومعاهده : من أوقاف المسلمين . وليس من الدولة التي ينطوي غير المسلمين تحت ولايتها الرسمية . هذه المعاهد أصبح

ويقول كذلك هؤلاء المطالبون بفصل الكليات العلمية والعملية عن جامعة الأزهر الآن . عن أن الفصل سيكون سببا في اغلاق المعاهد الأزهرية للفتيات والفتيان على السواء . الاعدادية . والثانوية . وكذلك سببا في اغلاق الأقسام العديدة في كلية البنات الاسلامية وذلك للارتباط الشديد بين هذه المعاهد من جانب والكليات الجامعة في الأزهر من جانب

● هناك ضعف مستوى الكفاية في إدارة وتصريف شئون الجامعة
● الأزهر في حاجة ماسة إلى استقلاله في التحويل وخطة التوجيه

بعض الرواسب من التقاليد في منهج الدراسة في علوم الدين واللغة .. هناك الارتباط بمنهج كتب معينة وبمؤلفين معينين في هذه العلوم .. هناك الالتزام بالمواهب والوقوف عندها دون الاحتكام إلى كتاب الله ، وسنة رسوله الصحيحة عليه الصلاة والسلام . ولا يمكن اجتياز هذه العقبة إلا بعد فهم واضح لرسالة الإسلام ككل .

هناك أيضا من العقبات : ضعف مستوى الكفاية في إدارة وتصريف شئون الجامعة . . . هناك من يضعف أمام تحدي بعض عمداء هذه الكليات في اتجاههم العلماني ، أن بعضهم يتجه إليه .

الأزهر في حاجة ملحة إلى استقلاله في التحويل .. استقلاله في خطة التوجيه استقلاله عن التبعية السياسية استقلاله في التعبير عن رأي الإسلام ، ودراسة الإسلام وعرضه ، والدفاع عنه .

والاستقلال الذي أتى به قانون التطوير في أقسام الدراسات المختلفة لم يستغل استغلالا إيجابيا حتى هذه اللحظة .. وإنما استخدم في تحقيق رغبات .. أو في تحقيق بعض المصالح الخاصة .

[illegible]

آخر . فالكليات العلمية والعملية بجامعة الأزهر أصبحت قاصرة على طلاب المعاهد الأزهرية وطالباتها فإذا انسلخت هذه الكليات أصبحت البنت المسلمة لا تجد لها مكانا إلا مع الطلاب وبينهم في كلية مختلطة غريبة عن الأزهر ، وعما يريده الإسلام من عدم السفور للمرأة .

إن العقد على رسالة الأزهر ..

وأن المسلم [illegible] بعض الوجهة وأن الإسلام [illegible] الحقيقية [illegible] فكرة ، الفصل بين وقت آخر بين الديني والعلماني في جامعة الأزهر .

عقبات في طريق التطوير

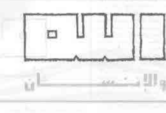
والعقبات التي تقف في طريق التطوير للأزهر الآن : متنوعة . هناك

د. محمد البهي

انسان كبقية الناس

● [illegible] ..

[illegible]



د. عون الشريف قاسم

العبارة التي أوردها الكاتب الروسي دوستويفسكي على لسان احدى شخصيات روايته التي تقول (اذا كان الله غير موجود فكل شيء مباح) تلخص في ايجاز بديع الموقف المريع الذي توصلت به المادية الحديثة تجاه قضية الصراع الابدي الدائر في كل نفس بشرية بين نوازعها ورغباتها الحسية من جانب ، وبين دوافعها وتطلعاتها الروحية من جانب آخر.

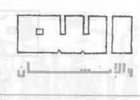
فالمادية بالغائها لوجود الله لم تزعزع أسس العقيدة الدينية فحسب ، بل حسمت هذا الصراع الدائم لصالح النوازع والرغبات الحسية ، فتصبح بذلك مدار سعي الانسان ، فأن من حرم التطلع إلى الأعلى محكوم عليه بالنظر دوما إلى الأسفل . وفي ذلك حرف كبير لجهاد الانسان عن غايته ، التي هي الاقتراب ما امكنه ذلك من صورة الكمال الانساني التي ترشحه لخلافة الله على الأرض . ومدار هذا الجهاد الدائم لسعي المتواصل لترقية ملكات الانسان العقلية والروحية ، وتدعيم شخصيته الخلقية ولا يتم له ذلك إلا بتغليب جوانب الخير فيه على جوانب الشر بإحداث التوازن السوي بين غرائزه الفطرية التي تدفعه إلى اشباع نهمه إلى القوة والسلطة والمال والجنس وما إليه ، وبين الضوابط والكوابح التي تنزع به إلى التوسط في كل ذلك ، وتدفعه إلى توجيه ما فاض من هذه الطاقات الفطرية والتسامي بها لبناء الانسان في داخله.

[illegible] وذلك لا عجب أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين رجعوا من ميدان المعركة (رجعنا من الجهاد الاصغر ، إلى الجهاد الاكبر) أي جهاد النفس . وبناء الانسان الداخلي بهذه الطريقة هو المؤشر الحقيقي الذي يحكم مسار التقدم.

وليس هنالك من جديد يضيفه العصر الحديث بكل مايزخر الدنيا من متع وملذات وأدوات إلى هذه القضية الاساسية التي يرتكز عليها النشاط الدائم في حياة البشر فإن الانسان حيوان تقتله احاسيسه كلما أغرق في ملذات الحس ، مثله مثل بقية الحيوانات التي تمتاز عليه في هذه الناحية بضوابط الغريزة الفطرية . فان معظم الحيوانات كما هو مشاهد لا تسرف في الملذات إسراف الانسان . وانما تأكل وتشرب حين تجوع وتعطش وتقف في معظم الأحوال عند حدود الشبع والري بدافع من الغريزة . أما الانسان فان ضابطه في كثير من شهواته ورغباته ليس فطريا . وانما هو مشاعر مداره العقل والوجدان والضمير التي تعتمد عليها شخصية الانسان الخلقية وبقدر ما ينجح الانسان في كفكفة شهواته ، وردع غرائزه الفطرية ، وتوجيهها الوجهة التي تحقق بمعادلة الفردية ، وينجم عنها خير المجموعة التي يعيش وسطها ، بقدر ما ينجح في ذلك ، تنمو في نفسه هذه القدرة على التحكم على دوافعه وغرائزه ، فيرتفع من مرتبة الحيوانية ، ويسمو إلى مرتبة الانسانية . ولطغيان الغرائز الحيوانية الفطرية على تكوين الانسان كان لها في معظم الاحوال الغلبة على ما سواها من المشاعر والعواطف التي هي مصدر انسانية الانسان ، ومن ثم كان الانسان في الحياة البشرية عامة أمرا مصطنعا ، هش التكوين ، سرعان ما يتلاشى ويذوب في أوقات الأزمات التي تنهار فيها الضوابط الاجتماعية ، فيعود الانسان حيوانا مشرع الظفر والناب كبقية الحيوانات أو أضل سبيلا ، كما كشفت تلك الدراسات النفسية اثناء الحروب وظروف الاضطراب الاجتماعي ، وأعطى لغلبة الحيوانية في نفس الانسان ، وضعف الانسانية فيها ، جعل الله جزاء السيئة سيئة مثلها ، للطبع المغروس ، وجزاء الحسنة عشرة أمثالها لمغالبة الطبع والانتصار عليه

بين الثابت والمتغير

ومن ذلك نتبين أن الحيوانية فينا أمر ثابت راسخ ، ولكن الانسانية فينا أمر طارئ



عارضي، لا تستقر وتثبت إلا بمداومة المجاهدة، والمراقبة لحياة الروح والوجدان حتى تقوى المشاعر الانسانية ويشتد عودها، فتصبح بطول الممارسة والتدريب والمداومة طبيعة ثانية للانسان.

ولكن ظروف الحياة الاجتماعية وما يكتنفها من صراع وصدام، وتناقض في المصالح، خاصة حين يعقد التكوين الاجتماعي كما هو الحال في المجتمعات الصناعية الحديثة، تجعل من سعي الانسان للمحافظة على العنصر الانساني فيه أمرا بالغ الصعوبة، ويمكن للمرء هنا أن يستعير من الوجوديين تعبيرهم القائل بأن شخصية الانسان في خلق دائم.

ومالم يركز الانسان كل قواه الروحية والفكرية لمراقبة نفسه ولكبح نوازعه فان طبيعة الحياة حوله تشجع الحيوان فيه على الاغراق في كل الملذات والمتع والشهوات التي يفيض بها مجتمع الاستهلاك الحديث، وامكانيات الانسان محدودة، مهما أوتي من نعم، ولكن حاجاته ورغباته متى أطلق لها العنان لا حدود لها ولا ضابط، إلا ذلك القدر الضئيل من العنصر الانساني الذي يتعرض في المجتمع الحديث لخطر الازالة والذوبان أمام مغريات الحس، ولحاجة الانسان الى التذكير الدائم بهذا الخطر المحدق بانسانيته، ولكي لا ينصرف بكيانه لزحمة الحياة من حوله، فيعم الحيوان فيه على حساب الانسان، كانت الشعائر الدينية رمزا لتذكير الانسان بعنصره الروحي الذي يرتفع به عن الحيوانية [illegible] الانسمة [illegible] من الله.

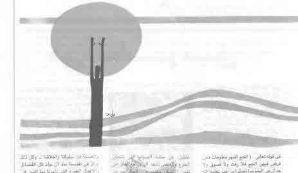
وكانت [illegible] في الاسلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في اليوم [illegible] [illegible] والنظر الى داخل النفس، حيث تعود [illegible] الانسان بربه، ليعود الى الحياة بشخصية انسانية متجددة، وهي أقوى وأقدر على مواجهة الامتحان الدائم الذي بينه الله سبحانه وتعالى في قوله جل وعلا (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور).

أكثر الأديان عبادات

والاسلام من أكثر الديانات عبادات وهي عبادات تتفاوت في حركاتها وتتنوع في أوقاتها ومدى دورانها، فمنها اليومي الذي يتكرر أكثر من مرة في اليوم وهو الصلاة ومنها الاسبوعي الذي لا يكون إلا مرة كل جمعة وهو صلاة الجمعة، ومنها السنوي الذي يتقيد بزمان معين وهو الزكاة ومنها السنوي الذي يتقيد بشهر بعينه وهو الصيام، ومنها السنوي الذي يكون في أيام بعينها ولكنه يجب مرة واحدة في العمر مع الاستطاعة وهو الحج، ومنها التوقيتي الذي يصحب هذه العبادات من السنن والنوافل كصلاة القيام في رمضان وصلاة العيدين احتفالا بانتهاء الصوم وأداء فريضة الحج. ورغم أن الشعائر والعبادات هي رموز لحقائق روحية وحالات وجدانية لا يدرك الانسان مداها بالتحليل العقلي والجدل المنطقي، وانما تتكشف أسرارها العظيمة لمن انفتح قلبه ووجدانه لذلك الفيض الروحي الغامر المتصل بسر الكون والذي هو من روح الله، وهو من هذه الناحية غير قابل للتعليل المجرد ووسائلنا العقلية والعلمية الراهنة التصدي له. إلا أننا رغم عجزنا عن تعليل كثير من الظواهر الغيبية وتقبلنا لها بالايمان والتسليم كأمر من الأمور التي فرضها الله سبحانه وتعالى بهذه الهيئة المخصوصة، فاننا ندرك أثرها في حياتنا، ونلمس نتائجها العملية في سلوكنا ومعاملاتنا، ولا نحتاج في ذلك التكلف والتعمل لنتبين هذه الآثار والنتائج فقد دلنا المولى سبحانه وتعالى عليها في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

الوجه الآخر للعبادة

ومن كل ذلك يتضح أن للعبادات وجها آخر بالاضافة الى وجهها الروحي والمعنوي فالصلاة متى أداها المسلم على وجهها الصحيح فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر كما ورد في سورة العنكبوت والصوم يتحقق به التقى مصداقا لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) ولقوله صلى الله عليه وسلم (الصوم جنة) أي وقاية ودرع يحمي الانسان من الرذائل والآثام. والزكاة فيها تزكية المال ونماء وتطهير للنفس لقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم) وهي بذلك تدعيم للتكافل بين أفراد المجتمع. والحج مؤتمر الاسلام على نطاق العالم يدعم من خلق الاسلام ومن أخوة المسلمين وتعاونهم ويرفع كل ذلك من مستوى الافراد الى مستوى الجماعة بحيث يلتزم كل مسلم في هذا المؤتمر الذي يضم الأجناس المتنافرة في [illegible] ما أمر الله به



في قوله تعالى: (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) . وقد بين الله سبحانه وتعالى في سورة الحج المنافع التي يحققها الحج للمسلمين. وبذلك يصبح لكل عبادة دور اجتماعي تؤديه في حياة الناس المعاشة عن طريق تأثيرها المباشر في سلوك الأفراد الذين تصوغهم هذه العبادات صياغة اجتماعية تجعلهم يتصرفون في حياتهم تصرفاً عفوياً فطرياً لاقتران الجانب الروحي في العبادات بالجانب الاجتماعي في حياة الناس. ولم يبين الله سبحانه وتعالى حكمة العبادات إلا لنتبين إخلاصنا في أدائها إذ لم تحقق في حياتنا النتائج والآثار التي أرادها الله سبحانه وتعالى مقترنة بهذه العبادات فإن عبادتنا تكون عبادة باطلة لا خير فيها ولا فائدة. فإن الصلاة التي تغير من السلوك وتطور حياة الفضيلة في المجتمع ليست حركات آلية، وإنما هي يقظة كبرى للقوى النفسية دلنا عليها قوله تعالى: (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) وهذا السهو والغفلة عن الصلاة ينجم عنه الكبر الضار على الصعيد الاجتماعي. إذ تستمر سورة الماعون لتصف الساهين عن الصلاة بأنهم (الذين هم يراءون ويمنعون الماعون). وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كثيراً من الصائمين عن الطعام والشراب، ولكنهم فاتهم كل حكمة الصيام التي تصحح [illegible] وتطهر [illegible] من [illegible] لأجل [illegible] السلوك [illegible] البعد [illegible] الذي [illegible] ليس له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)

السلوك وليد العبادة

ومن حيث نظرنا إلى سلوك المسلم في حياته الخاصة والعامة رأينا للدين تأثيراً مباشراً فيه. فهو مطالب بالكتاب والسنة لينهج نهجاً محدداً في الحياة لا شطط فيه ولا غلو، يتوخى في كل ما يعمل الصالح العام مهتدياً بقوله تعالى: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا). وهذه الصبغة الدينية التي تلون حياة المسلم، وتحيل كل دقائق تصرفاته إلى أعمال نبيلة نابعة من الإيمان، لتكتسب القداسة والاحترام. لا تفصل بين حياة الناس والمثل العليا بحاجز، بل تجعل الأعمال انعكاساً صادقاً للبساطة والفطرة السليمة، فيصبح الإيمان بضعاً وسبعين شعبة يدخل فيها الحياء وإماطة الأذى عن الطريق. وبذلك يشمل الإيمان العناصر المعنوية والحسية في سلوكنا وأخلاقنا. وكل ذلك جاء في تفسيرنا منه أن نؤدي كل الفضائل والأعمال الخيرة التي يأمرنا بها الدين في غير ما تشدد أو تطرف. لأن الدين يسر. وقد أمرنا رسول الله أن نوغل فيه برفق لأنه (لن يشاد الدين أحد إلا غلبه). ولهذا السبب نشأت شخصية الرجل المسلم في الصياغة الواقعية لتعاليم الدين وإرشاداته كما تهيأت له في حدود الزمان والمكان والبيئة. وكانت حياة المسلمين في الصورة المخصوصة لديهم. فمن دينهم يستمدون نهجهم في الحياة ليس على مستوى العبادات المجردة فحسب، وإنما على كل مستويات وجودهم المعنوية والحسية. وكان أصدق تعبير عن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدين المعاملة). ولهذه الأسباب مجتمعة كان للشخصية المسلمة صفاتها الخاصة التي تميزها عن غيرها من الشخصيات. وكان الدين الذي هو الصورة الناطقة للحياة البسيطة النشطة مصدر قوتهم الذي يستوحون منه كل دقائق تصرفاتهم وسلوكهم. ولهذا السبب كان انهيار حياة المسلمين مقروناً باضمحلال روح الدين في نفوسهم. فإذا فقدت العبادات مدلولها ومعانيها وحكمتها في حياتهم، وتحولت إلى حركات آلية لا حياة فيها ولا حرارة، انعكس ذلك على سلوكهم رياء ونفاقاً، وضعف العاملون، والفساد في الأرض.

د. عون الشريف

عباس محمود العقاد





فى الطريق

سألت عالما أجنبيا زار مصر قبل عشر سنين وزارها هذه السنة.. ما هو الفرق الذى استطعت أن تراه بعد ربع ساعة من زيارتك الأخيرة للديار المصرية؟..

إن الفرق الذى يرى فى ربع ساعة لابد أن يكون فرقا ظاهرا وفرقا مهما فى وقت واحد. ولا يسأل عنه أحد إلا قدر على جوابه من الطارىء الغريب. ولا سيما الطارىء الغريب الذى تعود أن يلاحظ الأشياء ملاحظة العلماء. ومضى عليه وقت يكفى للشعور بالفرق بين مشاهدات الأمس ومشاهدات اليوم.

قال صاحبنا بغير تردد كثير: إنه اختفاء الطربوش.

وقد كان صاحبنا موفقا فى جوابه السريع فلو أنه تردد قليلا قبل أن يجيب، لما اهتدى إلى فرق أولى بالانتباه إليه من هذا الفرق الذى يدل على ما جرى داخل الرءوس ولا يقتصر على ظاهرها المكشوف للعينين.

قبل عشر سنين كان عدد الرءوس يعدد ما عليها من طربوش أو عمامة أو طاقية. وكان لون الطربوش الأحمر أسبقها إلى النظر وإن لم يكن أكثرها فى التعداد. وأذكر أن كتبنا أوربيا شهد جنازة الزعيم الوطنى مصطفى كامل رحمه الله. وقد سار فيها نحو مائة ألف مشيع. فقال يصف النعش فوق تلك الرءوس بين مطربشة ومعممة: إن نعش الفقيد كان يخطر فوقها كأنه سفينة تمخر فى بحر من الدم يتخللها الزبد هنا وهناك

إن ذلك المنظر من مناظر الماضى التى لا تعود. فلو سار مائة ألف فى موكب واحد لكان عدد الطرابيش بينهم أقل من عشرة فى كل مائة. فهو ظاهرة تختفى شهرا بعد شهر إن لم نقل أسبوعا بعد أسبوع.. وليس الفرق فى هذا فرقا ظاهريا بين الأمس واليوم. ولكنه فرق فى الحياة العامة وفى الحياة الخاصة، وفرق فى مواقف الفكر فى الوجهة السياسية ومن الوجهة الاجتماعية. وما كان ليحدث لو لم يكن قد حدث فى البلد كما حدث فيه. منذ أن كان ولاية تابعة للدولة العثمانية إلى أن زال عنه احتلال الدولة البريطانية.

عباس محمود العقاد

كان الطربوش فى أول عهده رمزا من رموز الثورة على الجمود. كان السلطان محمود الثانى يريد أن يدخل فى الجيش نظاما غير نظامه العتيق. بعد أن توالت عليه الهزائم فى حروبه مع الدول التى أخذت بالنظام الجديد فى جيوشها وخطر له أن يبتدىء بتغيير الملابس ثم يتبعه بتغيير السلاح والتعليم. فلما أمر الجنود والموظفين بلبس الطربوش بدلا من «الدليمه» أو العمامة الانكشارية. خيل إلى الجامدين على القديم أن القيامة قامت. بل قام فريق منهم بالقيامة التى أوشكت أن تعصف بالبقية الباقية من الدولة. ثم شاع الطربوش كأنه رمز للحرية العصرية فى ذلك الحين.

لكنه لم يلبث أن جمد حرفا ومعنى بعد قليل. فبعد أن كان طريا لينا تضيف إليه الحواشى والبطانة وثبت على وضع واحد. وغلب فيه التقليد على الحرية والاختيار. ونذكر فى أوقات كثيرة أن عادة التقليد كانت تتحكم فى رءوس المطربشين فلا يجسرون على مخالفة الزى الشائع فى الطرابيش. إن كان اللون أحمر قانيا فليس من المقبول أن يلبس أحمر ضاربا إلى السواد. وإن كان مخروطيا فى شكله فليس من المقبول أن يستدير على قطر واحد. وإن كان طويلا مرتفعا فالقصير منتقد مذموم، وإن كان قصيرا هابطا فالمنتقد المذموم أن يرتفع ويطول. بل ربما تدخل العرف المتسلط على الرءوس فى تحديد الموضوع الذى يستقر فيه على الرأس، فلا يستحسن انحرافه إلى اليمين أو إلى اليسار، أو إلى الأمام، أو الخلف. إلا بالمقدار المطلوب. ثم بدأت الثورة على الطربوش مع الثورة على التقليد ولكن طال عمر الطربوش برهة لأن المقابلة بينه وبين القبعة أصبحت كأنها مقابلة بين الوطنية والاحتلال. ولم تتغير هذه النظرة حتى زال بطش الاحتلال وزالت شبهة المصانعة له والتماس الزلفى لديه والآن يعود الطربوش رمزا للمحافظة بعد أن كان رمزا للتجديد فمن يلبسه اليوم من غير المحافظين لمجرد المحافظة، فإنما يلبسه لأنه يفضل شكله على غيره، أو لأنه لا يحتمل كشف الرأس فى الشتاء والصيف أو لأنه ممن يفضلون مداراة الصلع على كشفه للأنظار.

هذه مطالعة من مطالعات الطريق، سمعناها من زائر غريب.. ولكنها إحدى مطالعات كثيرة تعرضها علينا صفحات الطريق. والسؤال مما يمكن أن يعاد مرة بعد مرة. وجوابه فى هذه المرة اختفاء الطربوش. فإذا أعيد مرة ثانية وثالثة فماذا يكون الجواب؟

● ليس الطربوش وحده هو الذي أسرع بالاختفاء فقد أسرع معه رباط الرقبة على اختلاف أشكاله

● مطالعات الطريق بغير نهاية .. وإنها جديرة منا بالنظر الدائم في صفحاتها لأنها صفحات ظاهرة

اعدته على نفسي بعد ان فارقت العالم الغريب . فلم تمض من ربع الساعة دقيقتان حتى كنت امام دكان من دكاكين السجاير والتبغ . نظرت إلى الواقفين امامه فوجدتهم اربعة . واحد منهم طفل في نحو العاشرة والثلاثة الآخرون جاوزوا الاربعين . ومنهم واحد في نحو الستين . اما الطفل الذي يناهز العاشرة فهو كما يظهر رسول يشترى السجاير لغيره . واما الثلاثة الآخرون فهم جميعا مدخنون ومنهم واحد يحمل السيجارة المشتعلة بين اصبعيه .

وليس معنى هذا أن السجاير لا يشتريها اليوم إلا الطفل الذي يشتريها لغيره وإلا المدخن الذي يجاوز الاربعين ليس معناه ان الشبان جميعا لا يدخنون وان التدخين قد اصبحت عادة مقصورة على الكهول والشيوخ . ولكنها مشاهد في الطريق تذكرنا باختلاف المشاهدات فيه بين امس واليوم . فقبل ثلاثين سنة كان من مشاهدات الطريق المألوفة ان ترى شابا بعد شاب يحمل سجارته بين اصبعيه ويطلق دخانها في الهواء . كأنه ينادي المارة من حوله ليقول متحديا ها أنا ادخن . فمن يمنعني . ومن ذا ابالي ؟..

اما اليوم فمن النادر ان ترى شابا يهتم بالتدخين في طريقه ومن اهتم بالتدخين في طريقه فمن النادر ان يشعر بأن هذا التدخين شيء مهم يلفت الانظار .

ما تفسير هذا ؟.. ما تفسير هذا الاختلاف في مسلك الشباب المدخن بين امس واليوم ؟ تفسيره ان الشاب في الجيل الحاضر قد اخذ بقسط من الحرية كان محجورا عليه قبل هذا الجيل . وقد يبدو في هذا القول بعض التناقض عند سماعه لاول مرة . إن الحرية لا تمنع احدا من عمل يريده . فكيف يكون الامتناع عن التدخين في الطريق اثرا من آثار الحرية ..؟

إنه تناقض ولكن لاول وهلة . اما الواقع فهو زوال سبب التحدي والمباهاة بالتدخين في هذا الجيل .

كان الشاب يدخن ليقول انه قد بلغ مبلغ الرجال واصبح مسموحا له بما كان محظورا عليه وهو صغير وكان يستعجل السن التي تجعله في عداد الكبار وتخرجه من عداد الصبية الصغار لأن الحرية كانت حقا محتكرا للراشد الكبير دون القاصر الصغير .

ومثل هذا يحدث في إطلاق الشارب بين امس واليوم . لا ترى اليوم شابا يهتم بطلعة شاربه قبل اوانه لأن الكبار والصغار يشتركون في إحفاء الشارب او تقصيره . ما قبل ثلاثين سنة فقد كان الفتى يستعجل بشاربه الذي لم يتخلف عن الدهن والادوية التي تعجل بنموه بإنبات البرعم . ولا تستريح حتى يحمل الشاربين ويفتل عليهما الامثل والتحوير حتى تقرأ امام عينيه . على سائر العيون .

ومن مطالعات الطريق الكثيرة مطالعة خاطفة سريعة . تمر بنا في لمح البرق ولا تحتاج لأكثر من خمس دقائق في رحلة عامة من رحلات العاصمة . تعرضها علينا صفحات السيارات الحديثة وتقول لنا الشيء الكثير . مما يقال في هذه المطالعات . كان الغالب على السيارات الخاصة قبل ثلاثين سنة أن تصطبغ بثلاثة ألوان وأن تكون السيارة كلها من لون واحد . هذه الالوان الثلاثة هي الالوان السوداء والخضراء والبنية . وكانت كلها تميل إلى الصبغة الداكنة . الغامقة . في اصطلاح اللغة الدارجة .

وتتغير هذه الالوان شيئا فشيئا وتميل من داكنة إلى زاهية . ومن لون واحد إلى ألوان متعددة ومن لمحة راسمة إلى لمحة رشيقة خاطفة . مطالعة تقول كثيرا لمن يريد أن يسألها وجملة ما تقول ان النفوس تميل من الشعور بالهيبة والوقار إلى الشعور بالخفة والحركة ، وأن فضائل الأناة تتحول إلى فضائل السرعة والإقدام . وكل من هذه الفضائل له حق واعتبار .

ولا تنتهي هذه المطالعات في الطريق إلا إذا انتهى الطريق . ولن ينتهي الطريق الذي يتلاقى في طرفيه . فكل نهاية فيه الى ابتداء . وكل نهاية وابتداء الى مفترق والتقاء .

ولكن الطريق إن لم يكن له نهاية ففيه مكان للوقوف . فلنقف فيه عند مطالعة اخيرة تلحق باول هذه المطالعات عن الطربوش . وهي مطالعة تنتقل بنا من الرءوس الى الرقاب .

ليس الطربوش وحده هو الذي يسرع بالاختفاء . فقد اسرع معه رباط الرقبة على اختلاف اسمائه والشكاله والوانه . وقد كان له مكان الصدر تحت مكان الطربوش على الرءوس .

وكان رباط الرقبة بقية من بقايا اللفاع الذي يلف على الرقبة في الاقاليم الباردة ثم زال ذلك اللفاع وبقيت منه هذه البقية الاثرية التي لا تدفع بردا ولا تلزم لوقاية . ولكن الناس يلبسونها بحكم العادة ولا يقصدون بها غير الزينة او اجتناب الخروج على المألوف . ومن فكاهاتها حوار جرى بين طبيب مشهور وقرينته الذكية الفاضلة . قال الطبيب مازحا . وزوجته تحدثه عن سوار تريد ان تشتريه . ان السوار حلية عليكن من قديم الازل . الا ترين ان الاسوار تدل على الاغلال التي تربط بها الايدي . وان الخلاص من الرباط اولى من الاصرار عليه .؟ قالت السيدة الذكية . ورباط الرقبة ماذا تقول فيه . الا يدل على سحب العبيد من الرقاب ؟ تخلصوا منه قبل ان تدعونا إلى التخلص من السوار . وهذا مزاح لا يخلو من بعض الجد . فلا معنى لرباط الرقبة إن لم تكن فيه زينة او وقاية وربما استراحت من جميع الرقاب قبل ان تستريح من الطرابيش جميع الرءوس .

ونعود فنقول إن مطالعات الطريق بغير نهاية وانها جديرة منا بالنظر الدائم في صفحاتها لانها صفحات ظاهرة لمختلف العادات والاطوار . ومختلف الاخلاق والافكار .

عباس محمود العقاد

أحمد عبد السلام البقالي

هل يلحق العرب بالغرب ؟

قالت لي الأمريكية الحسناء زوجة صديقي (كاروبل) بعد تفكير طويل حول أقصر الطرق للخروج بالعالم العربي من التخلف وإلحاقه بقطار الحضارة الغربية السريع :

ـ لاتوجد طرق قصيرة .. ولا أمل للعالم العربي في اللحاق بأمريكا في المستقبل المنظور على الأقل .. إلا إذا توقفت امريكا

وهمس في اذني أحد الجلساء العرب :

ـ عقلية امريكية استعمارية رهيبة !

ولو لم أكن قضيت في أمريكا من السنين ما قضيت ، وسرت في مناكبها طولا وعرضا وقابلت شرائح وعينات بشرية تمثل جميع طبقاتها الاجتماعية ، والسلالية ، والدينية والسياسية ، لكان ذلك رد فعلي أنا الآخر .

فقد اتاحت لي مدة الدراسة والعمل الدبلوماسي بالولايات المتحدة ، لمدة عقد كامل من حياتي ، عشت أثناءه أسابيع عديدة في حقيبة ـ كما يقول الامريكان ـ من طول التجوال ، فرصة ذهبية لسبر أغوار ذلك البلد العجيب ، واخذ انطباع واضح عن ديناميكية الحياة فيه ، والميكانيزمات الخفية التي تحكم نموه وتغيره وامتداده وتقهقره ، وآماله ومخاوفه ..

فهو مجتمع غاية في التعقيد أشبه ما يكون (بنافقاء يربوع) في ضخامة هذا البلد ، أو بخلية نحل مختلفة الثقوب والخروم يسكنها نحل مختلف الاحجام والاشكال والالوان .. لا يعقد [illegible] الا قلة [illegible] واحد هو العمل الدائب والحركة المتواصلة والانتاج الاستهلاك [illegible]

وأول ما يصدم العربي في الولايات المتحدة ، بعد الاطلاع عن قريب على حقيقتها والاشياء التي يحملها وقوتها ، وحيوية شعبها ، وملايين شعث الاختصاص بها ، هو تقزم صورة وطنه العربي في عينيه ، وشعوره بالتفاهة والعجز الشديـــد على مواجهة التحدي الذي يفرضه عليه تاريخه وحضارته الغابرة ، وحمل المسؤولية في رفع أمته الى مستوى هذه الحضارة التي تطوقه من كل جانب .

ولأضرب مثلا واحدا فقط ، ذهبت مرة الى مكتبة الكونجرس لابحث عن عناوين الشركات التي تصنع أجهزة البحث عن المعادن ، وفي غرفة الكاطالوجات التي تحتوي على لوائح بأسماء وعناوين الشركات الصناعية الامريكية ، دهلت لعدد المجلدات الضخمة المسفرة بالحديد ، والمعلقة بوجوهها الى تحت ، في صفوف طويلة ، كل مجلد يحتوي على أزيد من ألف صفحة مكتوبة بخط دقيق توفيرا للمساحة ..

وخرجت وأنا أفكر : (هب أن الغرب اختفى بكارثة طبيعية ، وذهبت معه جميع كنوزه وكشوفه العلمية ، هل يستطيع العالم العربي ، في حالته الراهنة ، شق نفس الطريق والوصول الى نفس القمة في الرقي العلمي والحضاري ؟)

وأمام هذا الانبهار يلجأ كثير من الاعتذاريين عن تخلفنا الى البحث عن سلبيات امريكا ، وبعض مظاهر انحطاطها الاخلاقي الذي هو افراز طبيعي لكل تقدم مادي ..

● ●

بهذه الخلفية المثقلة بالوعي وبالحقيقة المرة كنت استمع الى (كاريل) وأصغي الى صوت عقلها ، معجبا بأفكارها بدل وجهها الجميل .

فلم أزد على أن ابتسمت في يأس وعلقت :

ـ كيف تتوقف امريكا التي قال عنها (ألفين طافلر) في كتابه (صدمة المستقبل) انها قطار بلا سائق يسير بسرعة جنونية في منحدر مظلم ، وركابه متجهون الى الوراء ، وأعينهم معصوبة !

فوافقـــت :

ـ تماما .. امريكا لن تستطيع التوقف حتى ولو أرادت ذلك .. فهي مجبرة على السير .. والسير السريع .. تماما مثل كرة الجليد المتدحرجة من قمة الجبل .. وكلما نزلت كبر حجمها ، وزادت سرعتها .. وهي كفيلـــة بسحـــق كل مـــن يعتـــرض طريقها أو يحاول إيقاف تقدمهـــا ..

فعلق جليسنـــا الشاب :

ـ حتى تصل الى المنحدر وتستنزف كل طاقتها .



● إنها القطار بالإنسان الرشيد ... بطريقة حضوية في معظم محطاتها

● أمريكا لن تستطيع الوقوف طول الوقت ... فهي محكومة على الصعود ... والنزول المتوقع

● تركت الدورة الحضارية توقفت عند العرب لطلبها ... الآن

● الوحدة الآن ... في أمريكا ...

ـ إنها قطار الحضارة الذي قبلها
ووضعت كارول من كأسها وأضافت
ـ أمريكا معجزة السرعة ـ والقوة والنمو المادي ، كالمدمن على الكحول أو الهيروين
مقاطعتها
ـ لنا أن نراها كمن عثر على كنز لا يريد أن يدركه غيره في كل ملقيه ... والكنز هنا هو وسائل التطور والتقدم في كل اتجاه فهي تحوي كل هذه المقامرات الإستكشافية المستقبلية في جميع ميادين المعرفة من (دي . أن . إيه) أي مكونات الخلية البشرية الحية ـ إلى ما وراء مجموعتنا الشمسية ، وما يحويه كل ذلك من أسرار يسيل لها لعاب الرواد !
فقالت مستدركة
ـ ولا أنكر أن التقدم احتكار لأمريكا وحدها ... فمن قبيل الاتفاق أن وجدت في هذا الوضع الحضاري الخاص في هذه الظروف التاريخية الآن ... ولو كانت الدورة الحضارية توقفت عند العرب مثلاً ... أو الصينيين ـ لكان حالهم حال أمريكا الآن فلـ...
ـ يجب أن يكون القياس مع الفارق والفارق الهائل
ـ كيف ؟
ـ إذا كان ما قاله (الفن طافلر) عن نسبة التقدم والتطور في العصر الحديث فسيكون علينا أن نراجع نظرية الدورات الحضارية بشكلها الكلاسيكي

وضحكت (كارول) فبدا رنينها الزرقاوي كموسيقى في شارع سيباستي مخيف فقلت مازحاً
يقول (طافلر) إن التقدم الذي حققته البشرية في الخمسين سنة الماضية يعادل ما حققته في العشر الآلاف سنة الماضية باعتبار ... على ... الشخص ... النشاط البشري ... الحيوانات والنباتات ...
... فيه ... تحدثت (كارول) ... موقفة
ـ بالضبط وهذا ما يحزنني حين أنظر إلى حالة العالم العربي ... والإسلامي الآن ... في يأس من أن يلحقوا بالغرب على الأقل في المستقبل القريب
وتكلم زوجها الذي أستهواه التفاؤل بعد أن ظل صامتاً ، فقال وفي عينيه لمعان ابتسامة متفائلة متعاند لا يريد للعرب روحه الانتصار على نفسه
ـ الا تعتقد أنه يمكن أن تلحق بأمريكا

بل أن تسبقها !
ورفع يديه لتهدئة الضجة
ـ دعوني أشرح
وتوقف ليشعل سيجارته بطريقته المسرحية لتشويق المنتظرين ، وعدّ أطفأ الوقيدة ، ووضعها بعناية في المنفضة بعد ...
ـ حين أطلق الاتحاد السوفيتي أول (سبوتنيك) ، وقف أستاذ محاضر بجامعة (مدريد) يهدّئ من روع الطلبة قائلاً (لا تيأسوا) ! أؤكد لكم أن أسبانيا ، تحت حكم (فرانكو) ستكون أول من يصعد إلى القمر واندهش الطلبة لهذا الخبر المثير ... تساءلوا متسائلين
(كيف ؟ كيف ؟) فرد المحاضر بكل ثقة ـ سنقدم عسكرياً على راهب ، وراهباً على عسكري ، ونستمر في ذلك حتى نصل القمر !
وضحك الجميع إلا زوجته التي ربما كانت سمعت النكتة ما يكفي لتضع يديها على أذنيها وتصيح ... فحدجته بنظرة زرقاء وقالت
ـ كنت متأكدة من أنه سيفسد الحديث وينزل به إلى مستواه ... ثم وجهت الكلام إليه
ـ بحق السماء ... نحن نتحدث بجد
فلم يبله ذلك ... بل أعاد الكرة قائلاً
ـ لحسن الحظ ليس لنا رهبان في الإسلام ... ولكن في العالم العربي يمكن تعويضهم بالموظفين
ثم انتقل بسرعة إلى موضوع حديثنا
ـ الآن سأتكلم بجد ... سأحكي لكم حدثاً عشته يمكن اعتباره مقياساً لما نحن بصدده
كان لنا فريق ممتاز لكرة القدم في (أصيلا) ... كانت له ملابس وأحذية وجوارب في مستوى أي فريق دولي ، وكان يخضع في تداريبه ولعبه لجميع قوانين كرة القدم الدولية ... وذات يوم قدم إلى (أصيلا) فريق من قرية مجاورة ليلعب مع فريقنا ... ويظهر أن كل ما تعلمه الفريق الخام من قوانين

هل يمكننا اللحاق بالغرب؟

اللعبة هو أن يدخل الكرة في شبكة الفريق المنافس .. بأي طريقة وبدون استثناء .. الصفع، والعض، والخدش، ونتف الشعر، والارتماء على الساقين، وقطع البطون، وركل السراويل .. إلى غير ذلك
وتوقف لينظر إلى وجوهنا بعينيه المنتفختين .. وسأل:
ـ أتعرفون أي فريق فاز؟ فريق القرية! عاد إلى قريته منتصرا على أبناء المدينة غير عابىء باحتجاجاتنا على عدم انضباطه واتباعه للقانون!
فالتفتت إليه زوجته ساخرة:
ـ هل تسمح بربط الصلة بين حكايتك هذه .. وحديثنا السابق؟
فاستمهلها بدم بارد .. ونطق من خلال دخانه:
ـ لماذا يجب على العرب أن يلاعبوا أمريكا في ميدانها .. ويتقيدوا بقوانين لعبتها؟
وقلت وإنسان في تفكير:
ـ هذا رأي وجيه .. فماذا تقترح؟
ـ فتطوعت بالاجابة زوجته التي كان يثير أعصابها أسلوب تفكيره اللاأرثوذكسي
ـ نحضر أمريكا .. ونخدشها، ونركلها من الخلف؟
فرد زوجها بهدوء صابر:
ـ ليس تماما .. إذا كنا لا نستطيع منافسة الولايات المتحدة في ميدان البحث العلمي .. والتقدم الصناعي .. والثراء المادي .. والجبروت العسكري .. فهناك ميدان يمكن منافستها فيه .. وهو الميدان الروحي والانساني .. فالانسان واحد في جميع أقطار الارض .. وهو القاسم المشترك بين جميع الدول .. فقيرة كانت أو غنية فإذا استطعنا أن نوجه الانسان العربي إلى الامتياز في الآداب والفنون، وجميع العلوم الانسانية .. أي انتقال انطلاق الصاروخ العربي في الميادين الأخرى، أمكننا اللحاق بأمريكا، وتساوت الأكتاف على الاقل على المستوى الانساني
فقلت مكررا كلمته:
ـ إذا أمكننا! وبخط أحمر سميك تحت (إذا) فإذا أمكننا توجيه الشعب العربي نحو أي شيء .. انحلت المشكلة!
فاعترض على تشاؤمي بحماس:
ـ لماذا لا؟ لا يحتاج الأمر إلا إلى مجموعة من الشباب الواعي في كل بلد عربي ليقود هذه (الحركة التجريبية) التي لا تحتاج إلى تمويل كبير .. ولا ترجع إلى نظام سياسي .. كل ما تحتاجه هو جماعة من القادة الرواد المفكرين المقتنعين بهذه الفكرة .. ويجلسون .. ويخططون .. ويستقطبون من يصلح للتعاون معهم .. يـــدل أن نظل جميعا نجتر أحلامنا بقطتنا تعويضا عن عصرنا وتهافتنا .. [illegible] أن نشترك في هذا الاتجاه [illegible] الذي يشجع المواهب الفطرية [illegible] .. [illegible] .. [illegible] .. وبذلك نكون قد خطونا أول خطوة في اللحاق به
فنطق جليسنا الشاب:
ـ هذا إذا افترضنا أن أمريكا متوقفة أو ميتة تماما على هذا الصعيد
فرد صديـــقي:
ـ أؤكد لك أن أمريكا ماتت روحيا .. قتلتها المادة .. وأصبح (الدولار) أعلى قيمها على الاطلاق .. وأصبح شبابها يعيش في فراغ روحي قاتل .. حتى أنه أصبح صيدا حلالا، وملكا مشاعا لمحترفي الشعوذة من رجال الشرق الأقصى .. يغسلون أدمغته .. ويستغلونه في جمع الأموال .. والثراء الشخصي
فتدخلت كارول قائلـــة:
ـ هذا صحيح .. كثير من الشبان هذه الأيام يتعرضون لنوع من الاختطاف المقنع بحيث تتقدم لهم فتيات جميلات .. يأخذنهم إلى مراكز الشعوذة هذه حيث يتم غسل أدمغتهم في غفلة منهم .. فيتخلون عن [illegible] اندماجية .. وينخرطون في هذه الطرق المشبوهة .. وحين تتمكن منهم هيستيرية الطريقة يرسلونهم للمدن لجمع الأموال عن طريق بيع الورد أو التسول لصالح مؤسسة انسانية وهمية .. وهذا ما فعله مشعوذ من كوريا الجنوبية يسمى (مون) له عدة مراكز لتجنيد الانصار .. بقصد الاستيلاء على البلد بكامله!
وأضاف زوجها:
ـ ولا ننس مذبحة المجنون (جيم جونز) بغيانا .. ذلك الانتحار الجماعي الرهيب حين افتضح أمره .. وهناك طرق كثيرة أخرى تعمل لتفجير أمريكا من الداخل .. وقد عرفنا عن جماعة (جونز) .. وجماعة (مون) لأنهما افتضحتا .. الأولى بالانتحار .. والثانية بكتاب نشره أحد أتباعها وهو شاب يدعى (جاك إدوارد) عن كيف تم استدراجه .. وتجنيده .. وغسل دماغه .. ثم تسخيره لجمع الأموال .. وكيف اختطفه أبوه بالقوة بمساعدة فريق مختص في انقاذ هؤلاء الضحايا .. ثم عملية غسل دماغه من جديد .. وإعادته إلى واقعه السابق
فصاح جليسنا الشاب:
ـ يا إلهي! ماذا تفعل المؤسسات المسيحية أمام هذا الغزو الخارجي؟
فأجاب صديقـــي:
ـ المسيحية عاجزة تماما عن استبقاء أنصارها .. ولو أنهم وجدوا فيها ما يملأ فراغ أرواحهم لما هجروها إلى مثل هذه الترهات!
فوافقت كارول معلقة:
ـ هذا صحيح .. وقد لمست في زيارتي الأخيرة للولايات المتحدة أن (الموضة) الجديدة هي الاسلام
فضحك الشاب قائلا:
ـ تتحدثين عن الاسلام (كتقليعة) عابرة تأتي وتروح .. مثل (الهيبي) أو (الماكسي) أو (ألفيس بريسلي)!
فردت مخالفـــة:
ـ لم أقصد ذلك .. لو وجد الاسلام دعوة ذكية منظمة في أمريكا لانتشر فيها قبل نهاية هذا القرن .. ولملأ الفراغ الهائل الذي يعيشه الأمريكيون .. فهو يختلف عن المسيحية بانسجامه مع طبع الانسان .. ورغبته الفطرية في الطهارة والأمن النفسي .. ويختلف عن بقية الطرق المشعوذة بأصالته وجوده عبر القرون .. وبانتماء هذا العدد الهائل من سكان المعمورة إليـــه
فتساءل الشاب:
ـ فماذا ننتظـــر؟
فردت كارول:
ـ نعـــم .. ماذا ننتظـــر؟





أحمد الأدندانى

وادى حريدين

فى أواخر الخمسينات ، عملت مع أخى الشهيد أحمد محمد الأدندانى طيب الله ثراه ، بتكليف من المساحة الجيولوجية المصرية ، فى استطلاع وسط وشمال سيناء ، وهى المنطقة المسماة فى عرف الجيولوجيين باسم (حوض وادى العريش) ، وكان أحمد ، رحمه الله ، مولعا بضرورة الاندماج التام مع البدو للتعرف على أحوالهم ومثالياتهم ، والاستعانة بهم فى فهم حياة الصحراء ومسالكها ودروبها ، مع تدريبهم على كيفية المعاونة فى مضمار البحث عن (الثروة المعدنية) ، وبذلك تحقق لنا معا ، كثير من التوفيق فى تفهم حقائق عن جيولوجية سيناء ، تكتونيا ، واقتصاديا ، وخاصة فى أعالى روافد وادى العريش ، ذلك الوادى التاريخى ، الذى يشبه النهر ، إذ تغذيه روافده بماء المطر الوفير شتاء ، حتى يبلغ مداه عند (العريش) على ساحل البحر المتوسط ، مما جعل (بنى قريظة وقينقاع) يصرون ، على محو ذاكرة الرأى العام (العلمى) فى هذه الأيام بأن ما يسمى فيما بين أيديهم من التوراة ، والتلمود ، والمشناه ، يقدم (نهر مصر) أو الحدود الجنوبية (للأرض الموعودة) هو وادى العريش ، ولهذا طردوا بعثة علمية أمريكية بعد نكبة ١٩٦٧ أثبتت تحاليلها وجود آثار مصرية قديمة العهد فى وادى غزة ، تنفى ما يدعونه من تزوير للتاريخ فى أضابيرهم ... ومن روافد وادى العريش واحد يأتى من منطقة (العوجة حفير) فى جنوب فلسطين ، يسمى (وادى حريدين) ، ويتخذ هذا الوادى طريقه من الشرق الى الغرب خلال كتلة معقدة من الكثبان ، حتى يتصل بوادى العريش على بعد نحو من عشرين كيلو مترا جنوب البحر ، وكانت كثافة الكثبان الرملية التى يخترقها ذلك الحريدين ، قد طمأنت القيادة المصرية ، وأدخلت فى روع (عباقرة) خطة ١٩٦٧ ، أن العدو لايمكن أن يتخذ هذا الوادى محورا لأى هجوم على العريش من الجنوب ... ثم تبين أن العدو كان قد توصل الى صنع دبابات (فى غفلة من كل أجهزة المخابرات) ذات (جنزير) محسوب العرض والسمك ، بحيث تسير به الدبابة بكل رشاقة ناقة طرفة بن العبد المشهورة ، على الرمل الناعمة ... وفوجئت مجموعة القوات المصرية بسيل هادر من المدرعات والمجنزرات والدبابات يتجه مع وادى حريدين نحو الطريق الرئيسية بين أبى عوقيلة والعريش ، فأرسل القائد المسئول يطلب ذخيرة للمدفعية الصاروخية من مخازن (القاعدة) ونسى ، فى وطيس المعركة ان يوقع على (استمارة الصرف) أو يختمها بخاتم اللواء ، فكان أن رفض (أمين المخزن) صرف الذخيرة المطلوبة طبقا (للروتين) ، واضطرت القوات بعد نفاد ذخيرتها ، الى الانسحاب غربة صوب (جبل لبنى) ، وظلت الذخائر فى المخازن حتى استولى عليها العدو بدون (استمارة موقعة) ، فوجد أحمد رحمه الله ، أن البدو قد أضافوا تاريخا جديدا الى هذا الوادى إذ أنه قد علم منهم قبل سنوات ، أن من أساطيرهم التى يتخذونها حقائق تاريخية ، أن وادى حريدين كان يقيم فيه (ضبع) جسور شرس ، لا يفتأ يقطع طريق القوافل ويتعقب بالأذى الرعاة وإبلهم ، حتى أصبح مضرب المثل فى الوحشية ، ومبعث الخوف لكل سالك ، ومنتهى أية تهمة عندما تضيع ناقة أو عنزة على يد سارق عابر أو لص محترف ، فقال البدو (أكل ضبع حريدين بهيمة فلان بن فلان) ولا يصبح البهيم محل للبحث عن الفاعل الحقيقى ، مادام ضبع حريدين منتجعا مستمرا خالدا ، تعلق عليه كل أفعال اللصوص وقطاع الطرق من الضباع البشرية .... ولست أدرى على وجه اليقين إذا كان هنالك فى أية صحراء عربية واد يسمى باسم (حريدين) غير ذلك الذى ذكرت ؛ ولكنى أعتقد ، على وجه اليقين ، أن عالمنا العربى ملىء ، بالتأكيد ، بمخلوقات ، معدة لأن تلصق بها صفات (ضبع حريدين) وتتخذ مشاجب لنعلق عليها أدراننا ، ونعزو إليها كل نتيجة سيئة يصل إليها تخطيطنا الذى نقوم به (دون ضغوط خارجية) أو نأى من (الاستعمار والصهيونية والمذاهب الهدامة) ، فهل أن الأوان يارب لكى (تلعصف عمر) ضباع حريدين المتخذة مشاجب فى وطننا الكبير ، وتمنحنا القدرة على الإقلاع عن البحث عن (مشاجب) بل أن نبحث فى داخل نفوسنا عن حقائق أسباب تعثراتنا وفشلنا فى كثير مما نعمل أفرادا وجماعات حتى وصلنا الى ما نحن فيه من تمزق وشتات وضياع ؟؟ .

قال لى أحمد ، رحمه الله ، ذات يوم ، بعد أن حرنا فى معرفة أسباب احتراق إحدى خيامنا فى (منطقة عيون موسى) اسمع : لابد وأن الذى حرق هذه الخيمة هو (ضبع حريدين) وأخشى أن يظل هذا الضبع العجيب يطارد أمتنا الجريحة الى آخر الدهر . وفعلا مضى هو الى جوار ربه قبل أن تظهر أية علامات على هلاك ذلك الوحش الوهمى ..

درويش مصطفى الفار

د. حسين مؤنس

كلام في السياسة



نابليون — إيدن — بسمارك

في ندوة من ندوات الشباب التي أدعى إلى الحديث فيها بين الحين والحين سألني واحد منهم:

— لماذا لا تكتب في السياسة؟ ألست ترى مشاكلنا المتراكمة والظروف العسيرة التي تمر بنا؟ فما بالك إذا كتبت رجعت إلى الماضي تحدثنا عنه، وباعدت ما بينك وبين الحاضر كأنه لا يعنيك!

قلت — ومن قال لك إنني لا أكتب في السياسة؟ إنني أكتب في التاريخ والأدب حقا، ولكن هذا في صميم السياسة، ذلك أن السياسة لم تعد اليوم لعبة نفر قليل من الناس مهمتهم الوصول إلى السلطان وحكم الناس والتسلط عليهم، والاجتهاد في البقاء في السلطان جهد الطاقة. تلك كانت السياسة في الماضي، أيام بني العباس وأيام الملوك في أوربا في العصور الوسطى، وأيام لعب السياسة الطويل العريض خلال القرن التاسع عشر، عندما كان يقود الناس رجال من أمثال نابليون وتاليران ومترنيخ ولويس نابليون ودزرائيلي وبالمرستون وغلادستون، فهؤلاء قوم كانوا يعتبرون مصائر الناس ويلعبون بمصالحهم لعبة غير شريفة، وهم بعملهم هذا قد أتاحوا الفرصة لرجل مثل كارل ماركس لينادي بهدم العالم الزائف الذي كان هؤلاء الناس سادته، فقد قال لهم ما معناه: أيها السادة إنكم كذابون منافقون، أنتم تضحكون على البسطاء وتستغلون عواطفهم، لأن الشيء الوحيد الذي له قيمة في حياة الأمم هو العمل، وبدون عمل فلا تقدم ولا رخاء ولا ثروات ولا دول، والعمل لا يتم بغير عمال، فالعمال هم أساس القوة كلها، فما بالكم تعيشون بهم وتشترون عملهم بأبخس الأثمان، ثم تجمعون المال وتضعونه في أيدي من تسمونهم الأشراف وأصحاب الألقاب ولحساب رؤوس الأموال؟

من ذلك اليوم بدأ الناس يفتحون عيونهم وتغير معنى السياسة، فلم تعد كما ذكرت في اللعب بالسلطان، لأن السلطان ليس لفئة ... وإنما أصبحت السياسة ... المجتمع ... جهود الناس ... وأصبح العامل ... هو الأساس الذي يقوم عليه اليوم حياة الناس، والعمل ... الذي جعلهم ... في عالم اليوم، والعمل لا نراه بحسب العمل اليدوي بل كل جهد بشري يقوم على علم، فهناك في كل بلد عمال يعملون في المصانع الصغيرة والكبيرة، ومهندسون وإداريون واقتصاديون يديرون هذه المصانع، ورجال وظيفتهم تسويق ثمرات العمل، وهناك كذلك زراع يفلحون الأرض، ومهندسون زراعيون يرسمون خطط الإنتاج الزراعي، وهناك معلمون يعلمون في المدارس والمعاهد والجامعات، وكتاب وأدباء ومؤرخون ومفكرون وكذلك مسرحيون، وكل جماعة من هؤلاء تكون تيارا أو ميدانا من ميادين النشاط العام للبلاد، ووظيفة رجل السياسة اليوم هي تنسيق جهود أولئك العاملين جميعا وتنشيط العمل في كل ميدان من هذه الميادين وتوجيه الحصيلة العامة لما فيه خير المجموع.

وأنا كما ترى عامل، وميدان عملي هو الميدان الثقافي بصورة عامة، فأنا أعلم وأكتب وأنشر وأساهم على قدر ما أستطيع في بناء صرح الثقافة العربية أو في تقديم غذاء ثقافي سليم للمواطن العربي، والثقافة هي أسلوب حياة الشعب وطريقة تفكيره ومستوى ذلك التفكير، فكلما ارتفع المستوى الثقافي للشعب وغنيت حياته بالمادة الثقافية كان ذلك أعون للشعب على التقدم والنصر في معركة الحياة.

فأنا أعمل إذن في تيار كبير من تيارات الحياة العربية هو تيار الثقافة، وغيري يعمل في ميدان الاقتصاد أو الطب أو الهندسة أو التجارة أو الزراعة، وكلنا نعمل في ميدان السياسة، لأن جهودنا هي التي تكون التيارات التي يعمل رجل السياسة المتفرغ لها على التنسيق بين هذه التيارات والإفادة من تلك الميادين على أحسن وجه يستطيعه، فنحن السياسة وهو منسق السياسة، ونحن الإنتاج وهو الذي يعمل على أن يفيد الوطن من ذلك الإنتاج.

وإذن فأنا في اشتغالي بالثقافة أعمل في ميدان السياسة، إنك ستلجأ إلى المستنيرين في الصحافة، وستلجأ إلى الكتب في الأدب، وستلجأ إلى كتب القصص، فكل هذا تيارات أو خيوط تتكون منها قوة الشعب العربي.

ويكون الخطأ عندما أترك ما أعطاني الله له من العمل العلمي الثقافي وأتجه إلى العمل السياسي المباشر كما يريد مني ذلك الشاب، هنا أنا أخسر العمل فقط، وأتخلى عن موقعي في ميدان العمل القومي العام.

ويكون الخطأ كذلك إذا سعى رجل

- أصبحت السياسة في التنسيق بين جهود العاملين من أبناء الأمة
- العاملون وحدهم هم الذين يحسب لهم حساب في عالم اليوم
- إذا دخل رجل العلم في السياسة أفسدها وأفسدته

السياسة إن عمله اليوم هو مجرد التنسيق بين جهود العاملين في الأمة ، وتحديد مسار الأمة كلها على أساس ثمرات جهود العاملين في كل ميدان ، ويكون الخطأ إذا حسب رجل السياسة أنه يفهم في كل ميدان أكثر مما يفهم أصحابه إذا تصور أنه عالم واقتصادي وزراعي ومهندس وطبيب ، وتصدى لرسم المسار لكل ميدان ليحقق هدفا يرتسم في ذهنه ، لأنه مهما بلغ عمله لن يستطيع الإحاطة بكل شيء ، ويكون ما يعمله خسارة على الأمة ، لأنه يعطل جهود العاملين ويحول دون الإفادة منها ويوجهها كلها توجيها خاطئا . وتلك كانت خطيئة الكثيرين من رجال السياسة في العصر الحديث ، وأكبر مثال لذلك هو أدولف هتلر فلا شك في أن ذلك الرجل كان ذكيا وقادرا وكان قائدا مطاعا للشعب ، ولكن خطأه الأكبر جاء من أنه رسم سياسته على أساس الانتقام ممن تصور أنهم كانوا سبب هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ، فتدخل في شئون الجامعات والتعليم ودس أنفه في التجارة والمال ، وزعم لنفسه أنه عسكري يفوق العسكريين المتخصصين في فن العسكرية ، فعطل كل جهود شعبه وساقه إلى الدمار .

الخداع والكذب

وقد تحدث ابن خلدون في السياسة حديثا طويلا ، ولكن يحضرني من كلامه في ذلك الفن قوله إن الفقيه - أي رجل العلم بمفهوم عصر ابن خلدون - إذا دخل في السياسة أفسدها وأفسدته ، وهذا حق ، فإن لرجل العمل مكانه وعمله ، فإذا تخلى عنه ودخل في غيره أضاعه وأضاع نفسه .

وقد كتب ابن خلدون هذا الكلام وفي ذهنه مثال واضح جدا للسياسي القديم ، وهو محمد بن أبي عامر الفقيه الأندلسي الذي تخلى عن ميدانه وهو الفقه ودخل ميدان السياسة على أساليب السياسة القديمة ، وهي الخداع والكذب والوصول إلى



هتلر

السلطان بأي طريق ، ثم المحافظة على كراسي السلطان بأي الطرق كذلك .

وسكان الأندلس من أنجب شعوب أمة العروبة ، فقد كانوا شعبا ذكيا متعدد ميادين النشاط يمتاز في بعض هذه الميادين ، وكان النتاج لهذا الشعب في كل ميدان عزيزا ، وبفضل السياسة الحكيمة التي سار عليها أمراء بني أمية وخلفاؤهم في الأندلس ، فقد كانت غالبية هؤلاء الأمراء والخلفاء تفهم السياسة أحسن فهم ، كانوا يفهمونها على أنها تنسيق بين جهود ذلك الشعب الذكي ، ولم يؤثر قط عن عبد الرحمن الأوسط أو عبد الرحمن الناصر أنهما تدخلا في صناعة الصناع ، أو زراعة الزراع ، أو علم العالم ، إنما هم جعلوا أنفسهم فوق ذلك كله ، واكتفوا بتشجيع أصحاب المواهب والتنسيق بينها في ذكاء ومهارة . ولقد كان عبد الرحمن الناصر لدين الله يقود جيوش الخلافة بنفسه ويفرض آراءه على العسكريين حتى منى بهزيمة قاسية في معركة تسمى الخندق ، فترك القيادة لأهلها واكتفى هو بعمله الحقيقي كرئيس للدولة ، وهو تشجيع العاملين والتنسيق بين جهودهم ، ولهذا فقد نجح عبد الرحمن الناصر في عمله خليفة للأندلس كما لم ينجح خليفة أو أمير من قبله .

ثم جاء صاحبنا محمد بن أبي عامر ، فمازال يدفع الناس بمنكبه حتى وصل إلى الحجابة ، وهي رياسة الوزارة ، ثم تدخل في كل الميادين حتى شل نشاط الناس أجمعين ، ولم يعد أحد يعمل في البلاد غيره ، حتى القيادة العسكرية زعمها لنفسه وجعل نفسه قائدا أعلى ، ومضى يقود الجيوش ، ويزعم المؤرخون أنه لم تهزم له راية قط ، وربما كان هذا حق ، فقد كانت معظم غزواته ضربات سريعة قليلة الأثر ، ولكن الذي انهزمت رايته على يد المنصور محمد بن أبي عامر كانت أمة الأندلس كلها ، فقد أهلكها لكي يبني مجد نفسه ، وطارد أصحاب المواهب والقدرات في كل ميدان حتى لم يبق إلا هو في الميدان ، فلما مات سنة ١٠٠٢ ميلادية كان كل شيء في الأندلس قد مات قبله . كان قد قضى على كل رجل ذي ملكة سياسية ، وتعقب بالقتل والسجن كل النابهين من رجال البيت الأموي حتى انفرد هو بالسلطان الأعلى والرأي الأوحد في كل باب ، وأورث ملكه هذا لابنه ، ثم ابنه الثاني ، وعليه قامت ثورة الأندلس كله سنة ١٠٠٩ أي بعد سبع سنوات فحسب من وفاة هذا الطاغية ، وبدأت الفتنة التي قضت على خلافة قرطبة سنة ١٠٣١ وبقية تاريخ الأندلس بعد ذلك لحن جنائزي طويل استمر أربعة قرون لم تقم للأندلس خلالها قائمة حتى قضي أمره وانتهى على يد فرناندو وإيزابيلا سنة ١٤٩٢ ميلادية .

وهذا الرجل - مثله في ذلك مثل هتلر وموسوليني ونابليون ، وبسمارك ، ودزرائيلي وغلادستون من رجال السياسة القديمة ، مخرب ، وهؤلاء جميعا مخربون والذي جعلهم مخربين هو أنهم لم يفهموا أن السياسة هي التنسيق بين جهود الشعب وتيارات نشاطه وإنتاجه وتوجيهها في مسار متناسب مع هذه الجهود ومقدر على أساس ملكات الشعب وقدراته . فمن الأخطاء البالغة للكثيرين من قادة الأمم أنهم يتخيلون أحلاما ويفرضون شعوبهم على تحقيقها فيوهم الشعب بذلك ويسقط في

العرق . ومن أمثلة ذلك في القديم الاسكندر الأكبر ، الذي تصور أنه يفتح الدنيا بشعبه المقدوني . فلقي عبره القصير يحارب الشعوب من حدود أوربا إلى الهند شرقا ، ثم أعياه الجهد فمات فيما يعرف الآن بأفغانستان . وظل الشعب المقدوني كما كان قبله ، فقد استهلكه هذا الرجل الأحمق كله .

ومن أمثلته في العصر الحديث بنيتو موسوليني ، الذي تصور أنه يصنع من الإيطاليين اليوم رومان الأمس ونسي أن يوليوس قيصر نفسه لو عاش في أيامنا لما كان أكثر من جنرال في أحد الجيوش الأوربية . ومضى موسوليني يحاول أن يبني بشعبه الإيطالي امبراطورية رومانية ، فإذا هو قد انتهى أمره معلقا في عمود مشنقة في مدينة كومو في إيطاليا . وأما شعبه الإيطالي فقد قادهم إلى الهزيمة بعدما في التاريخ . فقد دخل هذا الشعب الحرب الكبرى إلى جانب الألمان محاربا للانجليز والفرنسيين والأمريكيين ، وخرج منها محاربا الألمان إلى جانب الانجليز والفرنسيين والأمريكيين . وهذا كله من عمل ذلك المغرور الفاشل بنيتو موسوليني .

صناع المأساة

وكل هذا الطراز من السياسيين يجني على نفسه وشعبه المصائب ، بل هو لا يمكن أن يجلب على شعبه إلا المصائب ، لأن السياسة ليست تحقيق أحلام إنسان واحد مهما كان ذلك الانسان . وليست خداعا واحتيالا للوصول إلى السلطان ثم الاجتهاد في المحافظة على السلطان .

ولقد تعودنا أن نعجب بسياسة الانجليز ونتحدث عن نجاحهم ومهاراتهم في خدمة بلادهم . فإذا تفكرنا في أمور سياساتهم الأنانية الشريرة وجدنا أن انجلترا اليوم شعب في ذكر سياستها من وليمي ، الأصفر إلى وينستون تشرشل . فقد كان هم السياسي البريطاني خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر خداع شعوب الدنيا لحساب بريطانيا ، فبنوا الامبراطورية واستغلوا شعوب الدنيا ، فانتهى الأمر بالانجليز اليوم تراهم — رغم علمهم وتشاطهم وتفوقهم في كل ميدان — لحكام شعوب أوربا

بالمشاكل والمآسي ، ولقد كانوا يحسبون بلاد الناس أعصر الناس عن آخر مستعمراتهم السابقة يحققون بلادهم ويكلفونهم ما لا يطيقون .

وما من مشكلة يعانيها العالم اليوم إلا ويدا فيها عدد من ساسة بريطانيا من أولئك المكارين الدهاة . فهم صناع مأساة فلسطين . ومن غيرهم خلق تلك المشكلة ؟ وهم صناع مشكلة قبرص . وهم صنعوا مشكلة روديسيا . وهم سبب المآسي التي تعاني منها الهند . وهم السبب الأكبر في مآسي مصر والسودان . وإن الانسان ليتطلع اليوم باحتقار دائم إلى رجال من أمثال دزرائيلي وبالمرستون وكاسلريه وتشارلس غوردن وصموئيل بيكر وصموئيل هور ولويد جورج وبقية السلسلة إلى أنطوني إيدن لأن أولئك الرجال أرادوا بناء مجد شعب واحد على أشلاء بقية الشعوب ، فحطموا الشعوب الأخرى ثم انتهوا في النهاية بتدمير الشعب الانجليزي نفسه .

وما من أهل سياسة كانوا أعون لكارل ماركس في عمله من الانجليز ، فهم بناة الرأسمالية البغيضة التي جعلت العمال المعذبين في عالم الرأسمالية الانجلو ساكسونية يصغون لكلام ذلك اليهودي الخبيث . وإذا نحن تأملنا الأمور مليا وجدنا سياسة الانجليز وراء كارثة الشيوعية . فلولا سياسة الاستعمار المهلكة التي انتهجها ساسة الانجليز واستمسكوا بها إزاء الشعوب لما كان للشيوعية هذا النجاح كله بين جماهير الشعوب التي أهلكها الانجليز وساسة الانجليز .

● ● ●

وبعد ، أيها القارئ ، أتريدني بعد ذلك أن أترك ما أنا فيه من خدمة الثقافة وأنصرف إلى السياسة ؟

لعل الله يرى أن نتخير في العمل السياسي كما يبينته خير مما نستحسن به ، ولو تأملت ما قلت فلعلك معاشر في السياسة على هذا النحو الذي أسير عليه ، فأنا في صميم السياسة دون أن أتصدى للسياسة ، وأنا في خدمة العلم والثقافة أحرص على الأقل ما لا ينفع ، فإذا أنا دخلت السياسة فلا أنا فاهم ما أصنع ولا أنت فاهم !

د. حسين مؤنس

جلادستون

دزرائيلي

موسوليني



فنون الرقص الشعبي في قطر

تحقيق : ساكد درويش

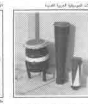
إن الحديث عن الرقص الشعبي القطري أو الخليجي بصفة عامة لابد وان يجعلنا نعتلي احدى مراكب الصيد أو مراكب الغوص على اللؤلؤ ، حتى نتمكن من استعراض فنون الرقص البحرية بالاضافة الى فنون الرقص الشعبي البرية المنتشرة في هذه المنطقة .

وفنون الرقص الشعبي القطري متعددة الاشكال مختلفة الأداء .. من أهمها العرضة (الرزيف) ، السامري ، الخماري ، الليوة ، الطمبورة ، العالنوري والهبان ، بالاضافة إلى الفنون البحرية بأنواعها المختلفة .

رقصة العرضة (الرزيف)

وهي من أشهر الرقصات الشعبية الجماعية المنتشرة في قطر والتي تعود إلى أصل عربي عريق حينما كانوا يرقصون رقصة السيف التي غالبا ما كانوا يرقصونها في مناسباتهم الوطنية وغزواتهم وانتصاراتهم . ورقصة السيف هذه استمرت الى يومنا هذا مع شيء من التطور واستخدام البنادق بجوار السيوف بعد أن استخدمت البنادق في الحروب ويكون الرقص في العرضه جماعيا بعدد غير محدود ، حيث يرزفون في صفوف منتظمة على انغام الطبول والطارات وهم يحملون السيوف وحرابها وكذلك البنادق ، ويقف حاملو الطبول والدفوف (الطارات) في حلقة الرقص ، وعندما تشتد الموسيقى وتزيد سرعتها ..

الآلات الموسيقية العربية القديمة



الإيقاع الدائري والتفنن الراقص



حلقة رقص



فلك تتشاهد موجات متلاطمة من السيوف والبنادق التي يحملها الراقصون ، وبين الحين والآخر تتوقف الموسيقى لدقائق حتى يرتاح الراقصون قليلا ، ثم تعود للعزف مرة أخرى . ورقصة العرضة ، التي تقام في الأفراح والأعياد والمناسبات الوطنية والخاصة تعني الرجولة والفروسية والشجاعة .

رقصة الليوة

ومن الرقصات الشعبية أيضا ـ رقصة الليوة ... التي تختلف في الأدوات التي تستخدمها عن رقصة العرضة .. فهي تستخدم الصرناي كآلة رئيسية وهو أقرب ما يكون إلى المزمار من ناحية الشكل ... والمزمار آلة موسيقية عربية قديمة وغنية عن التعريف . كما يستخدم فيها صفيحة من التنك يطرق فوقها النغم بواسطة قطعتين من الخشب ، هذا بالإضافة إلى ثلاثة طبول أحدها كبير واثنان آخران يعرفان باسم مسوندة ومسوندة صغير .

ويقف الراقصون في حلقة متسعة بعضهم يحملون العصي ، وعندما تعزف الموسيقى أنغامها يبدأون بالرقص في شكل دائري حسب نغمات الموسيقى .

أما ، القويدي ، (مطرب الليوة) فهو الذي ينشد اللحن بواسطة الصرناي ثم يردد الراقصون الكلام بعده .

رقصة الطنبورة

« والطنبورة » اسم الآلة الموسيقية الرئيسية التي تستخدم في هذه الرقصة ... وهي آلة موسيقية عربية قديمة جدا .. كانت تسمى فيما مضى « الكنارة » وقد جاءت تلك التسمية مشتقة من الاسم البابلي « كنازوم » والتي وردت في الكتابات المسمارية ولا تزال هذه التسمية العربية « كنارة » مستخدمة في الوقت الحاضر في أجزاء من بلاد الهند ... ولكن الكنارة أصبحت تعرف في كثير من البلاد العربية باسم السمسمية وصندوقها الصوتي مستطيل كما تعرف في منطقة الخليج العربي باسم «الطنبورة» ، وصندوقها الصوتي دائري الشكل ، ويعتبر أقدم ظهور لآلة الكنارة في العالم في العراق حوالي سنة ٢٧٠٠ قبل الميلاد كما جاء في كتاب الدكتور صبحي أنور رشيد ـ الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية ـ . كما أن مؤلف الكتاب قد شاهد بنفسه في ضواحي مدينة العلا بالمملكة العربية السعودية سنة ١٩٦٩ كتابات ورسوم منقوشة على جبل عكمة ومن ضمنها مجموعة من الكنارات هذا بالإضافة الى أن التنقيب على الآثار في جزيرة فيلكا بالكويت قد أظهر ختما منبسطا عليه مشهد عازف على كنارة شبيهة بالكنارة السومرية .

وبعد هذه النبذة عن هذه الآلة الموسيقية العريقة نعود الى الرقصة المشهورة بنفس الاسم .. حيث يوجد بالإضافة الى الطنبورة أربعة طبول

رقصات السيدات

القتال على اليمين وآخران على اليسار ثم صفين من الراقصين امام الطبول .. احدهما للرجال والاخر للنساء . وقد يكون الصفان للرجال في بعض الاحيان .
ثم تبدأ الموسيقى بالعزف ويبدأ الراقصون بالتحرك حيث يسير الصف الأول في اتجاه الصف الاخر حتى يصلوا إليهم ثم يعودوا ادراجهم الى الوراء فيبدأ الصف الاخر بالتحرك في اتجاههم وهكذا .

رقصة الهبان

والهبان أيضا اسم لآلة موسيقية أشبه ما تكون بآلة موسيقية قديمة هي مزمار الجراب والتي تتألف من قربة (جراب) من الجلد وفيه ينفخ العازف بواسطة المزمار ويكون عادة في القربة مزامير اخرى لاخراج الصوت من نفس الجراب بعد الضغط عليه .

وهي رقصة جماعية يقف عند ادائها الطبل في المقدمة ثم الهبان ثم يشكل الراقصون دائرة وهم يتمايلون يمينا ويسارا تعبيرا عن تفاعلهم مع الأداء .
ورقصة الهبان اصلها من بلاد الفرس ، وصلت الينا نتيجة الاحتكاك بالحضارات المجاورة كما ذكرنا من قبل .

فرق الرقص الشعبي

اما عن فرق الرقص الشعبي في قطر فهي كثيرة وتشتهر في جميع فنون الرقص الشعبي القطري .. ولقد رأينا ان نختار مجموعة من هذه الفرق الشعبية لتمثيل جميع الالوان الشعبية في الرقص :

فرقة مبارك بن سعيد وفرقة سعد عواد :
(للفنون البحرية والعرضة (الرزيف) .
فرقة بدوي بن فرحان وفرقة راشد عبد الله :
(للطنبورة والليوه)
فرقة ابو شنب :
(للهبان)
اما الفرق النسائية فاشهرها :
فرقة زبادة مفتاح
فرقة اسماء بنت راشد الحاوي
فرقة مالكة بنت عبد الله
فرقة زهرة مجلي علي
وهذه الفرق تقدم جميع الفنون الشعبية .

مجالس الرقص الشعبي

ومجالس الرقص الشعبي هي الاماكن المخصصة لكل فرقة من الفرق الشعبية التي تتجمع فيها للتدريب وتقديم نشاطاتها في هذا الميدان .. وهذه المجالس او الدور كما يطلق عليها ايضا تسمى باسماء اصحاب الفرق الشعبية فمثلا تقول دار مبارك بن سعيد او دار سعد بن عواد .. وهكذا .. وفكرة هذه الدور منتشرة في جميع دول الخليج العربي .. وفي بعض هذه الدول مثل الكويت قامت الدولة ببناء دور خاصة للفرق الشعبية الكويتية .. ووزارة الإعلام القطرية تدرس الآن اقامة دور خاصة للفرق الشعبية القطرية ايمانا من دولة قطر بأهمية التراث الشعبي القطري وضرورة الحفاظ عليه من الاندثار .

الفرقة القومية للفنون الشعبية

إن الدراسة العلمية المتخصصة للفنون الشعبية القطرية يمكن أن تتبلور من خلال فرق الفنون الشعبية التي تتكون عبر هذا الاطار العام .
ودولة قطر قد حرصت اشد الحرص على دراسة تراثها الشعبي دراسة علمية

اتصال العرب بحضارات البلدان المجاورة خلق جواً مناسباً لتطور هذا الفن

مجالس الرقص الشعبي



وافية ومن ثم بلورته من خلال الفرقة القومية للفنون الشعبية القطرية التي استقدمت لها متخصصين على أعلى المستويات من حيث الكفاءة والخبرة الواسعة في هذا الميدان من أجل انشائها على أسس فنية تعبر بصدق وتصور بأمانة حضارة أمة من خلال تراثها الشعبي .

البداية والتاريخ

ويمثل الرقص الشعبي في محتواه ـ شكلا وموضوعا ـ صورة تاريخ عريق ، لفن برزت فيه المشاعر والأفكار والحركات داخل اطار من الايقاعات الموسيقية البديعة .. وفي هذا المقام فانه يصعب الفصل بين الرقص الشعبي والأغنية الشعبية ، فهما متداخلان إن لم تكونا متلازمين ، فالرقص الشعبي يمثل ما تمثله الأغنية الشعبية من تعبير عن روح الشعب وأحلامه وطموحه وقد اختلف المؤرخون حول بداية هذا الفن ، وهل الرقص هو الذي تقدم على الغناء أم ان الغناء هو الذي تقدم عليه ـ ولكن هذا الاختلاف لا يبدل شيئا من الحقيقة التاريخية التي تقول ان الرقص ـ شأنه شأن الغناء ـ كان في البداية تقليدا لعناصر الطبيعة وكائناتها وتغييرا لأساليبها فيما تؤديه من حركات ، وهكذا كانت الخطوة الأولى في الرقص الانسانى .

ثم جاءت بعد ذلك مرحلة الابداع فأخذ الانسان يبتدع الحركات الراقصة التي تنبع من عالمه الباطني بعد ان كانت في المرحلة السابقة نابعة من عالمه الخارجي ، فأصبح هذا الفن الملموح ينطلق من حركات منسجمة ترسم في الفضاء الرحب صورا من مشاعر ولوحات من أفكار .

وتتابع بعد ذلك الرقص الشعبي مجراه التاريخي وهو يحمل في ذاته أشياء قديمة جدا ولكنها ليست مجرد حركة ذات ايقاع فقط ، وانما رموزا لمعتقدات وأفكار .

فالرقصات التقليدية المتوارثة عبر العصور انما هي في الحقيقة عبارة عن رموز لأفكار ومعتقدات السلف ، انقرض بعضها ثم تطور البعض الآخر مع تطور العادات والتقاليد والمعتقدات والأفكار ، فرقصة البطن التي تعتبر من أكثر الرقصات انتشارا في المنطقة العربية انما كانت ترمز عند ظهورها الى الام الامومة التي تعانيها في فترة الحمل والولادة ، وكذلك رقصة الحلقة التي تعتبر من أقدم الرقصات ظهرت نتيجة لارتباط الانسان بالشجرة المثمرة ثم دورانه حولها ، حتى الرقصات التي ترتفع فيها الأيدي الى أعلى ، انما كانت تعني في الماضي التعبد والابتهال الى تلك القوة التي تحكم دقائق هذا الكون العجيب ، لقد أضفى الانسان القديم الطابع الديني على رقصه فكان يتقرب بهذا الفن الى الآلهة يستجديه العطف

الطنبورة ومجموعة من الطبول

ويستخدم به لطرد الأرواح الشريرة قد يشكره على ما يهبه من النعم فعرفت رقصات الاستسقاء والحصاد وشفاء المرض وغير ذلك ومثلما كان الرقص في الماضي تعبداً كان أيضاً يعبر عن الأحاسيس الجياشة في الأعياد والمناسبات المختلفة حتى الحرب كان لها رقصتها .

فنون العرب

وكان فن الرقص معروفاً عند العرب مثلما كان معروفاً عند سائر الشعوب المختلفة . وإذا كانت الشعوب القديمة قد وجدت أثراً لرقصها الشعبي منقوشاً على الجدران فإنه كان من المستحيل وجود مثل هذه الآثار في التراث العربي ، نتيجة لطبيعة البادية التي كان يعيشون عليها وصعوبة الاحتفاظ بنقوش التي يمكن أن تعطينا فكرة عن فن الرقص عند العرب وإنما نجد أن التاريخ يروي لنا القصص والحكايات التي تبرز لنا ملامح هذا الفن عندهم . فقد جاء في الحكايات إن العرب في جاهليتهم كانوا يمارسون الرقص الديني مثل (رقص الدوار) ويمثل هذا الرقص طواف العذارى حول الأوثان كما مارسوا الرقص الوجداني الذي يتمثل في رقص الجواري في الأعياد والأفراح ، وكذلك مارسوا الرقص الحربي وأشهره رقصة السيف التي يرقصونها في الحروب والغزوات هذا بالإضافة إلى رقص العبيد مثل رقصة الزفن .

وكلمة الرقص لم تكن تعني عند العرب ذلك المفهوم الفني للرقص .. وإنما عرف العرب معناها كما جاء في معاجم اللغة القديمة وهو الاضطراب والإسراع والعجلة ، والحركة الموقعة . ولا نعرف على وجه التحقيق ماذا كان العرب في جاهليتهم قد عرفوا الأنواع الأخرى من الرقص التي عرفتها الشعوب الأخرى مثل رقصة الاستسقاء ورقصة [illegible] وكل ما عرفه [illegible] الرقص [illegible] بالإضافة إلى ما رواه [illegible] وأيضاً عن [illegible] وصيفات كن يرقصن في قصور الخلفاء والأمراء ، كما كانت تعد من [illegible] إلى [illegible] فئة من الفنانين والفنانات .. وكل هذا لابد وأن يخلف وراءه أثراً لا يمكن التعرف على مداه . وإن اتصال العرب المباشر بحضارات البلدان المجاورة خلق جواً مناسباً للتطور في الرقص . ولعل أكثر النواحي القديمة التي أثرت على فن الرقص عند العرب هي تلك التي جاءت من بلاد فارس حيث ظهرت نتيجة لتقليد العرب للفرس في أسلوب حياتهم رقصات يصعب معرفة أصلها على وجه الدقة مثل (الكرج) و (المستتمر) . هذا وقد مر فن الرقص خلال تطوره في مراحل متعددة منها ما يشمل تطوير اللحن وبعضها يشمل الحركات المرافقة للرقص وثالثها لتطوير الحركات دون اللحن ، ورابعها الحركات واللحن معاً .

مشهد الإيقاع

الرقص والإيقاع

وبعد أن عرف الرقص بأنه الحركة الموقعة أخذ قدامى المؤرخين يحددون أشكال الإيقاع التي تستخدم في الرقصات وأوصلوها إلى ثمانية أجناس هي : الخفيف ، والهزج ، ثقيل الثاني ، خفيفه ، خفيف الأول ، ثقيله ، الرمل ، خفيف الرمل كما جاء في كتاب الأغاني . ولعل هذه الأجناس هي نفسها ضروب الغناء .. حيث يصعب الفصل بين موسيقى الرقص وموسيقى الغناء لأن الغناء يصاحب الرقص في معظم أشكاله والعرب يرجعون أنواع الإيقاع في الرقص إلى نوع الفقرات ، فقد تكون هذه الفقرات خفيفة أو ثقيلة وقد تكون مزيجاً بين الاثنين معاً .

وبعد هذا العرض نقول إن الرقص في قطر وأصوله الإنسانية والعربية ، يمكننا أن نقول إن الرقص الشعبي في دول الخليج العربي كلها متشابهة إلى أبعد الحدود ، فالأدوات واحدة من الطبول والدفوف إلى الصرناي والطمبورة والهبان وغير ذلك وكذلك الألحان متشابهة إلى حد كبير حيث لا فرق إلا في نطق بعض المخارج والكلمات أحياناً أخرى .

وهكذا فإن وحدة التراث تضاف إلى وحدة الأرض والدين واللغة والتاريخ لأبناء الخليج العربي .

سائد درويش

عندما أصبحت طنجة مهر الأميرة



سوق الصناعات الشعبية في شوارع طنجة

.. لا ادري ما الذي يثيره في نفسي اسم مدينة « طنجة » ، سواء قبل الزيارة او بعدها . غموض اكيد ، لكن ما نوعيته وما مصدره ؟ هذا ما احاول البحث عنه وانا اسجل تفاصيل طوافي بالمدينة التي انطلق منها ابن بطوطة ليرحل عبر العالم لسنوات طويلة ، ثم يعود ليموت في نفس المكان الذي خرج منه .

جلست احتسي الشاي الأخضر واتابع الحركة الكثيفة في الطريق ، يقع المقهى في الجزء الأوربي من المدينة ، وهو جزء اصيل من المدينة ، يبدو ملتحما بها ، وليس منفصلا عنها كالاجزاء الحديثة في فاس او الرباط ، او مراكش . تسهر المدينة حتى ساعة متأخرة ، ويزخر شارع محمد الخامس بالرجال والنساء حتى منتصف الليل ، بعكس مدينة الرباط التي تهجع منذ السابعة مساء . يشبه الجزء الأوربي مدينة الإسكندرية ، ومدينة الجزائر ، يبدو ان المدن التي تطل على البحر تكتسب صفات وملامح مشتركة . بل انني في موضع معين قريب من الشاطىء كدت اشهق من الدهشة ، بالضبط كانني مسافرا لافتة تحمل اسم شاطىء سيدي بشر بعد قليل ، حتى المجاز النخيل الاسيقة المعتمة ، والبيوت المتراصة المتجاورة ذات الارتفاع الواحد ، والتي تقوم فوق مرتفع صخري يشرف على البحر ، ولكن اي بحر تقع طنجة في اقصى الركن الشمالي للقارة الافريقية ، وهنا يلتقي امامها البحر الابيض ، بالمحيط الاطلنطي ، يمتزج البحر بالمحيط ، وفي الساعات الصافية التي تخلو من الضباب يمكن رؤية مضيق جبل طارق ، وهناك مقهى يقع فوق مرتفع من المدينة ، تشرف منه على النقطة التي يحدث فيها اللقاء ، وفيه يمكنك ان تعتبر نفسك واقفا في ركن القارة الشمالي بالضبط .

أعود الى الفندق ، وليل المدينة اخذ في التأجج ، الملاهي عديدة ، ومتقاربة ، شأن الموانىء التي يرتاح فيها البحارة بعد طول سفر ، بالاضافة الى التاريخ الخاص بهذه المدينة التي حكمت لمدة تقارب النصف قرن بواسطة ثمانية دول اوربية ، فكيف عاشت في ظل هذا النظام العجيب ، وكما تقول امثالنا « المركب التي تحمل قلمين لابد ان تغرق » .

كهف هرقل

ابحث في التاريخ عن اصل هذا الاسم ، واسرار تلك المدينة ، لماذا سميت طنجة . الاسطورة تقول ان هرقل اثناء حروبه عمد لتخليص اصل الجبل بقوته ، وصنع مضيق جبل طارق ، ومات هنا ، ولازال يوجد كهف عميق يشرف على البحر ، يسمى بكهف هرقل ، لكن هناك ثمة اسطورة اخرى تقول ان سفينة سيدنا نوح رست هنا ، وان احد ركاب السفينة صاح عند رؤيته البر « الطين

● أين في التاريخ عن أصل هذا الاسم وأسرار تلك المدينة لماذا سميت طنجة ؟ ومتى دخلها الإسلام ؟

● أثناء حكم الإنجليز تجددت الاضطرابات التي كان يثيرها المجاهدون المسلمون من قبيلة جرفت

القريبة الحلالية في المدينة التي انطلق منها ابن بطوطة

جاء .. ومن ثم اشتق اسم « طنجة » .. ولكنها رواية اسطورية تبدو بعيدة عن التصديق ..

يقول التاريخ المكتوب إن المدينة كانت معروفة لدى الفينيقيين ، كانوا اول من استعمرها ، ثم جاء بعدهم المستعمرون البونيون ، وظهرت طنجة في رحلات هانو سنة ٥٣٠ ق.م ، وفي عهد بوكوس الثالث (٣٨ق.م) اصبحت جمهورية ثم اعلنت روما انها مدينة حرة وظلت على هذا الحال حتى عهد كلوديوس (٤٢ق.م) ، اى ان لمدينة طنجة سابقة تاريخية في العصر القديم عندما اصبحت مدينة حرة ، ثم انتقلت الى حكم البيزنطيين ، لكن مدينة سبتة كانت هي المقر الرسمي لممثل امبراطور القسطنطينية .

ودخل الإسلام طنجة في مستهل القرن الثامن الميلادي عندما احتلها موسى بن نصير ، واوكل حكمها الى طارق ابن زياد ومنها خرج الى سبتة ، ثم الى اسبانيا في سنة ٧١١م ، كان اول وال اتخذها مقرا له هو عمر بن عبد الله المرادي سنة ٧٣٢م ، وفي سنة ٧٤٠م استولى عليها ميسرة البربري الذي اشعل ثورة كان الهدف منها ازاحة الحكم العربي ، ويعتبر المؤرخون ان ادريس الاول قد نزل بها عندما جاء من الشرق ، لكن موقعها لم يكن مناسبا .. وعندما تقاسم الادارسة الملك وقعت طنجة من نصيب القاسم ، وفي سنة ٩٤٩م ضمت الى املاك الخلفاء الامويين بالأندلس ، واستولى المرابطون على طنجة في سنة ١٠٧٧م ، وعندما سقطت دولتهم انتقلت الى حكم الموحدين ، ثم الى دولة المرينيين .

غموض المكان

وفي سنة ١٤٧١م احتل البرتغاليون طنجة ، واستعمروها لمدة قرنين ، ثم انتقلت الى حكم اسبانيا في عهد فيليب الثاني شان املاك البرتغاليين في مراكش بعد انضواء البرتغال تحت لواء اسبانيا . في سنة ١٦٦٢م انتقلت طنجة الى ايدي الانجليز بعد زواج تشارلز الثاني من كاترين الطفلة .

لقد اصبحت طنجة جزءا من مهر هذه الاميرة ، واثناء حكم الانجليز تجددت الاضطرابات التي كان يثيرها المجاهدون المسلمون من قبيلة جرفت ، واضطر الحاكم البريطاني ايرل بيتر بورو الى عقد هدنة مع المجاهدين على ان يؤدي لهم مبلغا من المال ، ثم حاصر السلطان مولاي اسماعيل طنجة لمدة ست سنوات وكانت نتيجته ان جلى الانجليز عن المدينة في فبراير ١٦٨٤م ، وعادت طنجة مدينة اسلامية ، في اغسطس ١٨٤٤ قذفها اسطول فرنسي صغير بقيادة الامير جوانفيل بالقنابل ، وهزمت الجيوش المغربية ، وانتهت الامور بطنجة إلى ان تصبح منطقة دولية يشترك في حكمها ممثلو دول اوربية ، مدينة دولية ؟! إن هذا المصطلح يثير في الذهن ، الغموض ، والتآمر ، والتهريب ، حيث لا سلطة مسئولة ، او طابع واحد للحكم ، هل كانت هذه الفترة سببا في اضفاء هذا الانطباع الغامض الذي يثيره في النفس اسم « طنجة » ؟ ربما ..

في الشاطئ الشمالية يستعد الصيادون لالقاء الشباك في البحر



لقاء في القصبة

كيف كانت الاوضاع في ظل الحكم الدولي ؟ ، إن افضل من يوضح لنا ذلك هو اول حاكم للمدينة بعد الاستقلال عام ١٩٥٦م ، إن الرجل الذي اشرف على تصفية النظام البغيض واعادة المدينة الى المغرب ، وما بالك إذا كان هذا الرجل عالم كبير واديب ، إنه عبد الله كنون ، الاديب والمفكر المغربي الكبير ، رئيس رابطة العلماء المغاربة ، وعضو المجمع اللغوي بالقاهرة ، ومجمع البحوث الاسلامية ، لحسن حظي كان الصديق اديب السلاوي على ميعاد مسبق معه ، اصطحبني الى منزله الذي يقع في القصبة ، حيث تعلو الارض وتهبط ، وتتداخل الازقة ، وتنتصب البوابات الحجرية القديمة وكانها تعبر من زمن الى زمن ، لا من مكان الى مكان كنت في القصبة استنشق هواء قادما من قرون سحيقة ، إنه التاريخ المعاش ، ذلك الذي يتجسد في المكان رائقا ، احسنت الايدي المغربية الحفاظ عليه ، البيوت تتجاور ، تخفي اسرارها ، أبيض لون الجدران ، اخضر لون النوافذ ، اقدم منطقة في المدينة تعني القصبة المكان الذي يتحصن فيه الجيش ، كانت دائما مقر الحاكم ، كان السجن هنا ايضا ، لكن معالمه توارت ، هنا ايضا بيت المال ، القصبة هي الاصل وهي الاقدم ، يقوم الجزء الاوربي باسفل ، لكنه حديث بداوا فيه بعد تحويلها الى منطقة دولية ، وكان اول مبنى اقيم فيه دار النيابة ، صحيح انه جزء عضوي كما اشرت في المدينة ، لكن القصبة مكان وزمان مستقل بذاته في طنجة ، لاحظت ان القصبة تتجاور فيها مستويات اجتماعية متفاوتة ، هنا قصر الاديب الانجليزي بورك ويضم نفقا يصل مباشرة الى البحر ، وعدة قصور اخرى منطوية على نفسها لتصون عالمها الداخلي ، هنا ايضا قصر مولاي عبد الحفيظ الذي عقد الحماية على المغرب مع فرنسا واسبانيا سنة ١٩١٢م ، تخلى عن العرش في فاس ثم جاء الى المغرب ، وانتقل الى طنجة حاملا معه ثروته في صناديق ، نعم صناديق خشبية ضخمة لمحتها مرصوصة الآن في القصر ، لكنها خالية ، مفتوحة الاغطية ، عطلة وصبرا ، تذكرت الصناديق التي خرج بها السلطان الغوري من القاهرة عام ١٥١٧م عندما اتجه على راس جيشه الى مرج دابق ليلاقي السلطان العثماني سليم الاول ، وضع فيها كل ثروته ، ثم مات في المعركة ولم يعثر له على جثة ، وبالطبع نهبت الصناديق واصبحت خزانة مصر خالية تماما ، القصر تحفة معمارية عربية ، في القصبة ايضا نجد عددا من العائلات الفقيرة ، وتبدو الحواري والازقة التي تسكنها هذه الاسر نظيفة معتنى بها ، اتجهنا الى زنقة ضيقة ، طويلة ، توقفنا امام احد الابواب الصغيرة ، اجتزناه الى الداخل ، وننتقل الى جو خاص ، منزل عصري منعم ، تتوسطه نافورة صغيرة وحديقة ، في الطابق العلوي ينتظرنا عبد الله كنون ، تثير شخصيته الراحة في النفس ، انه بسيط بساطة العلماء المتعمقين ، يمثل تيارا قويا واصيلا في الثقافة العربية هنا ، استطاع ان يناضل في ظل اعتى الظروف وحافظ على الثقافة العربية ،

تعليم العربية

قال عبد الله كنون ان تدويل اي مدينة يعني نكبة ، لان هذه الدول التي تشترك في الحكم تاتي بمصالحها ، وبموظفيها ، وتعطيهم افضل المنافع ، ولا تراعي الجانب الوطني على الاطلاق ، كان الاهالي في طنجة لا ينتفعون على الاطلاق ، حتى الوظائف الحقيرة كانت للاجانب ، وتمتد هذه الصورة الى المجلس التشريعي الذي تمثل فيه الدول الاثنتا عشرة ، كان للمغاربة ستة اعضاء في مواجهة ٢١ عضوا اجنبيا ، وكان لليهود ثلاثة اعضاء ، لقد سيطروا تماما على الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى ان بعض الكتاب قالوا بان طنجة هي اسرائيل الحقيقية ، كان المديرون انجليزيا واسبانيا ، ومغربيا ، اما المديرون فرنسيون كان المجلس التشريعي يقنن لداخل البلاد ، لا يوجد قاضي مغربي اطلاقا ، اما إذا كانت قضايا الجنايات والعقارات مغربية خالصة فانها تنظر في المحكمة الشرعية المغربية وإذا كانت



مناظر طنجة وشوارعها المتشابكة

● حلم تبيل أي مدينة بعشر كنيسة لأن الدول المشتركة في الحكم تتنافس ضمنياً لكي تحظى بأفضل المنافع



يمس الاجانب فلا مفر من نظرها امام المحاكم المختلطة ، اما اجهزة الامن فكانت دولية ايضا ، قوات الامن تشكلت من بلجيكا وفرنسا ، وفوق هذا كله (مالفوا الادارة الدولية ، وكان فيها والى عام ، حاكم عام لطنجة ، يؤخذ من الجنسيات المختلفة ، وهو الذى ينظر فى المصالح الاقتصادية والصحية والامنية . الجمرك ايضا كان مختلطا ، وكان هناك مجلس المراقبة مكون من دبلوماسيين من الدول الثمانية ، وكان حق الفيتو منصوص عليه فى هذا المجلس الذى انشئ ، قبل الأمم المتحدة ومجلس الامن . اما التعليم فكان حرا ، هناك مدارس مختلفة تابعة للرباط ، الايطاليون لهم مدارسهم ، وكان الفرنسيون لهم نفوذ كبير على الجالية المغربية ، وعندما بدأت هذه الموجة تكتسح المغاربة ادى ذلك الى تدمير الثقافة العربية ، بحيث انه فى سنة ١٩٢٤م لم يكن هناك مغربى واحد فى طنجة يستطيع ان يكتب رسالة باللغة العربية ، كان تدريس اللغة العربية لمدة ساعة فى الاسبوع فى بعض المدارس ،

فى مواجهة هذا اسس عبد الله كنون المدرسة مغربية خالصة ، كانت الاولى من نوعها لتعليم العربية فى طنجة ، وفى سنة ١٩٣٤ اصدر كتابه المعروف «النبوغ المغربى» ، وقد اصدرت فرنسا امرا عسكريا بمصادرة هذا الكتاب ، اول مرة تصدر فرنسا امرا عسكريا بمنع كتاب ، ولاقى المؤلف مضايقات لا حصر لها . لقد كان اول حاكم لمدينة طنجة ، وهو الذى صفى النظام الدولى ، وآثاره السلبية فى حياة المدينة .

العهد الجديد

صباح اول يوم من سنة ١٩٨٠ ، وقفت اتأمل السماء الملبدة بغيوم قادمة من البحر ، انتهى عقد باكمله ، فى بداية السبعينات كان عام ٨٠ يبدو شديد البعد ، ما اكثر المشروعات التى بدا ممكنا تنفيذها حتى عام ١٩٨٠ ، يبدو ان إيقاع الزمن بعد بلوغ سن الثلاثين يصبح اسرع ، فى العشرينات يبدو رصيد الزمن لا ينفد ، يبعثر الانسان ايامه ، ويزهو امتلاكه الوقت ، وبعد بلوغ الستين يتلفت وراءه فلا يباب الغلق

ومن المحال ان يفتح مرة اخرى للتراجع ولو خطوة واحدة ، يد هائلة تدفع دائما الى الامام وها نحن نصل عام ١٩٨٠ ، ترى ماذا تحمل لنا السنين القادمة ، قضيت الليلة الاخيرة فى العام الذى اصبح ماضيا بمفردى ، كنت فى حجرة الفندق وحيدا حتى الصباح استرجع ما مضى واتأمل مايمكن ان يجيء وفى العاشرة مساء بتوقيت المغرب احتفلت ببداية العام الجديد بمفردى ، إذ ان الساعة كانت تعلن الثانية عشر وقتئذ ، وكان العام الجديد قد بدأ بالفعل

هاهو صباح اول يوم من عام ١٩٨٠

قبل ان افارق طنجة ، ذهبت الى القصبة مرة اخرى ، كان الوقت مبكرا ، وبرودة بناير فى الطرقات الضيقة ، الصاعدة ، الهابطة ، كنت اسعى الى قبر ابن بطوطة المدفون هنا ، ودرت وترنت ومشيت احيانا فى زنقات لاتتسع إلا لمرور شخص واحد ، كنت افكر فى بدايات العام الجديد ، والمجهول القادم ، وفى ابن بطوطة الذى رحل معظم سنوات عمره يسعى لاكتشاف المجهول والغريب ، ويصل اطراف الدنيا ببعضها ، اخيرا اشار اديب السلاوى ومحمد شكرى الى بناء متواضع ضيق ، يقع فى زنقة (زقاق) لا يتسع لمرور رجل واحد إلا بصعوبة ، وكان المبنى يوحى بالضيق ، بابه ضيق لابد من الانحناء الشديد حتى يمكن العبور منه ، المكان ضيق يعبق برائحة عطر غامض ، اشار السلاوى الى الجدران وقال ان ابن بطوطة مدفون هنا ، اسفل الجدار ، لا معالم قبر واضحة ، خرجت من الضيق الى ضيق ، الزنقة بها بعض اطفال صغار راحوا يحملقون فينا بدهشة ، كنت اتأمل الضريح المتواضع والمكان الذى يصعب فيه التنفس ، طاف ابن بطوطة بالدنيا ، اتسع له العالم ، ثم ضاقت به هذه الزنقة المحدودة فى ذلك المكان المهمل من القصبة ، وليت ظهرى للقبر وداخلنى شعور غريب ، قاتم الى حد ما ، بينما كان نهار العام الجديد يولد باستمرار ، والقصبة اصبحت وراءنا ..

جمال الغيطانى

وجه مدينة من فلسطين



أريحا بوابة التاريخ

نبيل خالد الآغا

أريحا مدينة النخيل

عشت مع اريحا غيابيا ، ولم اعش معها حضوريا إلا مؤخرا .

لقد كنت شغوفا لرؤيتها لانني رغبت في رؤية التاريخ من خلالها !

وفي الصيف الماضي ارتبطت اريحا في خاطري بموقف محير .

فعندما وددت زيارة وطني الفلسطيني للمرة الاولى بعد حرب حزيران قال لي الناصحون في عمان ـ وكنت استمزج آراءهم ـ مصيرك يتحدد في اريحا : إما الى المعتقل في صمت ، وإما الى البيت في امان !

وكانت اريحا هاجسي لاكثر من اسبوع بنهاره وليله وبقلقه !

واقتضت ارادة الله أن تتم الزيارة ، فكان ذلك اليوم القائظ من شهر اغسطس المنصرم .

اتجهنا الى سهل الغور ، وبعد ساعات قصار في السفر ، وساعات طوال في الاجراءات ، كانت حافلتنا الاردنية المتهالكة تقف على بعد خطوات من جسر « الملك حسين » ، وهو آخر نقطة اردنية صهيونية فرضتها نتائج حرب حزيران الاسود ، ومكثنا ننتظر الاذن لنا بالدخول في الجانب الصهيوني .

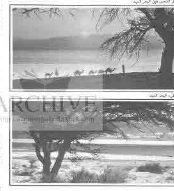
الرموز الثلاثة !

وقفت مشدود البصر ، محسور البصيرة امام ثلاثة رموز رأيتها مجسدة لاول مرة ، ومن خلالها تنبع و تتوالد الف معنى ومعنى : نهر اردننا الوديع الذي تنساب مياهه الكالحة في الم مخدر

● «جسر الأحزان» الذى عبرته آلاف النفوس الحائرة ... ورويت أخشابه دموع المفارقين والمودعين

● احتجزوا صور أطفالى .. وما زلت أجهل أبعاد الخطر الذى يهددهم بسببها !!

شروق الشمس فوق البحر الميت



شاطئ البحر الميت

وزنانة موحشة .. و «جسر الإحزان» الذى يربط بين الضفتين المتعانقتين ابدا ، والذى عبرته الآف النفوس الحائرة ، وارتوت خشباته المهترئة من دموع المفارقين والمودعين والعلم الصهيونى القابع على صدورنا وانفاسنا متحديا طموحاتنا وتواجدنا ذاته .. وتطاير الشرر من عينى وقلبى وكبدى ، وتساءلت عمن اوصلنا الى هذا الوضع المهين الذليل ، ووجدتنى اردد بعض ابيات الشاعر العربى قريطين انيف :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى
بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
اذن لقام بنصرى معشر خشن
عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا
لكن قومى وان كانوا ذوى عدد
ليسوا من الشر فى شىء وان هانا

وبينما انا مسافر بخيالى عبر متاهات واقعنا العربى الموغل عجبا وغرابة ، إذ باحد احفاد ، هرتسل ، يلوح بيده ايذانا بالموافقة على دخول حافلتنا ، وبعد ثلاثة أميال واجهتنا لوحة كبيرة على مبنى الجوازات والجمارك مكتوبة باللغتين العبرية والعربية : مركز حدود اريحا ، ترحب بالزائرين !

موقف عابر

دلفنا اولا الى قسم الجوازات المنظم تنظيما يثير الدهشة ، واغلب موظفيه من المجندات الصهيونيات . ثم اتجهنا الى قسم التفتيش الذاتى ومنه الى صالة الجمارك الضخمة ، وبرغم الكثرة الهائلة فى اعداد المسافرين العرب يوميا - وبخاصة فى الصيف - إلا أن اعداءنا مستعدون لذلك تماما .

ولن اسهب فى شرح عمليات التفتيش المتناهية الدقة التى تعرض لها كل ذى نبض وروح فينا ، لكننى اقول - بلا ادنى مبالغة - انه يستحيل على المرء ان يدخل معه عود ثقاب واحد دون ان تستشعره بعض حواس اعدائنا ، وهذا فى حد ذاته يعكس صورة القلق الذى يساورهم من نشاط الفدائيين الفلسطينيين .

سأذكر موقفا عابرا ..

فى « كابينة » التفتيش الذاتى طلبوا ان اسلمهم كل ما بحوزتى من اشياء مختلفة ، وفعلت ، وسلمتهم خمس صور عادية جدا لاطفالى ، فاخذوها لمكتب التدقيق ، وخضعت لرقابتهم اكثر من ساعتين حيث اعادوها ، وما زلت حتى هذه اللحظة اجهل ابعاد الخطر الذى يهدد امن « اسرائيل » من صور اطفالى !

واخيرا .. خرجت من مبنى « القهر » الذى امتدت اقامتى فيه لاكثر من خمس ساعات ، وفى الخلف وجدت ساحة واسعة تتواجد بها عشرات السيارات المتجهة للمدن الرئيسية فى فلسطيننا المحتلة ، ركبت احداها متوجها الى مسقط رأسى ، وبعد ايام مكثتها عند الاهل بخان يونس اتجهت الى اريحا لاستقرئها بعض صفحات من تاريخها .

اريحا : مهد الحضارة

لقد سميت اريحا باسمها الحالى نسبة الى « اريحا » الحفيد الرابع لسيدنا نوح عليه السلام ، وقد ورد فى معجم البلدان : « سميت باسم اريحا بن

أريحا

● الهزة الأرضية التي دمرت قصر هشام بن عبد الملك تحدد وفاته بأربع سنوات

● سكان المدينة الذين يتحدرون من أصل مولع بالموسيقى والغناء



مدينة أريحا التي قيل عنها أنها أقدم مدينة في العالم

مقلد بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام • •

ويلاحظ أن هذا الاسم قد بقي على ما كان عليه منذ تسميته الأولى ، فلم يخضع للتبديل أو تحريف كما هو الحال لأغلب المدن التاريخية .

وتعتبر أريحا من أقدم المدن الكنعانية الحصينة التي ورد ذكرها في أكثرية الأسفار القديمة ، وهي تقع على مسافة ٣٨ كيلو مترا شمال شرقي القدس ، وعلى مسافة ٨ كم غربي نهر الأردن ، ونحو ذلك شمال غربي البحر الميت .

وقد استدل الباحثون من الآثار التي تم اكتشافها في « تل السلطان » بإحدى ضواحي المدينة على أن أريحا هي أقدم مدينة مسوّرة عمرها الانسان ، فهي مهد الحضارة الأولى للانسان القديم .

وتأكيدا لهذه الحقيقة يقول الدكتور عوني الدجاني مدير الآثار السابق في الأردن « إن مدينة أريحا هي أقدم مدن العالم على الاطلاق كما بينها علم الآثار حتى اليوم ، وهي أقدم من مدينة دمشق بخمسة آلاف سنة ، وقد كانت أريحا مأهولة بالسكان قبل أيام أبي الأنبياء ابراهيم الخليل بحوالي ستة آلاف سنة . وقد ثبت بأدلة تاريخية أثرية أن تدجين الحيوان ومعرفة الفلاحة والزراعة الأولى نشأت في هذه البقعة من الأرض بالذات » .

إلى أرض التيه

لقد هاجر سيدنا يعقوب المعروف باسم اسرائيل الى مصر حوالي عام ١٦٥٦ قبل الميلاد ، وفيها شكل نسله ، وأصبح الاسرائيليون شعبا معدودا في مصر ، الا أن فراعنة تشددوا في تعاملهم وإذلالهم وكسر شوكتهم ، مما اضطرهم للخروج منها في عهد موسى عليه السلام .

ولقد تربى موسى في بلاط رعمسيس الثاني على أرجح الأقوال ، فهو مصري المولد ، اسرائيلي الوجدان ، وفي يوم رأى أحد المصريين يضرب أحد الاسرائيليين ، فاغتاظ موسى منه وضربه بعنف على رأسه فمات المصري ، وخشي موسى أن ينتقم المصريون منه ، فهرب الى صحراء التيه ، وهناك تزوج بابنة النبي شعيب عليه السلام ، كما ورد ذلك مفصلا في القرآن الكريم .

اتجه موسى وقومه الى سيناء ومن ثم الى فلسطين ، وفي الصحراء عطشوا وجاعوا فأكرمهم الله بالمن والسلوى وضرب موسى صخرة فانبجست عيونها وزاد الله من اكرامهم ـ تقديرا لتيههم ـ فساق لهم الغمام ليقيهم وهج الشمس ، غير أنهم لم يقدروا الله حق قدره فكفروا بأنعم الله ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

بعد انقضاء فترة التيه حاول موسى دخول فلسطين من ناحية سيناء فلم يفلح بسبب مقاومة أهلها له ، فاتجه اليها من جهة شرق الأردن ، فوافته المنية هناك ، ويروى بأنه دفن على مقربة من « مادبا » .

كان يوشع بن نون هو القائد الداهية الذي خلف موسى في قيادة اليهود ، وأحد الذين دخلوا فلسطين كجواسيس .

إبادة السكان

وكانت الخطة التي رسمها « يوشع » تقضي بإبادة سكان فلسطين حتى يحل اليهود محلهم .

استطاع يوشع أن يجتاز نهر الأردن ، وحاصر وجنوده أريحا ، واحتلوها بعد أن ارتكبوا فيها مجزرة بشرية رهيبة ، قتلوا أثناءها ملك المدينة ، وقد ورد في سفر يوشع : « صعد الشعب الى المدينة (أريحا) وأهلكوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ، وأحرقوا المدينة مع كل ما بها ، انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب » وعندما يقرأ الانسان ذلك .. تتبادر الى ذهنه وبصورة واقعية عشرات المجازر الهمجية التي ارتكبها أحفاد يوشع في : دير ياسين ، وقبية ، وخان يونس ، وكفر قاسم ، وجنوب لبنان ، وقلقيلية ، وغزة ، وأبي

قمة الجبل المقدس



زغيل، والسموع، وبحر البقر، وغيرها.

ويمثل هذه الطرق التي تفتقر الى الحد الادنى من الادمية تمكن يوشع من احتلال قسم كبير من المدن الكنعانية.

اريحا : هدية لكليوباترا

لقد اشتهرت اريحا منذ القدم بانها خصبة التربة، عذبة المياه، دافئة الشتاء ومازالت تتمتع بهذه المزايا حتى اليوم، ويقال بان (انطونيوس) الروماني قدمها هدية الى حبيبته كليوباترا، ثم باعتها كليوباترا فيما بعد الى هيرودوس الكبير، الذى جدد بناءها ووسع مساحتها، ونسق شوارعها، ويقال بان تلال « ابو العليق » الحالية هي بقايا مدينته.

وفي القرن السابع الميلادي دخلت اريحا في رحاب الاسلام تابعة لمحافظة الرملة، وقد اسهب مؤرخو العرب في وصف خيرات اريحا حتى دعيت بمدينة النخيل نظرا لوفرة ما يزرع منه فيها، قال عنها المؤرخ المقدسي : « واريحا... معدن النيل والنخيل، رستاقها الغور، وزروعهم تسقى من العيون، وشديدة الحر، معدن الحيات والعقارب، اهلها سمر وسودان، كثيرة البراغيث، غير ان ماءها اخف ماء في الاسلام، كثيرة الموز والارطاب والريحان ».

ومن اسباب شهرتها ايضا موقعها الاستراتيجي كبوابة رئيسية لفلسطين شرقا، ولوقوعها على الطرق الرئيسية الممتدة بين القدس والغور، ولانها همزة الوصل بين الضفتين الغربية والشرقية لنهر الاردن.

وهناك ميزة تختص بها اريحا دون سائر المدن، فهي تقع على انخفاض ٢٠٠ م تحت سطح البحر، وقد اعطتها هذه الميزة في ارتفاع درجة الحرارة فيها عن بقية المناطق حيث تصل في بعض ايام الصيف الى ٤٥ درجة مئوية، مما جعلها افضل مشتى في الديار الفلسطينية والشامية برمتها.

وفي الوقت الذي تغطي فيه الثلوج تلال القدس وعمان يستطيع المرء ان يتمتع بالدفء والحرارة في ربوع اريحا وعلى شواطىء البحر الميت، وقد ساعدت هذه الظاهرة كثيرا في نضج جميع الخضار والفواكه فيها في وقت ابكر من سائر المناطق المجاورة، وتشتهر اريحا وما يجاورها من اراضي الغور بزراعة الموز (الريحاوي) الذي يتمتع بشهرة واسعة في فلسطين والاردن، اما بالنسبة لسكان اريحا فيقول لانكستر هاردنج : « ينحدر معظم السكان الحاليين من اصلاب الرجال الذين خلفهم في البلاد جيش ابراهيم باشا في اوائل القرن التاسع عشر، وبينهم عدد لا بأس به من اصل زنجي، وهم مولعون بالموسيقى والغناء ولعا وراثيا يعود دون شك الى اصولهم الزنجية، وكثير من سكان اريحا يذكرون بانهم اتراك او من العراق او من الحجاز.

مجرى المياه في اريحا

آثار اريحا

مازالت توجد في اريحا بعض المواقع الاثرية المهمة مثل :

● جبل قرنطل او جبل الاربعين او التجربة وكلها اسماء متعددة لهذا الجبل الذي تقدسه الطوائف المسيحية وتحج اليه لاعتقادها بان السيد المسيح قضى اربعين يوما من صيامه في احد مغاور هذا الجبل.

● خربة المفجر في ظاهر اريحا الشمالي، وفيها بقايا قصر « هشام بن عبد الملك » الاموي (٦٩٠ ــ ٧٤٣م)، ويعد من اشهر القصور الاموية في الشام ويبدو انه دمر على اثر الهزة الارضية التي حدثت بعد وفاة الخليفة باربع سنوات.

● تل السلطان، يقع الى الشمال من اريحا، وبه آثار كنعانية عديدة، وتنبع من هذا التل « عين السلطان » التي تدر ماء عذبا وهي ذات اهمية قصوى في نجاح الزراعة بالمنطقة وترتفع عن المدينة بـ ٢٧ مترا.

● المغطس، وهو مزار سياحي فريد يقع على نهر الاردن، وتعتقد الطوائف المسيحية بان يوحنا المعمدان قد عمد السيد المسيح فيه، لذلك فانها تأتي اليه من كل اصقاع المعمورة لتشهد « عيد المغطس » الذي يصادف اليوم السادس من يناير كل عام، ويجري فيه احتفال ضخم حيث يركب القساوسة « المراكب المقدسة » في « النهر المقدس » وسط التراتيل الدينية، يحدث ذلك في الوقت

نهر الاردن

اريحا

الذي تشترك فيه اعداد من اصحاب العاهات والامراض المختلفة مع الاهالي والسياح في قذف انفسهم في مياه النهر، اولئك على امل الشفاء، وهؤلاء من اجل البركة!!

وما دمنا بصدد الحديث عن اريحا، فليسمح لنا القارئ الكريم ان نصحبه معنا في جولة جغرافية سريعة في منطقة الغور:

جولة جغرافية

لقد كان الغور الفلسطيني من اقدم المناطق التي سكنها البشر في عصور ما قبل التاريخ الميلادي، وكلمة «الغور» تعني «المنخفض» وغور الاردن هو الانخفاض العظيم الذي يقع بين فلسطين والاردن وسوريا، ووادي الاردن هو القسم الواقع بين بحيرة طبرية في الشمال والبحر الميت في الجنوب.

ويرى بعض المؤرخين بان الغور كان عامرا بالحياة قبل المناطق الفلسطينية الاخرى التي كانت وقتئذ مغطاة بالغابات الكثيفة، وبقي الغور عامرا فترة طويلة وذلك مما دعا (لوط) عليه السلام، ابن اخ سيدنا يعقوب، لينزل به من اجل هداية اهله لعبادة الله سبحانه وتعالى.

لقد شهدت منطقة الغور حدوث معركتي اليرموك وحطين الخالدتين، وبعض المعارك الحربية الاخرى.

كما ان منطقة الغور تضم عددا من رفات الصحابة عليهم رضوان الله، ومن ضمنهم: ابي عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، وضرار بن الازور، ومعاذ بن جبل وغيرهم.

نهر الاردن

اعظم انهار فلسطين، له ثلاثة روافد هي: نهر الحاصباني الذي ينبع من لبنان، وهو اطول مصادر نهر الاردن حيث يبلغ طوله ٣٩ كم، ويجري مسافة ١٤ كم منها في الاراضي اللبنانية قبل دخوله الاراضي الفلسطينية ●نهر دان: وينبع من الحدود الفلسطينية، ويلتقي مع نهر بانياس، ثم يتحدان بالحاصباني

ويعتبر نهر دان من اضخم مصادر مياه نهر الاردن.

● نهر بانياس: ينبع من سفوح جبل الشيخ قريبا من بلدة بانياس السورية على ارتفاع يبلغ ٣٦١ متر، ويبلغ طوله ٩كم، يجري كله واحد منها تقد في داخل الحدود السورية.

عندما تتحد روافده يعرف باسم (الشريعة) وبعد خروجه من بحيرة طبريا يعرف بنهر الاردن، ويصل عرضه الى ثلاثين مترا، وعمقه الى ثلاثة امتار ونصف المتر وفي الاجزاء السفلية يصل عمقه الى ١٣٠٠ قدم وخلال سيره من بحيرة طبرية الى مصبه في البحر الميت تتحد معه انهار ووديان كثيرة.



جزع شجرة متكلس من املاح البحر الميت

ويعتبر نهر اليرموك اكثرها اهمية حيث يلتقي بنهر الاردن جنوبي بحيرة طبرية في نقطة مشتركة بين الحدود الفلسطينية والسورية والاردنية، ثم نهر الزرقاء الذي يحمل اليه ٩٢ مليون متر مكعب من الماء سنويا.

وتعرف المنطقة الممتدة من البحر الميت حتى خليج العقبة باسم وادي عربة وهو اقليم صحراوي كما تعرف.

البحر الميت

يقال بان الكتاب اليونانيين القدامى هم اول من اطلق عليه هذا الاسم، اما العرب فقد اسموه (بحيرة لوط)... ويعتقد علماء الاثار بان البحر الميت يغطي مدينتي الاثم والمنكر وهما سدوم وعمورة.

والحقيقة انه ليس بحرا بالمعنى المتعارف عليه جغرافيا، بل هو بحيرة مغلقة ليست لها منافذ، ويعتبر نهر الاردن هو المصدر الوحيد لمياه البحر الميت الذي يغذيه بنحو ستة ملايين طن من الماء العذب يوميا، ولكن حرارة الجو سرعان ما تبخر تسعين بالمائة من هذه الكمية يوميا!

ونظرا لهذا التبخر الكثيف تبقى في البحر الميت كمية ضخمة من الاملاح المعدنية لاتسمح لاي كائن حي بالحياة فيه، هذا وتصل نسبة الاملاح فيه الى ٢٥٪ بينما هي في المحيطات ٦٪ فقط!! وهو هادئ تماما لايعرف الموج، ونظرا لثقل مياهه فان الانسان لايستطيع وهو داخل الماء ان ينزل جسمه كله الى تحت

قصر هشام بن عبد الملك بالقرب من اريحا

وادي اريحا يطل على نهر الاردن

مستوى الماء ، بل يرتفع تلقائيا الى سطح اليم ، وهذه ميزة يستمتع بها جميع الزائرين للبحر ، فالسائح يستطيع بكل بساطة ان يستلقى على ظهره وبيده صحيفة يقرأها دون ان تبتل !

لقد اقتضت مشيئة الخالق عز وجل ان لايعيش كائن حي في هذا البحر الميت الذي له من اسمه نصيب،لكنها قضت بالمقابل تعويض هذا النقص بما هو اغنى واكثر ثروة .

فهذا البحر « الميت » يحتوي على ثروة خيالية ومذهلة من الثروات الطبيعية يقدرها بعض الخبراء بانها تعادل ثروة الولايات المتحدة !! .

فهو يحتوي على كميات ضخمة من كلوريد الكالسيوم ، كلوريد المغنسيوم ، كلوريد الصوديوم ، بروميد المغنسيوم ، كلوريد البوتاسيوم ، وغير ذلك من الاملاح والمعادن الاخرى .

إن الاوروبيين اكثر ادراكا لاهمية البحر الميت منا نحن العرب ، فهل ندرك اليوم ما ادركه الغرباء بالامس عن بحرنا « الميت الحي » !؟ .

واقع اريحا

بعد النكبة العربية الاولى عام ١٩٤٨ نزح الى اريحا الآف من اللاجئين الفلسطينيين،واقام اكثر من خمسين الف عائد منهم في مخيمين رئيسيين : مخيم عين السلطان ، ومخيم عقبة جبر ، وهذا الأخير اقيم على انقاض الحدائق القديمة لاهل اريحا الذين عاشوا في نفس المكان قبل ميلاد المسيح !

وعندما نزل هؤلاء اللاجئين الى غور الاردن اعملوا في ارضه المالحة القاحلة فئوسهم وزنودهم وهممهم فاضحت حدائق غناء ، ومزارع معطاء ، تجود - بفضل الله - بالفواكه والخضار على اختلاف انواعها ، وكذلك جميع انواع الحمضيات والنخيل والموز والاسكدنيا وغيرها .

وتبقى كلمة ثناء نقولها في حق المجاهد موسى العلمي الذي انشأ مزرعة نموذجية ضخمة في منطقة اريحا تعتبر من اضخم وانجح المزارع في فلسطين برمتها ، وهي معروفة لدى اهل المنطقة بمشروع العلمي . حقا .. لقد استطاع موسى العلمي ان يحقق معجزة زراعية حقيقية بعد ان كان الاعتقاد السائد بان الارض المحيطة بمدينة اريحا لاينبت فيها الشجر !!

وبعد النكبة العربية الثانية عام ١٩٦٧ وقعت اريحا - وهي جزء من الضفة الغربية لنهر الاردن - في قبضة الجلاد الصهيوني . ومنذ ذلك اليوم وهو يحيطها بالمستوطنات العسكرية والزراعية ، وقد اقام حولها حتى الآن سبع مستوطنات،وبعد لاقامة ست مستوطنات اخرى .

كما ان السلطات الصهيونية ممعنة في حرمان سكانها من حق حفر الآبار الارتوازية التي يحتاجون اليها في ري مزارعهم ، وهذه واحدة من خطط الضغط على اهلنا بالارض المحتلة لافقادهم شهية العيش الهنيء في وطنهم واضطرارهم للرحيل في نهاية المطاف !

• • •

في طريق عودتي من فلسطين الى عمان ... وعند جسر الاحزان تلفت ورائي مقاوما دموعي واخذت اناجي بلادي .. مرددا ابيات الشاعر سعدي يوسف :

يابلادي التي نشأتُ فيهـــا
يا بلادي الوحيـــــدة
ياعذاب الليالــي المديـــدة
يا بـــلادي الطريـــدة
ليس لي منكِ إلا شراعَ المسافر
رايـة مزقتهـا الخناجـــر
والنجـــومُ الشريـــدة

نبيل خالد الاغــا



العم سيد طيب القلب
EVOLUTION
بريشة
الفنان
عبد السلام نور

أنور الجندي

نظرة إلى تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات

منهج التاريخ الإسلامي ... منهج أصيل مستمد من الإسلام
الإسلام في التاريخ حركة أوسع من الأمة العربية أو الدولة الإسلامية
إنه حركة التاريخ نحو تحرير الإنسان من الظلم والاستعباد

في مجال دراسة تاريخ الاسلام فان هناك مخاوف كثيرة يقع فيها المحللون والباحثون وأخطر هذه المخاوف هي محاكمة تاريخ الاسلام من خلال مناهج وضعت لتفسير تاريخ أمم أخرى لها ثقافاتها ومعتقداتها وتحدياتها ، بينما لا يمكن فهم تاريخ الاسلام الا بتفسيره وفق منهج أصيل مستمد من عقيدته .

وتتمثل فلسفة التاريخ الاسلامي على هذا النحو :

بدأ تاريخ الاسلام « جماعة » لها منهج تستمده من الاسلام : هذه الجماعة كونت المجتمع الاسلامي وبنت الحضارة الاسلامية وفق مقومات فكرة أساسية قوامها : « دعوة التوحيد الخالص » الى الحرية والعدل والحق والمساواة .

وفي طريق هذه الحركة الى غايتها فانها تواجه أمرين :

أولا : معارضات قوية وقوى مضادة تحول بينها وبين طريقها

ثانيا : هذا المجرى بعينه بين الجزر والمد ركائم بعوقه ويسد مجراه .

والاسلام يبدو في خلال تاريخه في صورة « كائن حي » له جانبان : فكر وحضارة - متجدد الخلايا يمر بمراحل القوة والضعف خلال حركته الذاتية وأبرز ظواهره : ظاهرة التجديد والتغيير وتصحيح المفاهيم من خلال اطاره الجامع ، ويتمثل ذلك في كلا جانبيه : جناح الفكر الذي يتجسد بظهور أعلام الفكر وقادة الرأي - وجناح الحضارة يتجسد بظهور بناة الدول وصناع الاحداث .

نعم ، لم يجمد الاسلام أمام حركة التاريخ خلال العصور أو تطور الحضارات والمدنيات التي يتوقف من سيرها تغيير في الزمان والبيئة على تغير مسيرة التاريخ نفسها أو ربما مسها خطوات .

والاسلام في التاريخ حركة أوسع من الامة العربية أو الدولة الاسلامية أو الحضارة الاسلامية وأشمل من الحدود التي تربطه بالبيئة أو تقصره على الحضارة والثقافة ، أو تقفه به عند قيام الدول وسقوطها ، أو الفتوحات والحروب ، وانما تتمثل فيه كل هذه القطاعات وتتشابك .

فالاسلام في الحق هو حركة التاريخ نحو الحرية - تحرير الانسان من ربقة الظلم واقرار حقوق الافراد والجماعات وتحريرها من الاستعباد .

وبذلك فهو انطلاقة انسانية بعيدة المدى ، في كل الامم والشعوب التي اتصلت به ، سواء من دانت له أو أساغت فكره دون أن تأخذ عقيدته .

ولقد كان لبزوغه في محيط الامة العربية معنى واضح الدلالة هو « اصطفاء » هذه الامة لحمل رسالته ، ومن ثم بعث الرسول من أمتها وترك القرآن بلغتها ومن ثم فلا سبيل للفصل تاريخ العرب عن تاريخ الاسلام منذ فجر الاسلام الى اليوم فمنذ جاء الاسلام ارتبط تاريخ العرب به أوثق رباط ، لقد ظهر في الامة العربية أولا ثم في حياة الرسول حيث دانت الجزيرة العربية له ، فكانت أشبه بالنفرة العربية التي امتدت منها روافده وفروعه ، كما انبعثت منها الموجات المتوالية المتلاحقة التي تحركت شرقا وغربا وشمالا وحملته الامة العربية الى العالم أجمع ، وكانت اللغة العربية الفصحى أداة فكره وثقافته ، وحضارته فالفكر الذي كونته الامة العربية من خلال جوهر الاسلام ، كان حصيلة مشتركة للمسلمين والعرب جميعا بحيث لا يمكن أن يوصف بأنه فكر عربي وكذلك الحضارة فهي فكر عربي اللغة اسلامي الجوهر وهي حضارة اسلامية شارك فيها الجميع ، وانصهرت فيها مختلف الثقافات الانسانية : هندية وفارسية ومصرية ويونانية ، انصهرت جميعها في اطار الاسلام وفق مفهومه ومضمونه وقد شارك في هذه المرحلة العرب وغير العرب في مجالات الحضارة والفكر والحكم .

وحدة الفكر

وقد رسم الاسلام مفهوم الوحدة بين معتنقيه والمرتبطين به على أساس الفكر وليس على أساس الجنس ، ووسع دائرة الاخاء الانساني وأسقط العصبية والتفرقة العنصرية وجعل أساس التميز والتفوق والتفاضل مستمدا من العمل لا من العرق ولا من الشخصية ولا من الوراثة .

ولقد اتسم تاريخ الاسلام بسمات جعلت له طابعه ومفهومه .

ذلك : انه لما كان الاسلام هو دين وفكر وحضارة ومجتمع ، فان التاريخ السياسي في تاريخ الاسلام هو أقل هذه الجوانب أهمية حيث تبدو الجوانب الضخمة الحافلة بالأمجاد في تاريخ الاسلام الفكري والعلمي والعقلي وفي مجال الدراسات العقلية والفقهية والاجتماعية .

وتتمثل أبرز جوانب التاريخ الاسلامي في القادة والأعلام والمفكرين الذين بنوا القاعدة العريضة للفكر الاسلامي مستمدة من القرآن : أولئك المصلحون المجددون ، حملة لواء اليقظة وتصحيح المفاهيم الذين حفل بهم تاريخ الاسلام خلال مختلف مراحله وأدواره ، وفي هذا المجال نجد طبقات الاطباء وأخبار الحكماء والنحاة والرواة والادباء وطبقات الفقهاء والمؤرخين والاجتماعيين وتاريخ أعيان كل عصر ، فليس تاريخ الاسلام اذن تاريخا سياسيا فحسب وليس التاريخ السياسي الا جانبا من أجنحته بل ربما كان أقلها خصوبة وعمقا وأثرا في حركة التاريخ وتطوره .

من هو المسلم ؟

ومن هنا تسقط تلك الشبهة التي يرددها البعض من اقتصار تاريخ الاسلام على حياة الخلفاء والملوك ، بل يتناول مختلف مظاهر حياة المجتمع والحضارة .

ويمثل تاريخ الاسلام : حركة تطور شامل متصل ، وحركة اجتماعية يدفعها مفهوم وعقيدة في مختلف ميادين الحياة . ولا تستوفي دراسة تاريخ الاسلام الا اذا قامت في ظل مفهوم جامع شامل ، كما أن اتصالنا بالغرب اليوم يجب أن يقوم على مفهوم مرحلة هي رد فعل لمفهوم مرحلة سبقتها ، وحسبان أن هذه الحضارة العصرية الغربية ليست منفصلة عن عالم الاسلام ، وانما أقامت قواعدها على المنهج التجريبي الاسلامي وضع بناء صافه العرب والمسلمون ، فنحن حين نتصل بها اليوم لا نكون غرباء عن جذورها ، فهي ملك البشرية كلها التي صاغتها وشاركت في تكوين جوانبها المختلفة، فقد قدم الفكر الاسلامي لهذه الحضارة علومه وجامعاته وبنى قاعدتها العريضة في الاندلس .

في ضوء هذا المفهوم نستطيع أن نقول ان لتاريخ الاسلام ، طابعا متميزا ، ولذلك فان تفسيره لا يمكن أن يخضع الا لمنهج جامع ، ليس ماديا خالصا وليس روحيا خالصا وليس اقتصاديا ، أو جنسيا .

فالمسلم كما فهمه الباحث الغربي الاستاذ والمر كانتويل ... يحس بالتاريخ احساسا ... انه يؤمن بتحقيق ملكوت الله في الارض ويؤمن بأن الله ... وضع ... ، وانما ... القدر في الارض ... الارض ... ومن ثم ... انما يمثل كل حس فردي أو جماعي ، وكل شعور فردي أو جماعي ، بمقدار قربه أو بعده .

المحاولات القاصرة

هذه العبارات للكاتب الغربي تقرب من الحقيقة وتكشف عن الفارق السحيق بين فهم المسلم للتاريخ وبين فهم الطوائف الاخرى ، ويتابع (اليان وايد غراي) : هذا المعنى حين يقول لو ان وجهة نظر المسلمين للتاريخ هي نظرة بناءة ، فهم يرون ان البشرية اذا اعتنقت تعاليم الوحي (القرآن) فان ارادتها حينئذ تتطابق وارادة الله . ولا يعود يوجد من يعصي أوامره فيعم الأخاء بين البشر . ومن صفات المؤمن انه صابر ويعلم ان الامر لارادة الله ، وقد قدموا أفضل فيلسوف للتاريخ مثلا بالفيلسوف ابن خلدون وكان أول فيلسوف حلل درجات تأثير المحيط والبواعث النفسية التي تعمل عملها في الحياة الانسانية وتسبب نشوء الحضارات وانقراضها ، ونشاهد بوجه عام تيارين يتنازعان السيطرة على أفكار فلاسفة التاريخ المسلمين : المفهوم الحركي والمفهوم القدري وكلها تظهر بوضوح في تقلبات القوى الاجتماعية وعلى العكس من ذلك كان الفلاسفة الهنود قد قطعوا كل صلتهم بما هو وقتي وفوري وقدسوا تعاليم الهرامية والانعزالية . والتاريخ بالنسبة للبوذية والهنود ليس الا وهما

ويؤكد الاستاذ تريتون في كتابه « الاسلام : عقيدته وعباداته » : أن التفسير المادي لا يصلح لفهم تاريخ الاسلام ، يقول : « اذا صح في المعقول أن التفسير المادي يمكن أن يكون صالحا في تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها فان هذا التفسير المادي يفشل فشلا ذريعا حين رغبه في أن يعلل وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم وقيام حضارتهم واتساع رقعتهم وثبات أقدامهم فلم يبق أمام المؤرخين الا أن ينظروا في الملة المسيحة لهذه الظاهرة الغريبة فرأوا أنها تقع في هذا الشيء الجديد : الا وهو الاسلام » .

وهذا ما نريد أن نصل اليه : في ان اية محاولة لتفسير تاريخ الاسلام بغير التفسير الاسلامي للتاريخ هي محاولة باطلة وان جميع مذاهب التفسير التاريخي : المادية والاقتصادية والجغرافية والمناخية ، لا تستطيع أن تستوعب مفهوم التاريخ الاسلامي ولكل أمة وعقيدة مقاييسها التي تشكل قانون تفسيرها .

ولذلك فان كل المحاولات التي تجري الآن لتفسير تاريخ الاسلام من خلال النظريات الغربية هي محاولات قاصرة ، ذلك أن الاسلام الذي يقوم منهجه على تكامل الروح والمادة ، والحياة والموت ، والدنيا والآخرة ، والنفس والجسد والثوابت والمتغيرات والكلي والجزئي ، لا يمكن أن يفسر

بمنهج جزئي سواء أكان ماديا أم روحيا خالصا ، ولذلك فان هذه المحاولات كلها التي ترمي لأن تضع الاسلام في صف الديمقراطية مرة أو الاشتراكية مرة أو الحرية مرة ، كلها قاصرة فالاسلام له ذاتيته الخاصة وتكوينه الجامع المتفرد الذي قد يلتقي لمة مع جانب من هذا أو ذاك ولكنه لن يكون الا هو وحده الذي تعجز المناهج المادية ونظريات التفسير الجزئية عن استيعابه وفهمه .

حملات التغريب

كذلك واجه التاريخ الاسلامي حملة ضخمة من حملات التغريب والغزو الثقافي تستهدف اثارة الشبهات والشكوك حوله ، بقصد وضعه موضع الازدراء والانتقاص في نفس أهله وحتى يفقد أهميته من حيث أنه ثرا ابتعاث ويقظة ، وقد حرص التغريب على اختلاق تاريخ اسلامي منفر عسى أن ينتزع من المسلمين ثقتهم في ماضيهم الاسلامي وفي أنفسهم كمسلمين ويسلخهم من تراثهم الفكري وتاريخهم الاسلامي فيصبحون بلا ماض ، فتضعف معنوياتهم وتسهل السيطرة عليهم فكريا وثقافيا كمقدمة للسيطرة عليهم عسكريا واقتصاديا وقد جرت المحاولات لاحلال مناهج الغرب في تفسير التاريخ بديلا للدراسات الاسلامية وفرضت كتب الغرب في المدارس والجامعات وجعلت مناهج الغرب في دراسة التاريخ هي الجواز الى تخريج المؤرخين العرب والى وضعهم موضع الصدارة .

وقد عنيت هذه الدراسات بالتطاول على أعلام الاسلام وقادته ونوابغه والتشهير بهم في كل عصر من طريق تزييف طائفة من الاخبار المشكوك فيها والقصص اعتمادا على مصادر غير أصيلة أو مطعون في صحتها لالتماس هذه الشبهات .

وهناك محاولة أخرى في حاجة الى الكشف عنها ودحضها : تلك هو محاولة



القول بأن تاريخ الاسلام هو الاسلام نفسه ، والواقع أن التاريخ الاسلامي ليس بالضرورة ممثلا للاسلام ، وانه لابد من التفرقة الواضحة بين مبادىء الاسلام الربانية الثابتة الممثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وبين التجربة التي قام بها الحكم الاسلامي والتي قد تلتقي مع مبادىء الاسلام في بعض المراحل وقد تختلف عنه حين يأخذ قادة المسلمين بعيدا عن منهج الاسلام .

وهناك نفر ممن تولوا زمام الحكم في الدولة الاسلامية بعد الخلافة الراشدة وبعدوا عن منهج الاسلام ، فمن غير الحق أن يصور سلوك هؤلاء الحكام على أنه هو الاسلام نفسه ، وأهم ما في ذلك الفهم الخاطىء من محاذير هو محاولة نسبة الاستبداد الى الاسلام ، ومحاولة الاستشراق تبرير الاستبداد بالاسلام نفسه حيث يقول بعضهم وهو كاذب : أن نظام الحكم في الاسلام نظام استبدادي ونسي هؤلاء أن للاسلام مبادئه الواضحة التي تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم لمصلحة المحكوم نفسه .

حقائق التاريخ

كذلك فان التفسير التاريخي الغربي (المادي المصدر) يعجز عن استيعاب حقائق التاريخ الاسلامي التي تعلو على التصور المادي فترجمة انتشار الاسلام على هذا النحو المذهل وتمكنه في خلال فترة تقل عن قرن من الزمان أن يبسط جناحيه من حدود الصين الى حدود فرنسا ، هذا في

تقدير التفسير الغربي مشكوك فيه لان الفكر الغربي لا يؤمن بأثر الايمان العميق الصادر عن طريق الارادة الانسانية الى التغيير الواسع ، كذلك يعجز التفسير الغربي عن فهم واستيعاب قاعدة اسلامية أساسية هي « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » ذلك أن التقدير المادي يرى أن الكثرة العددية هي الغالبة أبدا بينما يجعل الاسلام من الايمان قوة جديدة مضاعفة الى قوة العدد والعدة . وقد أكدت الفتوح الاسلامية هذه الظاهرة بما لا يدع مجالا للشك، وقد ثبت في مختلف الغزوات والمعارك التي خاضها المسلمون أن عددهم فيها كان أقل من عدد خصومهم بمراحل وأن عدد عدوهم كان مضاعفا أكثر من مرة بل مرات ، فالنصر هنا يرجع الى عنصر الايمان الذي لا يعتد به في الحساب عند التفسير الغربي للتاريخ ..

وهناك ظاهرة من التعصب ترجع الى الاختلاف بين الاديان وتفسيراتها للحياة ومن اختلاف وجهات النظر ومن الصراع القائم بين الشرق والغرب ومن وجهة نظر الاستعمار التي ترى أن الغرب هو الجنس الابيض سيد البشرية وأن بلاد الاسلام هي العناصر الملونة التي يرى أنها أقل في الدرجة والقدرة والكفاية ومن خلال نظرة الاستعلاء العنصري والتعصب الغربي تجري تفسيرات خاطئة في مقدمتها الادعاء بأن انتشار الاسلام انما جاء بالسيف وهي دعوى مبطلة ، والحق أن الاسلام لم يرفع السيف الا دفاعا عن كيانه حين يتعرض وجوده للخطر وذلك في مقاومة محاولات المتآمرين عليه .

وهكذا نجد أن الاسلام في عقيدته وحركته له ذاتيته الخاصة التي تعجز النظريات عن استيعابه النظريات الجزئية .

ومن هنا فلابد أن يكون للتاريخ الاسلامي تفسيره الاصيل .

أنور الجندي

د. حافظ الجمالى

التقدم بين الإنسان والمنهج

كان لنا فى ماضيات الأيام أستاذ فى الرياضيات . وكان فى بعض الأحيان يتحدث عن هوامش لهذه المادة ، لم تكن نأخذها مأخذ الجد . إلا أنها لم تكن تخلو من بعض المتعة . مثال ذلك أنه ضرب يوما بيده على المنبر ، وقال إن ضربتى هذه لاتؤثر فى المنبر وحده ، بل تؤثر فى كل شىء آخر . حتى أعالى النجوم . إن هذه ستهتز بدرجة أو بأخرى من هذه الضربة ولكن ماهى قيمة هذا الاهتزاز ؟ إنها قيمة رياضية بحتة . فيها رقم ما مسبوق بمئات من الأصفار . على يمين الفاصلة التى تعبر لك وحدة القياس . وبالتالى فإن أحدا لايشعر بها ، إلا أن يكون إلها يحيط علمه بكل شىء . أما فى مستوى حواسنا . فإن فى وسعنا القول إن نجوم السماء لاتهتز مطلقا من جراء هذه الضربة ، لضآلة تأثيرها ، وضآلة اللامتناهية . غير أن المهم فى هذا المثال . هو أن تعرفوا أنه ما من شىء يحدث فى مكان إلا ويؤثر فى كل شىء آخر من حوله ، بعيدا كان أم قريبا

وأعود الآن الى هذه الذكرى ، وأتساءل هل كان أستاذنا هذا يعرف شيئا ما عن المادية الجدلية ؟ وعن قولها إن كل شىء يؤثر فى كل شىء آخر من حوله ويتأثر به ؟ وإن الطبيعة فى تغير مستمر ، بحيث لاتستطيع السباحة فى ذات الماء مرتين ، وإن فى كل شىء جانبا سلبيا هو (الضرورة) ، وآخر إيجابيا ، وهو (الوجود) وإن كلا من هذين يصارع الآخر صراعا أبديا ، بمقدار ماهو ترتبى ، ويحاول افتراسه ، وإن التغيرات الكمية متى تراكمت الى درجة ما انبثق عنها تغير نوعى ، يقلب صورتها القديمة الى صورة جديدة وإن التطور ليس إلا هذا الانتقال الضرورى من صور قديمة الى أخرى جديدة ، وإن هذه الحال . فى حال الطبيعة . كما هى حال الإنسان وحال المجتمع . إلى آخر ذلك . ولكن الأستاذ كان يتكلم بمنطق رياضى بحت ويعرف على الأقل . مبدأ أوليا من مبادىء الجدلية المادية . أما المبادىء الأخرى التى اكتملت مع هيجل فلاريب أن بذورها كانت معروفة ، حتى فى تفكير هيراقليت ، منذ أواخر القرن السادس قبل الميلاد . فلما جاء ماركس وأعاد تنظيمها وجعلها تقف على رجليها ، بدلا من أن تقف على رأسها ، كما هى حالها عند هيجل ، فلا ريب أن كل الناس يعرفون له هذه المزية ويقدرونها له حق التقدير

حالة تاريخية واحدة

ولكن لماذا أقول هذا كله ؟ والجواب أننى كثيرا ما أسمع أن الأخذ بمنطق المادية الجدلية ، هو وحده الذى سيخرج العرب وكل شعب متخلف آخر ، من التخلف ، ويضعهم على صراط التقدم اللامتناهى . فإن لم يأخذوا به كانت عليهم الهزيمة . وباءوا بغضب من الله ورسوله . ويطيب الحال فإن عددا كبيرا من المقدسات بشرية عرفت هذا الأمل . وكلها متلبسة فيه . غير أنى أتساءل . [illegible] فى التقدم أو [illegible] منطق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العقدة

والأغنا هنا أن النهضة الغربية كانت واضحة منذ القرن الخامس عشر أو السادس عشر على أبعد تقدير . ترى هل كان القوم هناك يتبعون فى تطورهم منطق المادية الجدلية (أو منطق جدل الإنسان بلغة سيف الدولة) فيتتابع تقدمهم لهذا السبب ؟ وهل أصبنا نحن عقويا عن هذا المنطق فتخلفنا وتراكم فوقنا التخلف ولايزال ؟ أو لم يهدنا الله مرة واحدة خلال ألف سنة من تاريخنا لمثل هذا المنطق ؟

هيجل

وأتساءل مرة أخرى : إنه لنا فى الماضى نهضة وتقدم ، وسبق الى اكتشافات علمية كثيرة ، فهل كنا عندئذ نأخذ بمنهج أو بآخر فى الوصول الى هذا التقدم ؟ وهل وجد حتى الآن شعب واحد من الشعوب المتقدمة حقق تقدمه بقرار مسبق بين أهداف التقدم وطرق الوصول إليه ؟

إن هنالك حالة تاريخية واحدة نستطيع ـ ولكن بالجهد ـ أو بعد لأى . كما يقول قدماء العرب . أن نقول إن التقدم فيها تم بقرار . هى حالة اليابان منذ عام ١٨٦٨ . ولدى انتقال الامبراطور الى العاصمة الشرقية . طوكيو . وإصداره مراسيم القضاء على النظم الاقطاعية ، وتحديث الاقتصاد ، والادارة ووضعه زمام الأمور بين أيد قليلة من رجال الساموراى ، الذين استهواهم التقدم . كان بالامكان أن يشاهد الانسان عندئذ قفزة حضارية لامثيل لها فى العالم ، بحيث أن عددا محدودا من السنين (أقل من أربعين) رفع اليابان الى مصاف كبرى الشعوب المتقدمة ، بعد أن كانت تعيش كل مثل أو مأسى الحياة الاقطاعية ونظام الطبقات . وما يشبهها ولكن هل كانت اليابان تخطط لتقدمها ، طبقا لمنهج ليبرالى (سرعان ما ضحى به على مذبح التقدم الاقتصادى) ، أو لمنهج اشتراكى ، أو لآخر مادى جدلى . لما أنا فأظن أن الشىء الهام لم يكن المنهج ، ولا التخطيط ، بل كان (إرادة التحديث) أو إرادة التحضر . ومتى ما وجدت هذه الارادة ، فخضعت ماحولها من نظم ومؤسسات . وجعلتها متحضرة ، ضمنها أى بحث عن تناقض ممكن بين تراث الأجداد ، وحداثة العلم ، ومبتكرات الصناعة .

أساليب ومناهج مختلفة

ولكن هل يعنى هذا كله أن وجود المنهج أو الخطة أو التخطيط ، مما يفسد عملية التطور ، أو يعرقلها ؟ الحق عن ذلك بعيد . وكلما استعمل العقل فى أمر ما ، وكان نجاحه دون نجاح العفوية ، والارتجال . لكن القول إن منهجا ما بعينه ، هو الذى يساعد على التقدم ، دونه أى منهج آخر ،

- الحقيقة أن الحضارة وليدة الجهد الإنساني المتراكم أو الخلاق
- المشكلة ليست في المنهج .. ولكن في العقل أو الروح التي تقوم وراءه
- الإنسان السيئ سيُريق سوءه على كل المناهج ويجعلها جحيماً

إنما هو قول لا يتطابق مع حقائق التاريخ، فالشعوب التي تقدمت، تقدمت بصور شتى وأساليب ومناهج مختلفة، ولم يخطر ببالها أصلاً أن تستخدم المنهج الجدلي، وعلى الأقل لأنها لم تكن تعرفه، ترى أكانت تتصرف تبعاً له من دون وعي أي أنه هو الناظم لحركتها؟

وفي دنيانا الآن جملة دول اشتراكية، تعتمد المنطق الجدلي هو والماركسية معاً في سلوكها العام والخاص. فهل جعلها هذا المنطق كالمتساوية في التقدم، أو أنها تتدرج على سلم الحضارة من أدنى الدرجات إلى أعلاها، تماماً كالدول الأخرى التي لا تعتمد هذا المنهج؟ وحتى الاتحاد السوفييتي الذي حقق الرقم القياسي في التقدم، أي في العلم والتقنية، فهل كان تقدمه يصدر عن اعتماد المنهج الجدلي ولا شيء آخر؟ وهل كان تقدمه واحداً في كل قطاعاته؟ لئن صح هذا فطبيعي أن نسأل.

لماذا لم توازه الدول الأخرى الآخذة بمنطقه ومناهجه، على الرغم من أن بعضها كان أكثر منه تقدماً؟ لعلها أن تريف المنطق وتخون الرسالة؟ ولكن كيف تفعل ذلك على مرأى ممن يحسنون تطبيق المنطق ويحتضنونها دوماً بكريم الرعاية؟

الحقيقة أن الحضارة وليدة الجهد الإنساني المتراكم أو الخلاق. يكبر هذا الجهد فتكبر هي، والعكس بالعكس. بقدر



ماركس

أن تعرف تماماً يكبر الجهد في مكان ويصغر في آخر، وفي رأينا أن مستوى الحرية المتاح للعمل الفردي، والإبداع الشخصي والشعور بالأمن، ومستوى إخلاص الدولة لأهداف الأمة، ومدى كفاءة رجالها للأعمال المسندة إليهم. كل هذه العوامل من أهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ويرجع إلى [illegible] [illegible] ترتبط بالعقل والقدرة [illegible] في التخلف العربي [illegible] إلى علاقته باستبداد الدولة، وذهولها عن أهداف الأمة. وكذلك ليس بالملاحظة الضحلة أن نرى الدول العربية تختلف في كل شيء، في النظم والفلسفة، وطرائق الحكم، وأشكاله الخارجية وعقائدياته، ولكنها لا تختلف مطلقاً في مستوى التقدم، فكلها والحمد لله من العالم الثالث على تباين شروطها الداخلية

والخارجية، واختلاف ما تعتمده من العقائديات. أفليس المجال مفتوحاً للشك إذن في قيمة المظاهر الخارجية في سير الحكم، ومناهج العمل، والقول أن وراء هذا التباين الخارجي وحدة عميقة في الجوهر، مما يجعل التقدمي كالرجعي، والاشتراكي كالبورجوازي، والحديث العقل كالقديم، والوحدة كالانفصال والانفصال كالوحدة، والصمود كعدم الصمود؟

الحقيقة أن المشكلة ليست في المنهج، ولكن في العقل أو الروح التي تقوم وراءه، فإما أن تكون هذه متحضرة ذاتها فتشيع التحضر في كل ما حولها، وإما أن تكون متخلفة فتلون كل أداة حضارية بلون تخلفها. فالإنسان وحده هو الأصل، فإذا وجد كما ينبغي، فكل منهج صالح، وإن لم يوجد كما ينبغي، فكل المناهج معاً تصبح أدوات جديدة للإخفاق. وأظن أن برنارد شو هو الذي قال: إن فلاسفتنا (الاشتراكيين) لم يتركوا شيئاً إلا نظموه، حتى لقد بحثوا في كيفية توزيع المواد الاستهلاكية، أعلى طيور الدواب، أم في السيارات، إلا أنهم نسوا شيئاً واحداً، هو كيفية حمل الناس على قبول آرائهم، وتطبيقها في الوقت المناسب تطبيقاً حسناً. ومامن شك أن الإنسان السيء يريق سوءه على كل المناهج، ويجعلها جحيماً بدلاً من أن تكون نعيماً.

د. حافظ الجمالي

كلمات لهـا دلالة

في أعماق النفس: إن مكانك أيها المرأة مهلكة، ولكن عند الغقاد أنا في أعماق نفسك أنت الرجل قبل أن يدركها عقل المرأة، وإن هذا مكانك تسويه عطرة عشقك تلك التي تريد أنت أن تقع فيها.

التفوق لا السعادة: الرجل القوي الطموح هو الذي ينشد التفوق لا السعادة، التفوق هو أن تنطلق إلى أعلى أن تهرب في أعماق السماء لتلتقط ولو شعاعاً من ضوء النجوم، أما السعادة فهي أن تستلقي على رقعة من الأرض وتفرح بمجرد التطلع إلى ضوء النجوم.

الخلق والذكاء: متانة الخلق أهم من ذكاء العقل، والشعوب كالأفراد لا ترتقي بذكائها قدر ما ترتقي بمتانة أخلاقها.

هذا هو الفرح: لا فرح للرجل إلا في عمل يحبه، ولا فرح للمرأة إلا في حب طفلها، أو في حب رجل تنزل من أجله عن كبريائها، وتحنو عليه هو الآخر وكأنه طفلها.

أنطون مقدسي

العرب وتحدي المرحلة



في اعتقاد المثقفين العرب ـ جلهم فيما أعلم ـ أن التحدي الذي نواجهه اليوم، وعلينا أن نرد عليه أو نرده كي نواصل مسيرتنا الحضارية، يتركز في «التكنولوجيا» أي، في عرفهم، مجموع «الآلات» التي اخترعها الإنسان، بالاستناد الى العلوم الدقيقة (الرياضيات والطبيعيات على الخصوص) منذ قلة من الزمان. فهي التي مكنت الأجنبي في السابق من احتلال ديارنا، وتمكنه اليوم من التسلط، بشكل أو بآخر، على ثرواتنا. هذا الاعتقاد يحيل الى مسلمة، مضمرة أو ظاهرة، تسوغه أو تجعله ممكنا، وهي أن الأمة ماتزال، في جوهرها، على ما كانت عليه في القرن الأول، سليمة، معافاة، على أحسن حال وبوسعها، إذا ماتيسرت لها الوسائل الحديثة ـ تكنولوجيا ـ أن ترقى اليوم، كما بالأمس، الى أعلى مستويات الثقافة والحضارة. ويذهب بعضهم الى أن الأخلاق هي التي تردت لأن الناس حادوا عن سنة الأوائل فأصيبوا بما يشبه الفتور النفسي، فعلى الجماعة أن تستنهض هممهم بحيث يستعيدون تدريجيا مناقب الأقدمين، وعندها تستقيم الأمور وتسير في الطريق السوية.

وعلى أية حال فما هي الأمنية التي نتغنى بها منذ نهضتنا (أواسط القرن التاسع عشر) تتحقق مسارعة. فقد رزقنا والحمد لله من الثروات ما يمكننا من الحصول على ما نريد، وإذا بقيت عملية التحديث سائرة على وتيرتها اليوم فسوف تكون البلاد في غضون سنوات [illegible] الأجهزة الأكثر [illegible] ما يجري [illegible] العسكرية [illegible] الخبرات الأجنبية [illegible] مستقبل غير بعيد [illegible] السنوات لضمان صيانة الأجهزة وحسن سيرها بحيث يرتفع عندنا مستوى الانتاج والخدمات ونحتل بعد سنوات المكان اللائق بنا بين الأمم.

ومع ذلك لا أظن أن العربي يؤمن في قرارة نفسه بأننا صرنا ـ أو سنصير عن قريب ـ في عداد الأمم المتقدمة، رغم أننا نجد في بعض عواصمنا ما نجده في عواصم هذه الأمم من وسائل التمدن ومستلزماته وظواهره. لا بل يذهب المتشائمون الى حد التأكيد بأننا اليوم أكثر تخلفا من الأمس ومن لا يتقدم يتأخر، تقضي بذلك سنة الحياة.

والتقدم بعد ليس في حيازة الأشياء، بل هو ـ إذا قاربناه مقاربة أولى ـ في نمط استخدامها وعلى الأخص في العلائق الاجتماعية والانسانية التي تنشأ بنتيجة استخدامها، وما يلزم عن هذه العلائق من قيم وعادات وتقاليد، وأدب وفكر. ويبدو لي أن ماركس لم يجانب إلا وجها من الحقيقة عندما رأى أن الآلة تبدل الانسان، فردا وجماعة، وتجعله، بمعنى ما، على صورتها ومثالها. إذ قد يحصل العكس تماما. فالبندقية مثلا حلت عندنا محل السيف، في المآتم والأعراس والاحتفالات الأخرى. والسيارة محل الحصان فهي عند الثري الهيبة، وعند أولاده دمية يزجون بها أوقات الفراغ، وقد يتنافسون فيما بينهم على قيادتها، أيهم يتفوق على الآخر سرعة، ولا يعنيهم ما إذا كانت تزهق أرواح الناس والى أي حد. وعند الريفي المعوز تظل السيارة شاحنة أيا كان حجمها، ففيها يحشر البشر مع الأشياء والحيوانات سواء بسواء. أما أمن عباد الله فمسألة ثانوية، أمرها متروك للأقدار. ورصيف الشارع الذي جعل للمارة يتحول في أمسيات الصيف الى مكان للنزهة أو التجمع، والمرور عليه شاق وقد يعرض كرامة المرء للامتهان. والشهادة الجامعية التي هي بالأصل إجازة مهنية صارت أداة للترقية الاجتماعية ودليلا على مرتبته في سلم التشريفات.

هذه الأمثلة وغيرها، وهي بحدود وفي، تدل، إن دلت، على أن أشياء الحضارة الحديثة ووسائلها ومؤسساتها، حرفت عن الغرض الذي جعلت من أجله لتنتظم في إطار علائق اجتماعية أخرى، ما يزال كلها قبليا، قوامها العصبية، كما يرى ابن خلدون. والانتماء فيها ليس للجماعة (الأمة أو الوطن) أو للدستور، بل للزعيم، لا فرق في هذا بين النظام الجمهوري والملكي، الاشتراكي والرأسمالي، الشعبي

- التقدم ليس في حيازة الأشياء بل في تحقيق نمط استخدامها، وعلى الأخص في العلاقات الاجتماعية والانسانية التي تكشف نتيجة استخدامها
- لقد حضرنا ماضينا وما نحن فيه الآن على طريقة القرن العشرين ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين، ولم نعش إلا ما أتيح لنا
- الآلة ليست موجودة قائمة بذاتها، إنما هي حصيلة التاريخ، إنها تعد من أبعاد حضارة متكاملة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً



والبرلماني بما ... الكل بالتبعية ولقد خلقنا الى العقلية واحدة.

والواقع اننا سواسية في ... فعلنا عن الآلة ومسايرتها، لا فرق بين شمالنا وجنوبنا، شرقنا وغربنا، فقد دخلنا كلنا نقويا في تسوية معها، وتحت القديم على الحديث وعلى أية حال فان الحلول المتوسطة ... تعرض الانسان ... فرداً وجماعة ... وبالفعل فقد عبرنا ماضينا ومازال نتلمس طريقنا الى القرن العشرين ونحن على مشارف الواحد والعشرين، فواحد من اوجه التحدي الاساسية هو اننا لم نجد ما كنا عليه ولم نصل الى ما يجب أن نصل إليه.

اللغز في الانسان

إن الآلة هي بين أشياء العالم الشيء الوحيد الذي لا سر فيه ولا لغز. فبوسعك، إذا رغبتها، أن تفككها قطعة قطعة بحيث تلاشيها، ثم تعيد خلقها كما هي أو مع تعديلات تجعلها أنسب مما كانت عليه، كما انك تستطيع ان تستخدمها لأي غرض تشاء فهي ملكك ولك الحق المطلق تدميرا باستهلاكها.

لكن اللغز هو في الانسان، مبدع الآلة، لانه يمنحها الوجود ويستخدمها لاستعباد الآخر، وهي في الوقت ذاته تفرض عليه أمورا لم يكن لولاها ليأخذ بها، فلا ندري أيهما يسود الآخر. فالتحدي ليس في الآلة، إنها يتناول كل انسان يدفع ثمنها، وليس في المهارات اللازمة لاستعمالها.

الموجودة في انسان مستعبد ... من الجهد المنقذ ... لا تكون ... وتخضع الى ... فهو ... متخصص ... ... سوى ... مشروع في وحدة لا قومية إجمالية قومياً ولا تملكها ... الآلة ... وتحويلها وتكييف شبه ولستوعب نتائجها والتحدي في هذا، أي في قدرة الأمة على تنظيم ذاتها في مؤسسات تستطيع بدقتها وملها التحكم، أن تفرز أو تستقطب الهيئات المتخصصة ثم توظف حصيلة عملها لخدمة مصالحها الخاصة، ومنها السيطرة على الامم الاخرى.

إن الآلة ليست موجودة قائمة بذاتها، ليست شيئا حياديا، بحيث لا تتأثر بالنقلة من بيئة انسانية الى غيرها، انما هي حصيلة تاريخ، وليدة مجتمع، كونها وكونته، أي المجتمع الصناعي ثم هي اليوم المجتمع بعد الصناعي، انها اذن بعد من أبعاد حضارة متكاملة في بناها الاقتصادية والسياسية، الثقافية والاجتماعية وايضا في ادبها وفلسفتها وقيمها وتقاليدها، الخ. فكيف يتسنى للجماعات غير المصنعة ان تصنع وتحافظ في الوقت ذاته، كل منها على هويتها وشخصيتها التاريخية؟ ذلكم هو السؤال الخطير المطروح على العالم غير المصنع، بخطورة متناسبة مع اصالة كل امة او حضارة، من امم وحضارات هذا العالم.

ثمة ظاهرة، قلما يعيرها فكرنا العربي ما تستحق من اهتمام، مع انها سيرورة بعيدة المدى، وهي ان الاستخدام المتزايد لدى كافة الامم والشعوب، للسيارة والثلاجة والراديو والطائرة وغيرها من منجزات التقنية التي اصبحت من ضرورات الحياة، وايضا استخدام البندقية وايضا المدفع والصاروخ، وغيرها من مستلزمات الدفاع عن النفس، كون ويكون بسرعة عادات وقيما، عقائد وتصورات واخيلة ومنعكسات موحدة، وبمعنى ما أسلفنا آنفيا، وبالتالي عقلية مشتركة وعلائق انسانية واحدة، فما هي حدود هذه السيرورة؟ وهل سينتهي الامر مع تعميم استخدام منجزات التكنولوجيا الى صهر كافة الامم في أمة، وكافة الحضارات في حضارة؟ لا اعتقد ذلك إذ لا توجد اية بوادر تبشر بظهور مجتمع لا قومي او عالمي. وربما ان العكس هو الاصح، اليوم ولا شعار الغد. ولكن المؤثرات التي يخضع لها الشباب العربي اليوم والتي هي بوادر عقلية جديدة، تباعد بينهم وبين الماضي بحيث يفقد التراث تدريجيا، في نظر الاجيال الناشئة، كل معنى، ويبدو وكأنه جملة اوامر وزواجر مجانية اي عرافية. ليس التقارب بين الشعوب والامم والحضارات بالامر المكروه فقد وجد البشر ليتعارفوا ويتعاونوا، إلا أن الشعب يفقد مناعته بفقدان اصالته، فيصبح التقارب لصالح الاقوى، وربما سيطرة مبطنة، محلقة بالمثل الانسانية العليا.



ذلك ، على ما اعتقد ، امر واضح .

والذي ليس واضحا هو الطريق التي تؤدي الى التأليف بين خطين - للوهلة الاولى متنافرين - خط الماضي الذي هو شخصيتنا التاريخية وخط المستقبل الذي هو خط الحداثة .

والخطأ هو اننا ما نزال نعتبر التقنية وسيلة وحسب ، أي في اننا مانزال نفصل الغاية عن الوسيلة ، فنحتقر الموجود التقني ، بشكل عام ، شيئا قد يملكه المرء وقد لا يملكه ، مع انه في الحقيقة وجه من اوجه وجود كلي نسميه (الوجود في الحداثة) .

فالتحدي ليس موجها لثروات العربي بل لوجوده أولا ثم لثرواته .

ولغز الحياة

كان ديكارت يرى الناس متساوين في العقل (الحس السليم أحسن الامور توزعا على حد قوله) متفاوتين في الطريق التي يسلكها كل منهم للوصول الى الحقيقة متفاوتين ، بتعبير آخر ، في استخدام العقل هذا يجيده فيتقدم ، وذاك يسيئه فيقصر ويعثر ما ، الحق معه إذ ان بوسع كل انسان مبدئيا إذا وضع في شروط سوية ان يميز بين الخير والشر ، بين العدل والظلم وان يفهم البديهيات الناتجة البرهنة المنطقية (الكل اكبر من احد اجزائه ، مثلا او ان يعرف ما إذا كان يمارس حقا حرياته اولا ، ولاية درجة (الديمقراطية) . كما ان بوسع أية جماعة ان تبلغ مبدئيا اعلى الدرجات في سلم الحضارة والثقافة ، إذا اخذت بأسباب ذلك ، ولقد برهنت على صحة هذا المبدأ حركة صعود الامم وهبوطها على الخصوص في القرن الثالث وفي هذا القرن ذلك ان العلوم والتقنيات وكافة وسائل التقدم (كما يفهم التقدم اعتباديا) ملك الانسانية جمعاء ، ومن حق كل انسان ، فردا وجماعة ، ان يفيد منها كما ان من واجبه الاسهام في تطويرها .

فوجود الانسان مقصرا في عالم يتقدم ، مع ان كافة الابواب مفتوحة امامه وكافة الامكانات متوافرة لديه ، هذا الوجود هو التحدي بالذات ، وهو يطرح سؤالا ، التامل المتلمس فيه بجرح المتخلف وهو : لم كان التخلف ؟

ثمة عوامل شتى وظروف موضوعية واكيد للتخلف ، منها المناخ والتفاوت العرقي ودورة الاقلاك التي كانوا يرون في السابق (ابن خلدون مثلا) ومنها ، فيما يرون اليوم ، الغزو الاجنبي الذي كان يعطل حركة تقدم الشعوب في السابق ، والاستعمار الذي بدأ مع النهضة الغربية وما يزال مستمرا ، هو الذي قسم العالم الى مناطق نفوذ او احتلال اجبرت كلا منها على الانغلاق على ذاتها وبقيت كذلك لسنوات طويلة خلت وايضا وجود المواد الاولية ومصادر الطاقة اللازمة للسيطرة حيث نشأت الثورة الصناعية في اواخر القرن الثامن عشر .

الا انه لا توجد ، من حيث المبدأ ، شروط ثابتة ... والفكر .

الى ان بشكل آخر ان الشروط والاسباب والعوامل التي ذكرت وغيرها بعدد وفير ، كلها ، قد اوردت ورددت بكافة الاشكال والتلوينات ، لا تكفي لرفع مسؤولية التخلف عن المتخلفين ، على الخصوص اليوم ، بعد ان استقلت معظم امهم ، وصارت كل منها نظريا ، سيدة ثرواتها ، تتصرف بها كما تشاء ، وعليها ان تستخدمها ، لا لرفع مستوى حياة الشعوب وحسب ، فهذا تحصيل حاصل بل ايضا لاذكاء روح الابداع عند الفرد ، وهذا هو جوهر التقدم .

ان وجود الجماعات ، امما كانت ام حضارات ام شعوبا او غير ذلك ، هذا الوجود تاريخي ، فما نسميه خصائص الامة او عقليتها او مميزاتها القومية ان هو الا تشكل مرتبط بظروف سياسية ، اقتصادية ، ثقافية تنشأ فيها وينشأ فيها ويضمحل لان ثمة قد يكون هناك طابع عام او خلق مشترك يميز امة عن اخرى ويفسر سمات خاصة على تقدمها او تأخرها ، وهو قليل للاستمرار زمنا طويلا ولكن ما الذي يضمن استمراره الى ما لا نهاية له ؟

فالعجز إذا ليس عضويا ، كما يقول علماء الحياة ، اي ليس من بنية الموجود ، ولو صح ذلك لما كان ثمة نمو ، وإنما هو وظيفي على حد تعبير علماء الحياة ايضا ، ليس العجز في العقل ، فهذا مشترك بين البشر اجمعين ، كما يقول ديكارت وهو الذي يميز الانسان عن الحيوان بل في ممارسة الانسان لقدراته العقلية ، فقد يستخدمها للقتل والسطو وبغية انواع الاذى ، وقد يسخرها لتغطية عقده النفسية ، كما قد يستخدمها لتنمية العلوم والاداب والثقافة ، شأنه في ذلك شأن مالك رأسمال ، قد يستهلكه لاشباع شهواته ، وقد يوظفه في مشروعات التنمية .

فالسؤال الذي لا جواب له هو : لم يتراخى الانسان في وقت من الاوقات فيبدأ بالهبوط وينساق معه ؟ لم يدمر الانسان احيانا وجوده وكأنه ينتحر عامدا متعمدا ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ ... وبالعكس ، متى وكيف ولم تشتد همته فيقاوم الضعف ويصبح مستقبلا ؟ إنه لغز الحياة .

التحدي الحضاري

ليست هذه المرة هي الاولى التي تواجه فيها الامة العربية تحديا حضاريا بمقياس التاريخ ففي القرنين الاول والثاني للهجرة وجدت امتنا ذاتها امام حضارتين كانتا إذ ذاك تتنازعان السيطرة على العالم المتحضر الاغريق في تراثهم الفلسفي وفي بيزنطة وريثتهم ، ومن جانب آخر بلاد فارس وغيرها وروحانية الشرق الاقصى . وما ان اطل القرن الرابع حتى اصبح كل من الحضارتين ، بالتعريب والتمثل ، بالتأليف وإنشاء المؤسسات ، بعدا من ابعاد الوجود العربي .

ولكن من المؤكد ان تحدي الحداثة فكرا وتقنيات ، اضخم واقوى مفعولا من كل ما سبقه من جهة لانه يقع على بنية اجتماعية جعلتها قرونا عدة من الانحسار والتقوقع ، هشة سريعة العطب ومن جهة أخرى لان التكنولوجيا التي هي وجه الحداثة الاكثر تقدما والاكثر نفاذا ، تملك قدرة خارقة على تقليب المعطيات التاريخية على الخصوص (؟) لم تكن هذه مهيأة

- التحدي موجه لأمم العالم كله - وبالدرجة الأولى لثقافة كل منها، وبتعبير أدق لأصالتها وصورتها الحضارية وتاريخها
- التقدم ليس في الثروة ولا في عمران المدن - حتى ولا في عدد المدارس



ابن خلدون — ديكارت — كارل ماركس

لاختصاصها، أي لمعرفتها وتمثلها وايضا تطورها، ويزيد في خطورة مقولها انها بذاتها، كيان مجرد، حيادي، أسم بدون تراث، منعزل عن الزمان والمكان، فحيث يفرضها الانسان تربح التاريخ القائم تاريخا خاصا بها، وهو في الحقيقة نفي لكل تاريخ، وحيث تهبط على حين غرة هبوط الغازي الفرض صورتها وتاريخها، منطقها وتراثها، أو قل يفرضه صاحبها عن مصالحه - باسم العلم والتقدم، باسم الحرية، باسم الصداقة بين الشعوب باسم ما شئت من المعاني الانسانية العظيمة.

فالتحدي اذن موجه لأمم العالم كله، وبالدرجة الاولى لثقافة كل منها، لمؤسساتها للغتها، أو بتعبير أدق لأصالتها ولصورتها الحضارية، كما تطورت خلال تاريخها. إلا انه يأخذ شكلا حادا جدا عند الامم غير المصنعة حيث البنى والقوى، القيم والتقاليد، حيث العلائق الاجتماعية والانسانية تبحث عن هذا الرهان، فلا تتوافق مع الة الحداثة. وايضا حيث على الجماعة بالتالي أن تنشىء كل شيء وتنشىء وجودها من الصفر، وفي الوقت ذاته تحافظ كل منها على اصالتها.

فالتحدي رهان على الوجود.

إلا أن ما تصنعه إنسان، يستطيع كل إنسان أن يصنع مثله وأحسن، وليس هذا بالامر المستغرب، فالالة، أية آلة، مهما تكن دقة صناعتها وإحكامها وتعقيدها، إن هي إلا دستور رياضي حقق في الحديد والخشب، إنها تجسيد عقلي، فكرة مجردة... لاصحية ... مجسمة ... فهي للاستعمار ... ولا وجود لها ولم ... وقلبه فيه، ... المرتبة ... الثروة ... لها.

وإذا كان ... موضوعة ... في ... قوة إلا بالطريقة او بـ... المتناسبة مع غرضه، وربما ان الاعتراض الأهم على ديكارت وطريقته هو في سؤالنا عما إذا كان بوسعنا الفصل بين العقل والطريقة التي يستخدم بها لتحقق، اذ ليس من الممكن اعتبار الغاية بدون الوسيلة ولا الهدف بدون الطريق التي تؤدي إليه، والعكس صحيح. فاذا كان بمقدور انسان مزود بثقافة مناسبة أن يصنع آلة حديثة تدرب على صنعها، واذا كان بمقدور اي مجتمع اليوم ان يعد علماء وتقنيين بعدد وفير، فليس من السهل على الجماعة ان تنظم ذاتها بحيث تستوعب علماءها فلا يغادرونها، كل منهم، فور إنهاء تحصيله. كما انه من الصعب جدا على الفرد ان يبدع فكرا متقدما بدون مناخ مشبع بالثقافة والحرية. قد يكون من العسير حصول الانسان على رأس مال نقدي وفير، ولكن الاعسر هو حسن استخدام رأس المال هذا بحيث يؤتي أكله.

إن التقدم ليس في الثروة، ولا في عمران المدن، حتى ولا في عدد المدارس، على أهمية هذه الوسائل وغيرها، بل هو في الابداع، القدرة على تخطي الركود في سبيل تجدد لاحد يحده، وعلى انواع الابداع وهو ابداع الانسان ذاته وعالمه. فعندما تبلغ الجماعة هذا المستوى تنتج ما تحتاجه من علماء وتقنيين والات تلائم مرحلة نموها، وتنتج بالدرجة الاولى شعراء ومفكرين... وأيضا قادة على مستوى الآتي.

• • •

ان قوتنا من الاستعمار والاضطهاد، من الفقر والتقوقع... فقد الانسان ثقته بذاته فهو ضعيف الخلق، محدود النظر، سيء الظن بالآخر، جشع، نهمه لايشبع من الثروات والمناصب والالقاب. إذا وضع في مركز السلطة تسلط. هذا الرجل إذا حكم خنق الحريات واضطهد الناس، لامن سوء نية في اغلب الحالات، بل لانه لايطمئن اليهم لايركن إلى من لايعرفه. أهل عشيرته ... والمتزلفون هم الموثقون وضعهم. عندها تراوح الجماعة مكانها ويخيم عليها شبح التخلف ويبدأ التحدي.

فالداء في الحرية وطبها وحدها ان تجيب.

ربما أن الحضارة التكنولوجية هي أكبر امتحان تعرضت له في التاريخ حرية الانسان فردا وجماعة. ولكم هو جوهر التحدي. يضع كل أمة أمام مسؤولياتها، وعليها أن تجيب، لابالاعلان عن النوايا الطيبة، فالعبارات المنمقة دوما دليل عجز في المؤسسات، وبما تعطيه من مبادهة للشعب، كي ينتقي ويختار ويوجه وبالحوار الفعلي بين القيادة والناس، وتبادل الادوار فضيلة المواطن أن يكون حاكما ومحكوما، أن يجيد الامارة والطاعة، كما كان يرى أرسطو وبما تنتجه من مثقفين وفنانين وفلاسفة... يسألونها عن حقيقتها، في جواب الامة النبيل إلى وعي درجة تحررها، والبرهان على أن بوسعها تخطي التخلف.

والحرية هي الحكم الأول والاخير في شؤون الحياة والدنيا.

انطون مقدسي

نعمان عاشور

لقاء مع

بيرم التونسي العراقة الشعبية



من أصل تونسي .. لكنه من مواليد الإسكندرية

كان صاحب محل عطارة وهو صبي

الظاهر بيبرس : إحدى روائع بيرم الدرامية

أزجاله ظلت تنبض بغناء الناس حتى آخر عمره

تعود بيرم رحمه الله أن يكتب في أي مكان يهبط عليه فيه الوحي . وكما كان يقول هو ساخرا من نفسه (لما تواتيني زنقة الالهام فقل على الدنيا السلام) فذلك انه كان يسارع الى تسجيل خواطره حتى وهو جالس في الترام لأنه كان يتمسك بحكمة دائمة بالنسبة لما تجود به قريحته الفياضة (اصل اللي يجي لو راح ما بيتكررش) وهو يقصد بذلك ما تكشف له عنه احاسيسه من افكار نسميها نحن تارة بالوحي وتارة بالالهام كان اذا لم يسجلها في حينها واراد ان يكتبها بعد ذلك فلابد ان يكتب شيئا اخر غيرها .. وقد درج بيرم على ذلك من الصغر منذ كان صاحب محل عطارة في أوائل نشأته بالاسكندرية وهو صبي .... ابان الحرب العالمية الأولى وبالتحديد عام ١٩١٦.

كاتب عمومي

حدثني عن ذلك بنفسه في جلسة طويلة إذ كنا نعمل معا في القسم الأدبي بجريدة الجمهورية ويقوم بالاعداد لاصدارها بعد تجارب استمرت أكثر من سبعة شهور وقال وهو يجلس الى احد المكاتب الخالية وفي يده ورقة وقلم وانا استغرب انه سيجلس ليكتب مباشرة : (انا المسألة حدث على كده من زمان .. من ايام العطارة .. كنت اقعد في الدكانة والناس تعشش في باعمل حسابات المحل .. وانا في الحقيقة بارص أم قصايد زجل وشعر زي اللي انا حاارصها دلوقت لبتوع الجورنال) وهذه العادة .. عادة الكتابة المباشرة في أي مكان كانت تفرضها عليه طبيعة وظروف حياته بعد أن تحولت الكتابة الى حرفة ومهنة ومصدر الرزق الوحيد . لكنها لم تكن عملية الخلق عنده إذ كان يصف نفسه وهو يزاولها بأنه (كاتب عمومي) لكنه حين يشرع في كتابة الأعمال الفنية الكبيرة التي يعتز بها يحتشد لها بكل المهيئات الممكنة التي تتيح له التفرغ والانقطاع والعزلة عن الناس ..

كان من عادته رحمه الله أن يختار ركنا منزويا من أي مقهى وأمامه كراسة من كراريس تلامذة المدارس وفي يده قلم صغير من الرصاص .. وكان يحب أن يكتب دائما بالقلم الرصاص . يجلس وعيناه تجولان فاحصة فيما حوله حتى ليخيل اليك أنه يبحث عن شيء ما قد تاه منه . ثم يرفع قامته ويتمتم كما لو كان يخاطب السماء ..

فلذا نزل براسه على الورق لم يرفعها إلا وفي يده كل ما كتبه كاملا ...



حارة الدواوين التي قضى بيرم لياليه الاخيرة

قهوة السد بحي السيدة زينب مكان بيرم المفضل لكتابة ازجاله

بيرم مع زكريا احمد

غية الحمام

صحبني يوما الى منزله وكان يقطن في المدبح .. احد احياء القاهرة الشعبية العتيقة .. وكان القصد أن يطلعني على (غية الحمام) التي يقتنيها .. كان يعشق الحمام بكل انواعه ويقتني العديد منه ويقوم على تربيته وإطعامه ومبادلته مع غيره من الهواة .. وهذه الهواية هي الأخرى كانت لاصقة به منذ شبابه وهو في الاسكندرية .. وقد لازمته طوال سنوات المنفى التي امضاها في فرنسا وكانت من أقوى الانطباعات التي ظلت عالقة بوجدانه وتستأثر بكل اهتمامه ..وكثيرا ما كان يتحسر ان يكون لدينا مثلما في اوربا ميادين يطير ويعيش الحمام فيها ....ثم يستدرك (عارف الحكاية دي لو حصلت لكن دا مستحيل .. احنا بناكل الحمام والعصافير كمان)

أما بيرم نفسه فلم يكن يطيق ذبح الحمام حتى يأكله ...

تحية الظاهر بيبرس

التمست يوما على الجلوس إليه في مقعد مقابل وكنا في نادي الاذاعة القديم بشارع الشريفين وشاعرنا الكبير يملى احدى حلقات مسلسلة الرائع عن الظاهر بيبرس وهو احدى روائع بيرم التونسي الدرامية ... وياليت احدا يعنى بنقل شرائطها المسجلة في الاذاعة (هذا اذا لم تكن قد مسحت واعدمت) وبالقليل تسجيل اصول حلقاتها المكتوبة بخط يده اذا لم يكن قد ادركها الضياع في ارشيف الاذاعة .... ثم يعمل على طبعها فهو من القوم واعمق ما سجل من تراثنا الشعبي على ارفع المستويات الفنية .. امسكت بالمقعد ولكني ما كدت اجلس واحركه حتى فزع صارخا في وجهي (ابعد عن حرام عليك) ولم اغضب فقد كنت اعرف فيه هذا الطبع ... لكنه حين انتهى من الكتابة قام يترنح وكأنه كان في غيبوبة ثم اخذني من يدي لأجلس على المقعد امامه .. بعد الحاح في الاعتذار

حكاية التفصيل الأكبر

وحقيقة الموضوع أن الحلقة التي كان يكتبها للاذاعة عن الظاهر بيبرس كان ينقصها مشهد حتى تصبح مدة التسجيل بالمسمع الاضافي نصف ساعة كاملة ... لانها اذا سجلت كما كتبها اصلا لخرجت ناقصة اربع دقائق وبالتالي لا تستحق عنها اجرا يعادل نصف اجرها المقرر لنصف ساعة .. وكان بيرم شديد الحساسية لمثل هذه الامور وكان يكتب المسمع الاضافي مرغما ... وبعد أن تابع اعتذاره راح يشرح لي حقيقة ما كان يكتب بسخرية لاذعة مريرة .. (انت عارف احنا بنعمل إيه ؟ احنا بنقدم قماش والمكن هو اللي بيفصله) وكان يقصد بذلك اجهزة التسجيل ومكانة الكاتب المعاصر بكلمته المكتوبة على الورق في مواجهة ادوات التعبير الحديثة الناطقة والمشخصة على السواء .... كان يعاني من ذلك حتى فيما يكتبه من اغان خصوصا للسينما .. فأحيانا ما يقدم الاغنية ثم يعترض عليه المخرج لانها قصيرة أو يطلب اليه المطرب والملحن تغيير بعض كلماتها ... فيأخذ بيرم نص الاغنية ويمزقه في وجوههم ثم ينصرف .. فاذا لاحقوه كتب لهم غيرها مشترطا الا يجددوه بمقابل والا يطالبوا منه تغيير حرف واحد منها .. كان لا يقبل ابدا ان يعبث احد بكلماته فيما عدا (الشيخ زكريا) .. و (الست) وهو يقصد زكريا احمد وام كلثوم وعلى اساس الا تستبدل اي كلمة في اي شطر إلا بعد موافقته وهو الذي يختار بديلها وينتقيه بنفسه ..

بيرم | قصة حياة

وربما قبل ان تنساب بى الذكريات والانطباعات عن بيرم التونسي وعشرتي له ... افضل لو اقدم صورة خاطفة عنه وعن حياته حتى اعرفكم بحقيقة مكانته وقيمته ... بيرم من اصل تونسي ولكنه من مواليد الاسكندرية .. وقد نشأ في عائلة فقيرة وتحمل عبء حياته من صباه .. وورث عن والده مهنة العطارة ولم يكمل تعليمه في المعهد الديني ... واكتشف في نفسه موهبة الشعر ثم كتابة الزجل ... ولانه يعيش على الدوام بكل إحساسه وفكره ووجدانه مع الجموع الشعبية المعانية في كافة مسالك الحياة .. فإن ازجاله ظلت تنبض حتى نهاية عمره بعناء الناس وصرخاتهم وشقائهم في شجاعة نادرة وثبات وصلابة لا تعرف اللين وهو الابن الشرعي للجموع الشعبية التي حملت على اكتافها ثورة ١٩١٩ في مصر ... وكان من ابرز المعبرين عنها سواء في موقفه السياسي وفي انتاجه الفني وزمالته وارتباطه المتصل بصنوه العملاق الموسيقي سيد درويش الذي كتب له بيرم العديد من اهم ما لحن من اعمال غنائية

لقاء مع : بيرم التونسي

● بالرغم من احتكاكه بالمجتمع الغربي.. فقد حافظ على تدينه



بيرم سنة ١٩١٩

بيرم في حالة استرخاء

ومسرحية باقية ....

نفي بيرم من مصر عام ١٩٢٠، وعاش شريدا في فرنسا سنوات طويلة ثم حاول العودة الى مصر مرارا ولكنه فشل الى أن اتيحت له الفرصة عام ١٩٣٦ إبان الفرحة الوطنية المطالبة بالحكم النيابي الحقيقي وعودة الحياة الدستورية .. كان يسافر باخرة تعبر قناة السويس فلما رست أمام مدينة بور سعيد لم يستطع أن يقاوم فنزل الى البر وانسل هاربا الى القاهرة واختفى لعدة شهور عند بعض معارفه واصدقائه القدامى .. فلما عرف بوجوده كان لابد لكي يرفع عنه النفي المؤبد خارج مصر أن يقدم الثمن على صورة بضعة أزجال يطري فيها الذات ويطلب العفو من الملك فاروق .

حدثني بيرم عن ذلك الموقف الذي لم يرضه فيه ضميره وبعض أصدقائه حتى بعد مماته ...

الحقيقة انا كنت ايامها في حيرة ومانيش ليكي رأسي تاني .. اكنّ قعدت افكر لسه حارجع للمر اللي شفته في أوربا .. وفي مقابل ايه ؟ .. كام سطر زجل من ضمن الالف السطور اللي باكتبها علشان ارجع اعيش في مصر تاني ... كنا نجلس على طرف الرصيف في مقهى مجاور لسراي عابدين .. وكان مزاجه معتدلا على غير العادة ... فقال منطق عجيب وعميق وهو يبصق على الارض مشيرا الى بصقته ثم الى الاوساخ التي تضج بها ارضية الميدان وشوارعه فول أبيت الرصيفة بتاعتي دي تعمل ايه في الشارع ؟ !! زودته وساخة ؟؟ أبدا !!

.... وما في الحقيقة لم تكن الوجه وإنما كنت ... فقدنا ... الا ... فقالوا ... السنوات التي عاشها في مصر بعد ذلك حتى وفاته في ١٩٦١ .. فقد عاد ليغمر حياتنا بأعماله الفنية الباقية في كل مجال من مجالات نشاطنا الفني .. السينما والمسرح الغنائي والاذاعة وما يكتبه لام كلثوم من أغنيات .. ثم هذا التراث الوافر من الأزجال والمقولات الشعبية التي كتبها ناقدا كافة همومنا الاجتماعية والثقافية في أصالة وتجدد وحيوية لم يصل اليها احد بعده حتى اليوم ...

اعتزازه بنفسه

ونعود الى لقاءاتي معه .. لقد كان الشيء الغريب الذي يستوقفني في بيرم دائما انه رغم الحياة العريضة الصاخبة التي عاشها خارج مصر .. ورغم احتكاكه بالمجتمع الغربي احتكاكا لاصقا قويا وبالذات اندماجه بالحياة الجماهيرية الشعبية هناك بحكم قيامه بكثير من المهن الصغيرة ولا اقلها اشتغاله حمالا ثم جزارا الخ .. فانه ظل ثابتا على شيئين رئيسيين تدينه الذي يتوحد بالتصوف ثم التعلق الدائم بابناء وطنه من طوائف الشعب العمال والفلاحين بالذات واحياء القاهرة الشعبية بناسها وتقاليدها .. لقد عاد كما لم يعد غيره وهو أكثر ارتباطا بالبيئة التي انجبته وإن كان دائم السخط صارخ الاسى على ماتعانيه من فقر وجهل وتخلف .. ثم هذا الانعدام الكامل في التمسك بأبسط مقومات الحرية .. وكانت الحرية تتمثل دائما عنده فيما يلمسه من رضوخ الناس للقهر وهوانهم واستسلامهم لكل عوامل التسلط .. ومن هنا رفض كل ما كان يعرض عليه من وظائف وأعمال حكومية وغير حكومية رغم انه كان يعيش من اليد الى الفم واحيانا ما تنقطع عنه سبل الكسب من انتاجه .. ولهذا كان يحرص على أن ينال حقه من كل مايقدم من كتابات حتى اتهم بأنه يغالي في تقدير قيمة واجر انتاجه .. وقد اختلف كثيرا مع أم كلثوم فيما كانت تدفعه له في مقابل أغنياته التي يؤلفها لها لدرجة انه اتهمها بالبخل والاستئثار والانانية وامتنع عن الكتابة لها عدة سنوات متأثرا باحساسه بالغبن .. وظل على موقفه وهو يردد .. (انا باقول كلام ماحدش غيري يقدر يقوله .. علشان كده .. انا اللي احدد قيمته وثمنه ..)

الفقر .. والجدعنة !

كان بيرم عنيدا في اعتزازه بكتاباته حتى صوره بعضهم بأنه كان يضمر الحقد لبقية الفنانين الذين يكسبون من اعمال اقل قيمة من اعماله .. الكثير من الاموال ...



بيرم عام ١٩٣٧ فى سنوات المنفى بفرنسا

ضعف أضعاف مكاسبه .. وتلك قرية عرفتها فهم خاطىء وغير ملائم لطبيعة الحياة التى عاشها بيرم .. فالرجل كان يقتات من قلمه وهو لم يكن يطمع فى المال بدليل انه كان مبدءا وعلى حد وصفه لنفسه (انا راحة ايدى سايبه .. انت تقدر تمسك المية فى ايدك .. أهو انا الفلوس فى ايدى زى المية تملم لكن لازم اخذ حقى بالكامل) .. والذين عاشروا بيرم حتى نهاية عمره فى زهده وقصوته البالغ يعلمون كيف كان ينظر للمادة فى احتقار مرير .. تقيته يوما يجتاز رصيف الترام مع ولديه الصغيرين (اكبرهما على كتفه) وكان فى طريقه ليشترى لهما كسوة العيد .. ويحمل فى يده حوالى مائة جنيه استلمها توا من خزينة الاذاعة مقابل تمثيلية رحلية فقال لى وهو يأسف ساخرا والفلوس فى يده : نبيع مشاعرنا وافكارنا على الورق ونأخذ مقابلها ورق نشترى به .. حرام وحرام .. ثم اردف وهو يجتاز الشارع بولديه وكل منهما فى يد : (الحمد لله على الفقر والجدعنة) وهى عبارة تسمعها دائما على لسان كافة ابناء البلد فى مختلف حوارى القاهرة ..

عامية بيرم وشاعرية الفصحى

منذ اكثر من خمسة عشر عاما .. زارنى احد ابناء بيرم بعد أن كتبت عنه دراسة بمناسبة ذكرى وفاته .. وكان يعرف مدى حبى وعلاقتى بوالده وشكرنى على اننى نوهت بأهمية وضرورة جمع تراث بيرم المشتت المبعثر فى مختلف الجرائد والمجلات والكتب .. واخبرنى ان لديه العديد من الاعمال التى جمعها من مخلفاته وبينها العديد الذى لم ينشر وبحكم عضويتى فى لجان المجلس الاعلى للآداب والفنون استكتبته مذكرة بذلك واحلته على المسؤولين بالمجلس فرفضوا قبول النشر بزعم ان المجلس لايقوم بنشر مؤلفات مكتوبة باللهجة العامية .. وانصرف الصبى يائسا .. بعدها وانا اقلب احدى المجلات القديمة وجدت فيها بعض قصائد بيرم فحرصت على تضمينها فى كتاب اخرجته عن الشخصيات المصرية بعنوان (بطولات مصرية) وبينها طبعا شخصية بيرم .. وهاكم قطافا من قصيدتين لتحكموا بأنفسكم على مدى العامية فى زجل بيرم وارتباطها الأصيل كتعبير ادبى يليق والتراث واستقر سليقة الفصحى

القصيدة الاولى بعنوان (الدنيا الميتة) [illegible]

من مقوم او كلمة صفقة بتحسق وتقويم
تسب وتدب وتشغل غراك بالنجوم
وكل محسوق وله فرقه تقوم بهجوم
من قبل ما تعرف الظالم من المظلوم
تبقى الشرارة حريقه والسحابة حسوم
لاشركة تنجح ولاعينة صفاها يدوم
ومنين نشوف العدل ولا السفينة تقوم
ما دمنا فوق قلبها قاعدين لبعض خصوم
تضحك علينا الحداى فى السماء والبوم

والقصيده الزجلية الثانية عنوانها (الزحام) ومنها هذه الابيات :
شوف الجاموس لما يشرب من شط النيل الواحد .. جنب اختها والقفين فى صف جميل ..
شوف الغنم للمراعى لما تملى رعيل لا الكبش يطغى ولا ينطح بقرنه اصيل
اسراب ومنتظمة راجعة للحمى بدبيل
وانظر وشوف البنى ادم بتوع دى الجيل
كل الأمور عندهم بالزعد والتشحيل
قالوا التى مايكونشى فى الاول دايبقى عويل
ومن كده ملطقيل فى كل زحمة قتيل

والله البهايم ولا ... اولاد قابيل وهابيل

لهجة عامية لكنها مصاغة فى رنة عربية اصيلة تكاد تدانى الفصحى فى سبكها وصياغتها وروعة معانيها بدقة ورقة صورها وما تحمله من مشاعر داخلية وموسيقى. تلك كانت موهبة بيرم وتلك كانت شاعريته وهى اقرب إلى التراث الشعبى منها الى التراث المتوارث .. وحرام أن نتجاهلها ولانجد بيننا من يحرص على بقائها قدر ما نحرص ونعتز بألف ليلة وليلة فى لغتها مثلما فى دلالتها وقيمتها .. ولهذا اقدم الدكتور محمود الشنيطى مشكورا وهو يرأس الهيئة المصرية العامة للكتاب على جمع تراث بيرم واصدار بعض اعماله فى خمس مجموعات

تجارة فى تجارة

قبل وفاة بيرم بشهور اصيب بوعكة صحية الزمته الفراش .. ثم عاد ليستأنف نشاطه .. لقيته جالسا وحده منطويا بنفسه فى زاوية بمقهى فى ميدان الاوبرا ... ولم يكن من عادته أن يجلس هناك .. كان امامه كوب من اليانسون وهو يسعل بانتظام من اثر الربو الشديد .. رحب بى وشكرنى على سؤالى عنه .. لم تكن امامه ورقة ولم يكن فى يده قلم .. وكان قد عاد من فحص طبى على صدره .. وجلس صامتا ساهما .. حاولت ان اخرجه من صمته .. (مالك يااستاذ بيرم) فاجابنى (الدكتور بيقول لى ماتشتغلش بعقلك وانا قرفت من صنعة القلم طب، وبعدين .. أعيش منين .. والاولاد حيعملوا ايه ؟ لالا لو مت حا ادخل الجنة لكن هما حيعيشوا فى نار .. الايام الجايه هيه ايام النار .. ايام الشقا .. ايام الشرور والجحود .. خدها منى حكمه .. الخير خلاص انتهى من الدنيا المعيشه كلها حتبقى تجارة فى تجارة .. بكره تشوف)

بعدها مات بيرم وكلماته لاتزال تطن فى اذنى كلما تلفت حولى .. كيف امكن له أن يصل بهذه النظرة النافذة الى المستقبل .. بفضل فراسته .. أم بفضل عبقريته أم بفضل إغراقه العميق فى مسالك التصوف والزهد والشفافية .. لقد كان بيرم من [illegible] الناس واقعية بقدر ما كان من اكثرهم [illegible] .. وتلك هى حقيقته على حد فهمى له ومعرفتى به ..

نعمان عاشور

صلاح عبد الصبور

من الزقازيق إلى أوربا على جناح الوهم

كان لكل من محبي الشعر الصغار من زملائنا كراستان - واحدة يثبت فيها ما تفيض به قريحته من شعر، وأخرى ينسخ فيها ما يروقه مما يقرأه في الصحف والدواوين. وكانت كراستي الأولى تتسع وتضيق يوما بيوم، فقد كنت لا أكاد أرضى عما أكتبه من شعر إلا بعد أيام من كتابته، ثم ما ألبث أن أكتشف ما فيه من نقص أو خطأ أو تقليد مكشوف، فأمزق عندئذ أوراقه من الكراسة، حتى لم يبق من بعض هذه الكراريس إلا جلدتها.

أما كراسة المختارات، فليتني احتفظت بها، وأضفت إليها، إذ أن كتب المختارات في رأيي نوع من التأليف، تفتقده مكتبتنا الشعرية، بل إن هذه الكتب هي ما ينطبق عليه بحق صفة (التأليف)، إذ يؤلف كاتبها أو جامعها بين أذواق وحساسيات مختلفة، مستهديا بذوقه وحساسيته، وقديما قالوا: إن اختيار المرء جزء من عقله.

وإني لأتمنى حينا لو كانت المكتبة الشعرية قد عمرت بمختارات طه حسين والعقاد وشوقي وغيرهم كما عمرت حينا بمختارات البارودي، والقدر لأشبنا أبويمن صبغه في جمع مختارات من الشعر العربي.

ولكن — هبني احتفظت بكراساتي المنسوخة الأولى، أتراني كنت أرضى الآن عن اختياراتي وتأليفي. لقد كان جزء كبير منها منسوخا من دواوين علي محمود طه التي كانت تصدر عندئذ في أنق طباعة وتباع بضعة قروش لا تطيقها جيوبنا الفارغة فكنا نستعين على نقلنا إليها باستنساخ نسخة مكتبة البلدية. وإني لأعرف الآن سر افتتاني بعلي محمود طه في ذلك الزمان. فلقد كان يجسد لنا ما تصبو إليه أجسامنا الفائرة وعقولنا الغضة. كان ضربا من أحلام اليقظة. فلقد كان علي محمود طه في ذلك الزمان قد فرغ في ديوانه الأول (الملاح التائه) من تصوير نفسه شاعرا رومانتيكيا أسيان حزين النفس منكسر الخاطر

أيها الشاعر الكئيب مضى الليل
ومازلت غارقا في شجونك
مسلما رأسك الحزين إلى
الفكر وللسهد ذابلات جفونك
ويد تمسك اليراع وأخرى
في ارتعاش تمر فوق جبينك
وفم ناحل به حير الـ...
...

ألم تكن هذه هي الصورة التي تداعب خيال صبي ريفي متأثر، حين يرى نفسه منقطعا عن العالم، عاكفا على كتاب أو ديوان شعر، يتخذ من الكآبة سمتا لأن الكآبة هي أليق ما يكون بالإنسان الحساس. ألسنا نحن الذين نفترق عن زملائنا بقدرتنا على حسك القريحة ونبله. ومن ثم يولوعنا بالتفكير في أمر الكون وتدبره إذ أن قلب الشاعر كما قال لنا المنفلوطي في أول صباه في تعريبه لرواية «سيرانو دي برجراك» - «هو مرآة تتراءى فيه صور الكائنات يزداد وعيا بأن الحياة ألم متصل وشقاء مقيم».

لقد جسد لنا علي محمود طه في ديوانه الأول هذه الرؤية، التي ما لبثت أن نسختها رؤية ثانية في ديوانه اللاحق «ليالي الملاح التائه».

كانت قد أتيحت لعلي محمود طه بعد صدور ديوانه الأول فرصة السياحة في أوربا ورأى ما فيها من جمال وسحر، واستوقفه فيها جمال المرأة، وسحر حديثها، وها هو يطالعنا في أول قصائد «ليالي الملاح التائه» بقصيدته عن «الجندول». لقد طار بي في الخيال من بيتنا الصغير في شارعنا المترب في مدينة الزقازيق إلى فينيسيا عاصمة الادرياتيك كما يقول علي محمود طه في مقدمته النثرية لهذه القصيدة، وركبت معه، أنا الذي لم أركب القطار حتى ذلك الحين إلا مرات معدودة، وكان ركوب القطار فيها قطعة من العذاب، حيث تتهاوى عليك حوائج مواطنيك من الفلاحين والفلاحات وقفافهم. ركبت مع علي طه في جندول مزدان بالمصابيح الملونة وشفائر الورد، وعبرت معه في قنوات المدينة بين قصورها التاريخية وجسورها الرائعة، وأنا المرح والغنى، وقد لبست زيا تنكريا بهيجا.

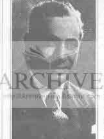
بل لقد جرى حوار جميل بيني وبين إحدى الفاتنات

وتبين لي بعد أن توثقت عرى الألفة بين هذه الجميلة أنها من فارسوفيا ببولندا! وهكذا جمعت بين الحسنيين - سحر ايطاليا - وفتنة بولندا، وطرت إلى هذه البلاد على جناحي علي طه، وكنت في ضيافته.

> **كان علي محمود طه في ذلك الزمان البعيد لنا حلم يقظة نتمناه، ونظن الطريق إليه سهلا متى حملتنا البواخر إلى تلك الشطوط البعيدة. لكننا فيما بعد قنعنا بواقعنا وزهدنا في هذا الحلم البهيج!**

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]


المنفلوطي


علي محمود طه



وفي سياحة خيالية ثالية ينقلنا علي طه الى بحيرة كومو، ولم يفته ان يقول لنا في المقدمة النثرية لهذه القصيدة: إنه كان في صحبة أديبة أمريكية وأن بحيرة كومو أجمل البحيرات الثلاث التي ينفرد بها اللمبارذي الايطالي. ولم يفته في القصيدة أن يقول لهذه الأمريكية على لساننا نحن ابناء العالم القديم الغرقى في فقرنا وبؤسنا وتقاليدنا الموروثـــة

يا ابنة العالم الجديد صلي عالمنا غير في دمى من تراثه. نفحة البدو والحضر وأغاني لمن شدا ومعان لمن فطـــ مقتصرين ..الفصحى. إن في عينيك الخبر الغريبان همسنـــا ليس بجديهما الحذر نحن روحان عاشقان وجسمان من سفر

ويظل هكذا ومعنا في غزو العالم بالشعر، بالشعر الأمريكية الأدبية. ويناك ودها الجميل.

وفي سياحة ثالثة ينقلنا علي محمود طه، أو ينقلني علي الاجنح من صيفي بشاطيء ترعتنا المترب الى شاطيء محيرة زيوريخ بسويسرا، حيث تنضم الى جارتي في المقهى الصاخب، ثم ما تلبث بعد أن أعطتني أنسامها أن تعطيني أعطافها:

أنا الغريب هنا، وملء يدي
أعطاف هذا الأغيد المرح
خفقت على وجهي غدائرها
فجذبتها بذراع مجتـــرح

وفي سياحة رابعة ينقلنا الى برن على نهر الرين، ولم يكن شاعرنا وحده في هذه السياحة، بل كان على عادته مع صديقة سويسرية هذه المرة، وفي المرة الثانية كان في زيارة بيت الموسيقي الألماني ويتشارد فاجنر في صحبة صديقة اسكندنافية، ثم


برن عاصمة سويسرا

البندقية

إبراهيم ناجي



فاجنر



كان مسك الختام أن هذه الصديقة الأوربية التي تصاحبه دائما قالت له ـ على حسب روايته ـ:

قلت لي ، والحياة بصحبة خديسة
النار تمشي بهما أو تساء
ملء عينيك بالشرق أحلام
سكارى ، وصبوة ، واشتهاء
وعلى ثغرك الشوق ابتسام
ضرجته الأشواق والأهواء
أو حقا تنساك زهر وخمر
وعيون فواتن وغناء

لقد انكشف السر اذن ، وعرفنا لم كان شاعرنا موفقا كل هذا التوفيق مع النساء ، له في كل مدينة حبيب ، وفي كل منعطف طريق عاشقة منتظرة ، فهو فتى الشرق ، أنه شرقي مثلنا ، فيه سمرتنا ، وإن كان له ثغر مشوق تضرجه الأشواق والأهواء ولكننا عندئذ نرى شبيهنا فيه ، فهو عندنا مثل نجم السينما الذي يحب ويعشق ويهجر ويسترضي وينتقل من قلب إلى قلب ، بالنيابة عنا .

لست أدري هل كان عالم علي محمود طه هذا حقيقيا صادقا أم كان من وهم الخيال ، ولقد زرت أوربا مثله مرات عديدة ، ولكني لم أوفق إلى حظ الشاعر من الصحبة الجميلة المرحة ، وتعرفت إلى بعض الحسان مثله ، ولكن ربما كنت أكثر شرقية منه ، فأنا أميل إلى الكآبة ، ولا تخطئه العين حين تراني أني تعرفت أكثر من هذه البلاد . وقد حاولت أكثر من مرة أن أجوع فمي (ولا أقول ثغري) بابتسام تتضح فيه الأشواق والأهواء ، ولكن حظي كان في معظم الأحيان عاثرا . ولكن علي محمود طه في ذلك الزمان البعيد كان يمثل لنا حلم يقظة تشتهيه ، ويظل الطريق إليه سهلا متى حملتنا البواخر إلى تلك الخطوط البعيدة ، وحين نضجنا وعرفنا أن الحياة ليست بهذا اليسر اليسير وهذه السهولة السهلة ، قنعنا بواقعنا وقدرنا ، وزهدنا في هذا الحلم البهيج .

وأخشى أن أقول انني زهدت أيضا في عالم علي طه وجندوله وبحيراته ورسائله ، كما نزهد في عالم الصور السياحية الملونة حين نرى الطبيعة في عريها الصادق .

ولقد أفلت من عالم علي محمود طه في وقت مبكر ، فلا صبواته عندي جديرة بأن تسمى حبا ، ولا شعاره عندي يشبهن النساء ، وزاحم علي محمود طه في قلبي شاعرا آخر من جيله وصحبته هو إبراهيم ناجي .

كان إبراهيم ناجي شاعرا قليل الحظ من رضاء النقاد ، حتى استقبل طه حسين ديوانه بمقال قاسي اللهجة ، ختمه بقوله : «وإن ناجي ليس على شيء ، وكان كثير من شعراء زمانه يحسدونه على الطب الذي كان مهنته ، لا على الأدب الذي كان في حياته» .

ولقد عرفت ناجي كإنسان ، ولا أظنني رأيت إنسانا تنطبق عليه هذه الصفة الكريمة مثل ناجي ، وأظن الظل الذي لن أرى فيما استقبل من أيام . كنا كشعراء ناشئين نتزاحم في ندوة في جمعية الشبان المسيحيين ، يشرف عليها شاعر ذهب ذكره مع الريح ، وفي هذه الندوة قرأ ما يقرب من عشرين شاعرا ناشئا قصائدهم ، ولم يستوقف ناجي الذي كان حاضرا ومشاركا بوصفه شاعرا علما من هؤلاء الشعراء كلهم إلا اثنان محمد الفيتوري ، وأنا ، وشد ناجي على أيدينا مصافحا بعد الندوة ، وطلب أن نلقاه في عيادته تشيرا بعد التاسعة مساء في أي يوم نراه .. أو نراه احدنا!

وذهبت ذات مساء إلى ناجي بشيرا ، وأعلنت للممرض اسمي ، فأدخلني في غرفته حتى ينتهي من رؤية مرضاه ، وكانت الغرفة غرفة كاتب لا غرفة طبيب ، فالكتب تشغل حوائطها كلها ، وجو الغرفة حميم معزول عن ضجة الطريق ، وجاء ناجي بعد حوالي نصف ساعة ، وسلم علي مرحبا ، ووجدتني وأنا ابن التاسعة عشرة أو أقل (فبراير عام ١٩٥٠) أجلس إلى ناجي يسمعني شعره الذي لم ينشره بعد ، ثم ينتقل إلى ترجمته لبعض سونيتات شكسبير أو قصائد بودلير ، فيفيض كريما بالحديث والضحك والشعر والثرثرة ، ويعد حين يرق الجو ويصفو ، حتى تتصور أنك في صحبة ملاك مجنح أو طائر رقيق .

وتمتد صحبتي لناجي حتى وفاته في أوائل عام ١٩٥٣ ، واحتفظ منها بأرق الذكريات التي يبهج نفسي أن تستعيدها .

صلاح عبد الصبور

حياتنا في مرآة المستقبل

● القارات ستتحول في مجال النقل الداخلي إلى مدن.. وأما السفر إلى الفضاء الخارجي فسوف يكون ميسوراً حتى قبل حلول القرن القادم!

أصبح علم المستقبل (فيوتشرولوجي) من العلوم الراسخة في عالمنا المعاصر بعد أن توطدت دعائمه بعد طول تنظير وتجريب وبالدرجة التي حدت بكبريات المؤسسات الصناعية إلى إنشاء أقسام خاصة مهمتها تقصي الحقائق ورسم الخطط المستقبلية على ضوئها والتكهن بما ستؤول إليه صناعة بعينها إزاء المتغيرات في عالم التصنيع والتكنولوجيا مع ربط تلك الوقائع بمتطلبات الاستهلاك ودواعي الحياة.

وفي الولايات المتحدة مثلاً هنالك أكثر من خمس هيئات ومؤسسات تتخصص مهمتها في تقديم الدراسات والتوصيات التي قد تفيد في توجيه مسار الصناعة ليس فقط إلى نهاية هذا القرن بل استشرافاً للقرن الحادي والعشرين ويتوقع علماء دراسة المستقبل أن تتغير الخارطة الصناعية والاستهلاكية بحلول عام ٢٠٢٠ بالدرجة التي سيصعب معها إجراء مقارنة مع كل المنجزات التقنية للأعوام السابقة.

ازدهار وانقراض

وبالرغم من أن بعض الشركات قد تحافظ على أسسها حتى الربع الأول من القرن القادم إلا أن البعض الآخر وبخاصة تلك الشركات التي تعمل في مجالات انتاج الأدوات المنزلية سيتقلص عملها إن لم يختف نهائياً بعد خمسين سنة كما وأن صناعة الصلب والألمنيوم ستتعرض إلى بعض الانكماش لتقوم بديلاً لها صناعات ضخمة تسيطر عليها شركات متعددة الجنسية تتولى انتاج بدائل للفولاذ والألمنيوم من خامات جديدة مستحدثة أو اللدائن الصناعية المتطورة بما يفي احتياجات السوق العالمية.

وستظل الصناعات المرتبطة بالخدمات على أسسها بل ويتوقع العلماء الأمريكيون أن يشكل قطاع الخدمات ٥٠٪ من اجمالي الدخل القومي الأمريكي بنهاية الربع الأول من القرن الحادي والعشرين علماً بأنه لا يتعدى نسبة ٢٥٪ في الوقت الراهن ولا يستوعب إلا عشرين في المائة من القوى العاملة المتاحة في حين أن خبراء معهد ستانفورد بولاية كاليفورنيا الأمريكية يتوقعون أن يتراوح بين ٢٠٪ إلى ٢٥٪ من قوة العمل في تشكيلات تنحصر في تجميع المعلومات وفرزها وتحليلها.

نحو العولمة

ومن هنا فإن علم مسح المستقبل يرى في عصرنا الراهن مرحلة انتقالية تشهد بهيئتها أفول المجتمعات الصناعية على هيئتها الحالية من حيث هيمنة الشركات العملاقة على مجالات الانتاج والتسويق على مستوى جميع دول العالم



إذ إن اتجاهات التطوير والتحديث ستزاحمها على التعامل مع وحدات تصنيع صغيرة ومتعددة ذات امكانيات محدودة الأمر الذي قد يؤدي إلى ابطاء في الكشوف التقنية وتطبيقها.

على أن بعض الصناعات الاستراتيجية ستتمكن من توسيع حجم أعمالها وعملياتها بحيث تصبح قادرة على احتكار أسواق بأكملها مما سيؤدي في النهاية إلى تدخل الحكومات لتنظيم الانتاج وحماية المستهلك ووضع ضوابط لاستغلال المواد الخام وتوزيعها بحيث لا تضار الصناعات البسيطة.

وسائل الاتصال

أما أكثر الصناعات قابلية للتطور والتنامي فهي المتعلقة بوسائل الاتصال ومن المنتظر أن يشهد العقد الأول من القرن القادم شيوع استعمال الهاتف المرئي الملون وثورة كبرى في خدمات الاتصال تتيح كافة المعلومات لرجال الأعمال والمستهلكين كما وأن الانسان الآلي سيتولى تسيير معظم الصناعات التي يكتب لها البقاء بل وأن تشخيص ومعالجة المسائل الصناعية والانتاجية والصحية سيتم بواسطة الالكترونات عن طريق أجهزة التحكم من على بعد وستختفي أيضاً الاذاعات ومحطات الارسال المعروفة اليوم لتحل محلها وسائل البث الأكثر رقياً تتيح للمستمع أو المشاهد العادي تجميع ما يريده من برامج بواسطة شبكات سلكية أو رقمية وحتى في عالمنا المعاصر فإن الحد الفاصل بين أدوات الاتصال ومعالجة المعلومات قد كاد أن يذوب بفضل تطور العقول والذاكرات الالكترونية صغيرة الحجم والتي أصبحت في متناول الجميع نظراً لانخفاض أثمانها وستتمكن الصناعات المرتبطة بالمواصلات من ابتلاع نظيراتها في مجالات الخدمات وفرز ومعالجة المعلومات.


حياتنا
المعاصرة
ARCHIVE

التطور الزراعي

وستكون للزراعة نصيب وافر من التطوير والتحديث في عالم الغد بوصفها صناعة استراتيجية لا غنى عنها بل وإن الطلب عليها يتكاثر بالتلازم مع ارتفاع معدلات النمو السكاني ففي عالم اليوم نجد أن دولة تملك امكانات هائلة مثل الولايات المتحدة لا تقدر إلا على استغلال من مجموع مساحة الأراضي المتوفرة لديها. هذا ويتوقع علماء المستقبل أن تتضاعف المساحة المزروعة في كل دول العالم لتلبية حاجيات الناس الغذائية وستتطور تبعا لذلك الوسائل والآلات المستخدمة في الزراعة خاصة وأن الكثير من الشركات العاملة في مجال العقاقير الطبية والمواد الغذائية والمواد الكيماوية وشركات الزيت ستوجه اهتماما متزايدا نحو الزراعة بغية الربح في هذا المجال الحيوي وقد يصبح التحكم في بعض عناصر المناخ ميسورا بما يتيح انتاج الأطعمة المقترحة بقرب من التجمعات السكانية الكبرى كما وأن الثروات البحرية ستحظى باهتمام أكبر إذ أن هنالك بعض المؤسسات الكبرى التي شرعت في إعداد (مزارع) سمكية بحيث يتسنى تربية الكائنات البحرية و(حصدها) حسب الحاجة كما وأن هنالك ابحاثا ترمي الى استنباط الأغذية من بعض الأعشاب النهرية والبحرية.

وتجرى حاليا بعض التجارب على بعض الحبوب الزيتية بغية رفع معدلات مخزونها من الزيت كما وأن أنواعا أخرى من الحبوب قد اخضعت للمعالجة بغرض استخراج الكحول منها وهنالك اتجاه للاستفادة من المخلفات الزراعية لتصنيع بعض المنتجات التي تعتمد حاليا على مشتقات البترول ولا شك في أن التقدم الهائل في مجال هندسة الجينات سيقود حتما الى تحسين الانتاج الزراعي والحيواني الذي سيخضع بكامله للميكنة بحيث تدار كافة العمليات الزراعية آليا بدءا بفحص التربة وانتهاء بالحصاد والدرس. أما التطور الحقيقي في هذا المجال فسيكون باستخدام الكبسولة الزراعية التي تحوي البذور المراد زرعها بالإضافة الى المبيدات العشبية والحشرية والعوامل المانعة للتعفن وبالتالي فإن وفرة الانتاج وارتفاع الطلب على المحاصيل الزراعية سيعجلان بقيام الصناعات الغذائية المتطورة وتقنيتها على الوحدات الزراعية بحيث يتم التعليب والتغليف في موقع الحصاد على المزرعة.

صناعة الطاقة

وينتظر أيضا أن تشهد صناعة الطاقة طفرات واسعة وذلك لأن الدول المنتجة للنفط ستواصل بسيطرتها الضخمة المهيمنة على كافة مجالات استخراج الطاقة بغض تضمين مصادر الطاقة وتحويل الطاقة الشمسية ... والعمل لتوليد الطاقة ... وتطوير ... في الطاقة ... وتحرير صناعة الطيران والصناعات الفضائية وتحويلها الى مجالات انتاج الطاقة ... قد ... الاقمار الصناعية لتجميع الطاقة من الشمس وتحويلها الى كهرباء تستخدم في المراكز الحضرية والتبريد بل وتسيير المركبات وقد تؤدي هذه الخطوة الى دمج الشركات العاملة في مجال تكنولوجيا الفضاء والمرافق المنتجة للطاقة الكهربائية.

الصناعات الخلاقة

وبالرغم من أن الحديد والصلب سيحافظ على مكانته كمادة انشائية اساسية إلا أن اقتصاديات دول العالم المختلفة ستعتمد على المواد المصنعة المستخلصة من عناصر البناء المتاحة في الكربون والاوكسيجين والهيدروجين والنتروجين وإن يكون هذا المجال حكرا للشركات العاملة في الكيماويات لأن شركات الزيت ستحول اهتمامها لهذه الميادين الانتاجية بوصفها امتدادا لمجالها الذاتي وستجد بدورها منافسة من قبل مصانع الورق والزجاج والمعادن التي لابد لها وأن تستمد حماية لاسواقها وتأمين مصادر المواد الخام هذا لأن علماء ابحاث المستقبل يتنبأون بتطوير تصنيع منتجات البلاستيك لتشمل العديد من حاجيات عالم الغد الاستهلاكية.

الطب العلاجي

ومما أن الطب الحديث يستهدف إطالة الأعمار نسبيا مع تخفيض معدل الوفيات فإن التطور في مجالات الطب الوقائي والعلاجي يستوجب تطورا مماثلا في صعيد الخدمات الطبية بحيث يصبح التشخيص والمعالجة سوقا تتنافس عليه الشركات فيتعين عليها مواكبة الطلب بإدارة مرافق العناية الطبية والحاقها بمصانع لانتاج العقاقير والمعدات الطبية وبالتالي فإن المنافسة ستكون محصورة بين الشركات ذات الرساميل العالية فقط مما سيؤدي الى اختفاء مصانع الأدوية الصغيرة ودمج بعض المصانع الكبرى لتحقيق مثل ذلك التكامل.

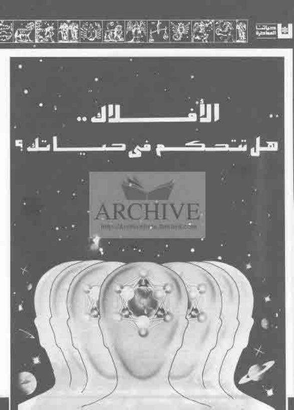
النقل

في مجالات النقل فإن ادوات المواصلات الأرضية ستسير في معظمها بقوة الدفع المغناطيسي وستظل السيارات الخاصة على احجامها إلا أن الغلبة ستكون للمركبات المسيرة آليا وستدخل الطائرات في مجال النقل الداخلي في المدن ومن المحتمل أن يشهد النقل الجوي طفرة كبرى بعد تشغيل المركبات الفضائية مدارية لتقريبات عبر البحار وعموما فإن السفر في الفضاء القريب سيكون أمرا ميسورا حتى قبل حلول القرن القادم وذلك بفضل التطور السريع في مجال تكنولوجيا الفضاء ويجرى حاليا تطوير الأجهزة الفضائية لتفي بأغراض الاتصالات ورصد التغيرات المناخية وتجميع وتوزيع الطاقة الشمسية والتحكم في تحركات الحيوان.

إزدهار العالم الثالث

وسيشهد سوق السلع الاستهلاكية تحولا كبيرا إذ يستظهر أن ينتقل مركز الثقل الصناعي الى الدول النامية وفي الوقت الراهن فإن دولا مثل البرازيل وكوريا الجنوبية وهونج كونج بدأت تنافس كبريات الدول الصناعية التقليدية بجودة منتجاتها واعتدال أسعارها نظرا لأن تلك الدول لم تستنزف ثرواتها الطبيعية بل هي على اعتاب عصر التصنيع مستفيدة من الارث التقني الهائل الذي أصبح متاحا للجميع وهكذا فإن صناعة الأقمشة وبناء السفن والمنتجات المعدنية ستنتقل الى الدول المالكة للمواد الخام مع وفرة العمالة الرخيصة.

وعلى كل فإن القرن الحادي والعشرين ليس ببعيد إذ أننا نحقب بعمر الشهور ومن يدري فقد يتسبب اختراع علمي في قلب كافة الموازين المتعارف عليها في المجالات الفنية والصناعية وبالمقابل قد ينتهي كل ما حققه الجنس البشري عبر القرون الى رماد بفعل الحرب النووية فيروح الانسان ضحية ذكائه.


الأفلاك..
هل تتحكم في حياتك؟

الأمر الذى لا شك فيه ان الميل الغريزى لمعرفة ما يخبئه القدر متاصل فى طبيعة الانسان منذ اقدم العصور بغض النظر عن اختلاف موقعه الجغرافى وعرقه ومدى تقدمه الحضارى ومعتقده . فالانجذاب نحو المجهول والادراك الذى يفصل بين الانسان والحيوان بالحياة فى اطار زمن معين بماض يعيش فى الذاكرة وحاضر معاش ومستقبل يريد ان يتحقق الانسان فيه من مواقع قدميه ويخطط له فى مشاعر انسانية .

ومنذ ان وقف احد اجدادنا الأوائل امام فوهة كوخه الحجرى يفكر فيما يمكن ان يحدث له وما يجب ان يفعل بعد ذلك بدأت الرغبة فى استكناه المستقبل . ومنذ ان ظهر اول انسان يحاول ان يجيب عن هذا السؤال مستخدما حدسه ونظره مشدود الى السماء وكواكبها وافلاكها بدأت صناعة التنجيم وتخمين المستقبل .

والتاريخ القديم الممعن فى القدم يحدثنا عن الفراعنة والسلاطين والملوك والحكام من اقصى الارض الى اقصاها فى الصين وبابل ومصر واليونان يقربون المنجمين . ولا يقدمون على امر ولا يبرمون شيئا إلا باستشارتهم ولا يشرعون فى حرب او سلم او زواج او امر من امور الدولة إلا بعد المعرفة لاشارات الكواكب وحركات الافلاك . وحتى الفلاسفة فى قمة التطور الفلسفى فى اليونان انجذبت ابصارهم الى الكواكب وحركة الافلاك يمنحونها قوة فاعلة ومؤثرة على العقل الانسانى ومصيره . ولا شك ان ظاهرة استطلاع النجوم بمعرفة المستقبل تزداد وتقوى حين يضعف الايمان الدينى فى القلوب ويجد الانسان نفسه محاطا بقوى لا قبل له بها ولا يدرك كنهها . ولهذا ليس غريبا ان يتسم العصر الحديث برغم التطور العلمى والتقدم التكنولوجى المذهل بميل جماهيرى لا مثيل له الى التنجيم ومتابعة الابراج ومعرفة الحظوظ والطوالع الأمر الذى جعل منه صناعة ومهنة تدر الملايين على اصحابها . يستخدم بعضهم ذكاءه وبعضهم مكره ، وبعضهم شيئا من علم ، وبعضهم غريزة وحدسا غير طبيعى .. فلا تكاد تخلو صحيفة يومية او مجلة اسبوعية او شهرية او دورية من صفحات الطالع بعضها يحرره محرر داخلى فى الصحيفة لا صلة له بالإفلاك او الكواكب او التنجيم ، وبعضها ينقل من كتب سنوية ، وبعضها يكتبه من يدعى انه فلكى شهير الى آخر قائمة المنتفعين بهذا الميل الجماهيرى . وهنالك كثير من القراء فى بقاع الارض المختلفة يقرأون اولا ما يقرأون فى الصحيفة طالعهم قبل ان يبدأوا يومهم . ومن هنا استغلت بعض الصحف الخيرة ذلك لملء الطالع بالحديث المتفائل الذى يحث على العمل والخير .. وبعضها يلقى الكلام بلا مسئولية فينصح بعدم السفر وعدم الاقدام على ابرام عقد تجارى ، وعدم الثقة فى صديق قادم فيؤدى الى ارباك القارىء وافساد يومه .

ولا يقتصر الأمر على الصحف السيارة بل يتعداه الى دور النشر وشركات التليفزيون والاذاعة المختلفة التى تخصص برامج متعددة فى اليوم الواحد يستكتم فيها عددا من الفلكيين على هذه الساحة العريضة يقدمون لمستمعين برامج مسلية على الهواء ويجيبون عن اسئلتهم على الهواء مباشرة ويكشفون طوالع ضيوف برامجهم .. وكذلك تخرج دور النشر مئات الكتب والكتيبات فى الشهر يتكالب عليها الناس وتباع بالملايين وفى كل اللغات .

واستكشاف الطالع عن طريق الابراج (استرولوجيا) علم قديم ممعن فى القدم ويستند اساسا على ان الشمس هى مصدر التأثير الاكبر فى الكون وهى التى تتحكم فى تصرف الافلاك والانسان وتحدد طبيعة تجاوبه ومزاجه فى اى ظرف او موقف معين .. ويتحدد مصير اى مخلوق من خلال التكوين الذى يحدث فى موقع الافلاك ومسيرها من الشمس لحظة الولادة ومن طريق معرفة هذا الموقع بالضبط يمكن ان يتوصل الانسان الى معرفة الخطوط الرئيسية التى تتحكم فى مزاجه ومصيره . وتقول هذه الفكرة ان اى إنسان يمكنه عن طريق معادلات حسابية دقيقة معرفة هذا الموقع لحظة مولده إذا ما كان واثقا من اللحظة التى ولد فيها . وهناك مئات الكتب التى تشرح كيف يمكن لاى إنسان ان يحدد مصيره ويكتشف طالعه بنفسه

الاديان ترفض

ومن البديهى ان ترفض الاديان السماوية هذا المفهوم من اساسه لانها تقوم على ان مصائر الكون ومخلوقاته ومعرفة الغيب والمستقبل هى بيد الخالق جلت قدرته هو وحده عالم الغيب والشهادة وبرغم ان اغلب الصحف والمجلات والنشرات والمطبوعات التى تصدر فى البلدان العربية والاسلامية تساير هذا التقليد الطاغى وتحمل صفحاتها هذه التنبؤات الفلكية إلا ان النصوص الاسلامية صريحة فى رفضها لادعاءات المنجمين الكاذبين وإن صدقوا ، ورفضها لعادات التطير والتشاؤم والتى تسود عادة فى اطار الاوضاع الجاهلية القديمة والحديثة .

وبالرغم من طغيان هذه الظاهرة الجماهيرية فى عصر العلم والتكنولوجيا فان التنجيم من الناحية العلمية لا يقف على ارضية صلبة وما من وسيلة يمكن ان يثبت بها العلم ان تكون لهذه الكواكب البعيدة فى هذا الكون الفسيح الذى لا يحيط به العلم الانسانى تأثير على مصير هذا المخلوق الضئيل حين تنفتح عينه على الكون لاول مرة من كوكبه الارضى الصغير . بل إن الاسس التى يقوم عليه التنجيم تعتبر مرفوضة علميا . فالتنبؤ الفلكى يقوم على فكرة عفى عليها الزمن وثبت بطلانها والذى يجعل الارض محور الكون ويثبت للافلاك مواقع ثبت عدم دقتها وصحتها وحتى المنجمون انفسهم لا يدعون لنظرياتهم اساسا علميا بل يؤكدون ان تقسيماتهم رمزية فقط ، ولا دخل لها بمواقع الكواكب الفعلية .

ولما كان رسم بيان فلكى شخصى وفردى امرا شديد التعقيد فقد قسم الفلكيون والمنجمون الابراج التى تتحكم فى مصير الانسان الى اثنى عشر برجا لكل برج مزاج خاص وخصائص معينة يشترك فيها الى حد كبير كل المولودين فيه . فما يتعرضون لمصائر

متشابهة وبالرغم من اننا نعرف علميا أن الأرض هي التي تدور حول الشمس دورة كاملة كل ٣٦٥ يوما فإن الناظر إليها تبدو له كما لو كانت الشمس هي التي تدور حول الأرض وهي في دورتها هذه تدخل في أبراج بحسب موقع الأفلاك الأخرى منها والذين يولدون اثناء وجود الشمس في برج معين يصطبغون بخصائص ذلك البرج وتتحكم في مصيرهم مؤثراته وخصائصه .... وبمعرفة لحظة الولادة يمكن التفرقة في المصائر بين مواليد البرج الواحد .

ولتبسيط الأمر قسمت كل الخصائص في ثلاث مجموعات اولاها الخصائص الرئيسية او الأساسية وتسمى ايضا المسيطرة أو النشطة وتختص بها الأبراج التي تأتي في بداية كل فصل من الفصول الأربعة . والثانية الخصائص الثابتة او الخاضعة المتلقية . والثالثة الخصائص المتقلبة ويقصد بها الخصائص التي ليست في ذاتها نشطة أو متلقية إنما هي مجرد خصائص مساعدة تتقلب بين الصفتين . ولكل برج الى جانب انتمائه الى إحدى هذه المجموعات الثلاث مزاجه النابع من واحد من العناصر الأربعة المكونة للكون حسب الفكرة القديمة وهي النار والأرض والهواء والماء .

الأبراج وخصائصها

ويمكن بصورة عامة تلخيص خصائص الأبراج وتقسيماتها وفق تخريجات المنجمين والعاملين في حقل التنبؤات الفلكية كما يلي :

● برج الحمل (المواليد ٢١ مارس ـ ٢٠ ابريل) ويقصد به الكبش الوحشي لا الحمل الوديع وينتمي الى مجموعة الخصائص الرئيسية المسيطرة بحكم انه يجيء في بداية الربيع والذي يعتبر بداية العام الحقيقية . وعنصره النار ـ وبالتالي فانه يتميز بالخصال النشطة والطاقة الملتهبة والقوة العدوانية الوحشية ، والمغامرة والتهجم والاندفاع والطيش والعنف والمبادرة والإبداع . وهو البرج الذي يولد في كنفه القادة والمكتشفون والرواد في ميادين الحياة المختلفة والمحاربون والقادة .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير بسمارك رجل الدولة الشهير موحد ألمانيا . والممثل مارلون براندو وشارلي شابلن والكاتب هنري جيمس والرئيس الأمريكي توماس جيفرسون والرئيس السوفيتي نيكيتا خروتشوف والكاتب الروائي البوليسي الفرنسي الشهير سيمون سيمنونيه والموسيقار توسكانيني والممثل والكاتب والمخرج النابغة بيتر يوستينوف والرسام فنسنت فان جوخ والكاتب المسرحي تنسي وليامز .

● برج الثور (المواليد ٢١ ابريل ـ ٢١ مايو) وينتمي الى مجموعة الخصائص الثابتة المتلقية وعنصره الأرض وهو بالتالي أميل الى التمهل والحذر والواقعية والتدبر للأمور . وهو يختلف في ذلك تماما عن برج الحمل ، ويتميز أيضا بالهدوء وحب الطبيعة وإمكان الإعتماد عليه والتعامل معه .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الكاتب ... والموسيقار ... برامز ... الحكومة



كل برج ينتمي إلى الخصائص إما مسيطرة أو متقلبة أو ثابتة ... وكل برج ينتمي إلى واحد من العناصر الكونية الأربعة

البريطانية اوليفر كرومويل والمغني بنج كروسبي والرسام سلفادور دالي وملكة بريطانيا اليزابيث الثانية والممثل هنري فوندا وراقصة الباليه الشهيرة مارجوت فونتين والمفكر العالم سيجموند فرويد والممثلة اودري هيبورن والمثل وليام هيرست وهتلر ومؤلف لوليتا فلاديمير نابوكوف والفيلسوف برتراند راسل والروائي والشاعر وليم شكسبير والرئيس الامريكي هاري ترومان والممثل اورسون ويلز .

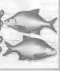
● برج الجوزاء ـ التوائم ـ (المواليد ٢٢ مايو ـ ٢١ يونيو) وينتمي الى مجموعة الخصائص المتقلبة وعنصره الهواء . وهو بالتالي ذو مزاج هوائي متقلب حتى ليوشك أن يكون متناقضا . ومن خصائصه قوة الفكر وسرعة البديهة والقدرة على التعبير والإهتمام بالأسلوب والألفاظ أكثر من المشاعر وإن كان خفيف الظل . وبعكس برج الثور لا يعتمد عليه كثيرا وهو معرض لاحتمالات انفصام الشخصية ويعرف بكثرة الإدعاء والتفاخر .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الكاتب الروائي ارثر كونان دويل والمغني بوب ديلان ودوق ادنبره ومؤلف روايات جيمس بوند إيان فليمنج والممثل ايرول فلين والروائي الشاعر توماس هاردي والممثل الكوميدي بوب هوب والرئيس الامريكي جون كندي والممثلة مارلين مونرو والروائية الفرنسية فرانسوا ساجان .

● برج السرطان (المواليد ٢٢ يونيو ـ ٢٣ يوليو) وينتمي الى مجموعة الخصائص الرئيسية (الثاني بعد الحمل) بحكم انه يأتي في بداية الصيف وعنصره الماء وهو قوي الحدس مهتم بالجانب العاطفي من الأمور حساس محب ولكنه متقلب المزاج لا يشعر بالاطمئنان وهو شديد التشبث والاصرار وخصائصه انثوية الطابع ترتبط بالأمومة وفق الفكرة التقليدية التي تجعل الحساسية وقوة الحدس صفات انثوية .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير عازف الجاز لوي ارمسترونج والمخرج







السويدى انجمار برجمان وبوليوس قيصر والممثل جيمس كاغني والكاتب الفرنسي جان كوكتو والروائي الامريكي ارنست هيمنجواي والنابغة الضريرة هيلين كيلر والممثل شارلز لوتون والممثلة الايطالية جينا لولو بريجيدا والكاتب الفرنسي مارسيل بروست والفنان رامبرانت والفريان جول وتلسون روكفلر.

● برج الاسد (المواليد ٢٣ يوليو – ٢٣ اغسطس) وينتمى الى مجموعة الخصائص الثابتة المطلقة وعنصره النار ، ومن خصائصه حب السيطرة والسعى للنفوذ وهى خصال رجولية وبرغم انتمائه لعنصر النار ، كبرج الحمل إلا انه ليس انفعاليا مندفعا وهو البرج الذى يولد فى كنفه الملوك والرؤساء والحكام وغيرهم من اصحاب الطموح والنفوذ .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير القائد الفرنسي نابليون بونابرت والشاعر الاسكتلندي روبرت بيرنز والرئيس الكوبي فيدل كاسترو والمخرج سيسل دى ميل والروائي البريطاني جون جولزوورذى والمخرج الفريد هتشكوك والكاتب المفكر الدوس هكسلي وجاكلين كنيدى، موسوليني والروائي جورج برنارد شو والشاعر الرومانسي شللي.

● برج العذراء (المواليد ٢٣ اغسطس – ٢٢ سبتمبر) وينتمى الى مجموعة الخصائص المتقلبة وعنصره الارض ، وهو ارضي ، بمعنى انه واقعى، قدمه على الارض لا يسبح فى الوهم والخيال ومن خصاله انه منظم ، منضبط انيق ، متمسك وذكى وهو البرج الذى يولد فى كنفه العلماء والباحثون والفنيون لا المكتشفون الرواد .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الملكة اليزابيث الاولى والثرى هنرى فورد الثاني والفيلسوف الالماني جوته والمفكر جون جنثر والرئيس الامريكي الراحل ليندون جونسون والممثلات انجريد برجمان وجريتا جاربو وصوفيا لورين والمعتج ايليا كازان والكاتب د. ه. لورانس والممثل الكاهى بيتر سيلرز .

● برج الميزان (المواليد ٢٤ سبتمبر – ٢٢ اكتوبر) وينتمى الى مجموعة الخصائص الاساسية بحكم انه يأتى فى بداية الخريف وعنصره الهواء . ومن اهم خصائصه التوازن والصبر والروح الاجتماعية وحب الثقافة والنزعة الانسانية والقدرة على التعامل مع الآخرين وحب السلام وهو يمثل النقيض تماما لبرج الحمل ، ويولد فى كنفه الدبلوماسيون الذين تقوم اعمالهم على حسن الاتصال والتعامل مع الآخرين .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الرئيس الامريكي ايزنهاور والشاعر ت.س. اليوت والمهاتما غاندى والروائيان وليام فولكنر وجراهام جرين والمعلق السياسي وولتر ليمان والفيلسوف الالماني نيتشه واوسكار وايلد والممثلة بريجيت باردو .

● برج العقرب (المواليد ٢٣ اكتوبر – ٢٢ نوفمبر) وينتمى الى مجموعة

الخصائص الثابتة والمتقلبة وعنصره الماء ويعتبر تقليديا من الابراج غير المستحبة ومرتبط بالظلام وبالخصائص الخطرة ولكنه يمتاز بالطاقة الحيوية والاصرار والانتظام وحب المتعة وصلابة الفكر ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الرئيس الفرنسي شارل ديجول ورئيسة وزراء الهند انديرا غاندي وجواهر لال نهرو ورئيس تايوان شيانج كاي شيك والعالمة الشهيرة مدام كوري والممثل رتشارد بيرتون والأمير شارلز والممثلتان كاترين هيبورن وفيفان لي والرسام بيكاسو والرئيس الامريكي تيودور روزفلت .

● برج القوس (المواليد ٢٣ نوفمبر ـ ٢٢ ديسمبر) و... ى الى مجموعة الخصائص المتقلبة وعنصره النار ، ولهذا فهو يتعرض الى صراع داخلي وتناقضات ويمتاز بالطاقة المتدفقة ومن خصاله ميله الى الحياة الخارجية الاجتماعية والممارسة الرياضية والمغامرة والنشاط البدني وفي كنفه يولد رجال الاعمال الناجحون والرياضيون ومحبو الانجازات في كافة الميادين .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الموسيقار بيتهوفن ومغنية الاوبرا ماريا كالاس ونستون تشرشل والكاتب المسرحي نويل كوارد ومنتج الرسوم المتحركة والت ديزني والشاعر البريطاني الضرير جون ملتون والكاتب المسرحي المعاصر جون ... والروائي الامريكي مارك توين .

● برج الجدي (المواليد ٢٢ ديسمبر ـ ٢٠ يناير) وينتمي الى مجموعة الخصائص الرئيسية بحكم انه يأتي في بداية الشتاء وعنصره الارض ومن خصائصه الميل الى العزلة والانكفاء على الذات والاكتفاء الذاتي وإن كان لا يخلو من ذكاء وطموح وهو شديد الميل الى التشاؤم والنظرة القاتمة الى الامور والانغلاق والاحساس بالعزلة وربما الشعور بالاضطهاد يقلل من حدة هذه المشاعر ذكاء وادراكا وحسن تصرف ومحافظة .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الزعيم الصيني ماوتسي تونج والرئيس الامريكي وودرو ويلسون والزعيم الزنجي مارتن لوثر كنج والعالم اسحاق نيوتن والرئيس الامريكي رتشارد نيكسون والمغني الزنجي ناتكنج كول والممثلان همفري بوجارد وكاري جرانت والثري هوارد هيوز والروائي هنري ميللر والعالم باستير .

● برج الدلو (مواليد ٢١ يناير ـ ١٩ فبراير) وينتمي الى مجموعة الخصائص الثابتة المتقلبة وعنصره الهواء . ويتميز خصاله بالانجاز الفكري والابداع والاصالة ورفض التقليد والخروج على المتعارف ويتسم بالنزعة الانسانية والسعي الى تحقيق ... والتضامن بين الناس ويولد في كنفه الفنانون والعلماء المبدعون وحاملو راية التغيير .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الكاتب الفيلسوف فرنسيس بيكون وشارلز داروين وتوماس اديسون وجاليلو والروائيان البريطانيان شارلز ديكنز وسومرست موم والممثلات ماريا فارو وكيم نوفاك و فينيسيا رد جريف والممثلون كلارك جيبل وجاك ليمون وبول نيومان والرئيسان الامريكيان فرانكلين روزفلت وابراهام لنكولن والمرشح للرئاسة الحالي رونالد ريجان والمرشح السابق ادلاي ستيفنسون .

● برج الحوت (المواليد ٢٠ فبراير ـ ٢٠ مارس) وينتمي الى مجموعة الخصائص المتقلبة وعنصره الماء . وينزع نحو الغموض وعدم الوضوح ومن

كذب المنجمون ولو صدقوا

عندما احتل الألمان فرنسا في عام ١٩٤٠ قاموا بمصادرة كتاب عنوانه « المحنة الكبرى ١٩٣٨ ـ ١٩٤٧ » يتنبأ بالحرب العالمية الثانية والتحالف بين هتلر وموسوليني والتوسع الروسي في المجر وتشيكوسلوفاكيا .

مؤلف الكتاب اميل روير تتبع اسلوب اشهر المنجمين في التاريخ ميشيل دي نوستراداموس المولود في عام ١٥٠٣ في وضع نبوءاته باسلوب سهل مبسط يفهمه جميع الناس بينما عمد نوستراداموس لتغليف نبوءاته باسلوب وتعبيرات شديدة الغموض وتحتمل عددا من التأويل . يقول في احداها :

سيتغلب الاسد الاصغر على الاكبر
في ميدان المعركة في منازلة وحيدة
في اطار مذهب ستقتلع عيناه
يقتل في الم مبرح ويموت ميتة فظيعة

وتقول الاسطورة ـ والله اعلم ـ انه قد حدث بعد ذلك بقليل وفي احتفال رقاقة ان اخترق رمح احد المدعوين الكبار خوذ قصد المطلق الذهبي الذي يلبسه ملك فرنسا هنري الثاني فقأ عينه وظل في الم مبرح ثم مات بعد ذلك متأثرا بجراحه .

ولعل اكثر نبواته شهرة نبوءته الشهيرة
« وفي الشهر السابع من العام ١٩٩٩ سينقض ملك الرعب على العالم »
وبما انه قد اخطأ في التنبؤ بتاريخ وفاته هو نفسه فليس هناك ما يدعو للقلق .

ميشيل دي نوستراداموس

خصاله الحساسية المرهفة والمثالية والخيال والقدرة الإيحائية وقلة الطموح وصلابة الفكر والممارسة والحياء والميل الى العزلة والسباحة فى عالم الاحلام والخيال مع قدر كبير من الحب والتفانى وقدرة ابداعية فنية تحتاج فقط إلى طاقة لتحريكها .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الكاتب المسرحى المعاصر ادوارد ألبى والمغنى هارى بلفونتى والموسيقيون شوبان وهاندل وكورساكوف والعالم البرت اينشتاين والممثل ركس هاريسون والرسامان مايكل انجلو ورنوار والكاتبان فيكتور هوجو وجون اشتاينبك وادوارد كندى والممثلة اليزابث تايلور .

المنجمون .. نجوما !

وبسبب تفشى ظاهرة الاهتمام بالطالع الذى افسحت له اجهزة الاتصال الحديثة المتقدمة مجالا واسعا لم يتح لها من قبل مما جعل عددا من الفلكيين فى الغرب يمتطون على ظهر هذه الموجة ويصبحون فى عداد النجوم الشهيرة . فقد نشرت مجلة « ناو » (الحاضر) الصادرة فى اول مارس ١٩٨٠ استطلاعا تناولت فيه حياة ستة من كبار الفلكيين المنجمين الذين تستعين بهم وسائل الإعلام فى امريكا وبريطانيا للوصول الى جمهور واسع ، تناولت فيه اسلوب عملهم والوسائل التى يستعينون بها للتنبؤ واسلوب حياتهم الخاصة وإمكان الاستفادة من التنبؤات الفلكية لتفادى المآسى والاخطاء .

وقد ادعت المنجمة جوان بايل التى تحرر صفحة الابراج فى صحيفة الديلى ميرور ومجلة كوسمابوليتان النسائية وتذيع تنبؤاتها من ١٣ محطة اذاعة محلية فى مقابلتها لمجلة الحاضر انها تنبأت بوفاة زوجها ولكنها اكدت بان معرفة التنجيم وكشف الطالع لا يمكن ان يؤدى الى تفادى المآسى والكوارث إلا ان إرادة الله لابد وان تتحقق .. وكل الذى يفعله التنجيم هو ان يطلعك على ما سيحدث . ولان وفاة زوجها كانت قدرا محتوما فقد نسيت ان تكشف الطالع كما كانت تفعل كلما اقدم زوجها على سفر .

وقالت المنجمة الشهيرة ايضا بيتيو لنجرو وهى مجرية من اصل رومانى بدأت حياتها بقراءة الكف فى مصيف برايتون بان كبريات الشركات والمؤسسات العالمية تستعين بها لمعرفة شخصيات المرشحين للوظائف ومن بين الشركات والمؤسسات التى ذكرتها شركة هوايتبريد للخبز وشركة دولز العملاقة لصناعة الاطعمة والشركة العالمية للصناعات الكيماوية . ولدى اتصال المجلة بالمسؤولين فى هذه الشركات والمؤسسات انكروا ان يكون هناك اى اتصال بين الشركة والمنجمين كما اكدوا ان التعيين والترقى يتم وفق اسس علمية موضوعية وليس عن طريق استشارة الافلاك . وبالاضافة الى هذه المؤسسات تدعى ايضا ان من بين عملائها كبار الشخصيات كالممثلين وبيتر سيلرز الممثل الكوميدى وفلورا روبسون ... وعندما سألت الاخيرة عن صحة ذلك قالت انها لم ترها ابدا طول حياتها واظهرت ضجرها من هؤلاء الفلكيات وقارئات البخت اللاتى يدعين كذب اتصالهن بالشخصيات الشهيرة لترويج بضاعتهن وقد كشفت ايضا عن ظاهرة اخرى تتصل بكشف طالع النجوم وهو الخوف الذى ينتاب كثيرا من الناس ويمنعهم من محاولة معرفة ما يخبئه لهم القدر إذ قالت إنها هى نفسها لا تحاول معرفة مستقبلها لان ذلك يفزعها ، فهى سعيدة كما تقول ولا تريد ان تعرف ان هذه السعادة لن تدوم .

ومن المنجمات اللاتى اتصلت بهن مجلة « الحاضر » كيم ترايسى وهى امرأة واهمة غريبة الاطوار شديدة الايمان والتعلق بالخرافات الغريبة فهى تؤمن بانها عاشت قبل ذلك اربع مرات وتؤمن بمخلوقات غريبة تعيش فى الكواكب وتقول إنها ستموت للمرة الخامسة فى حادث سيارة .. وهى تدعى انها كانت كاهنة مصرية قبل مئات السنين وانها دفنت حية ثم احرقت اثناء الثورة



الفرنسية ، ثم اعدمت بعد ذلك باربعين سنة في اسبانيا . وقد بدأت حياتها عاملة في مصنع ثم مغنية فقابلة ثم بائعة عطور وهي تقيم جلسات لمعرفة الطالع في منزلها وتتقاضى بين ٦ جنيهات و ٢٠ جنيها ويتبع بها عدد من

الموظفين هم مدير اعمال وضابط صحافة ، ومساعد خاص ، ومحاسب ومسئول شؤون موظفين وسائق ومديرة منزل بالاضافة الى زوجها السائق ومفكرتها مليئة بالمواعيد والبرامج التليفزيونية والاذاعية التي تقدمها على

الهواء مباشرة لاولئك الذين يتصلون بها عن طريق الهاتف .

ومنهم ايضا كان « ريقلد » .. وقد اشتهر من خلال برنامجه الفلكي الذي يذاع مرتين في اليوم من اذاعة لوكسمبرج - وهو يختلف عن المنجمين

الأبـــراج وخصـــائصهـــا

● الحمل
٢١ مارس - ٢٠ ابريل
المريخ .
نشط ، مغامر ، قوي ، ويشتعل على عجل ، طموح ، متفتح ، مناضل فعل لا قول ، ذو اصالة وقدرة على التعبير ، مندفع العاطفة .

● السرطان
٢٢ يونيو - ٢٢ يوليو
القمر
[illegible]

● الميزان
٢٤ سبتمبر - ٢٣ اكتوبر
[illegible]

● الجدي
٢٢ ديسمبر - ٢٠ يناير
زحل
مستقل ومكافح دائما ، [illegible] وربما [illegible] والكآبة ، لكنه طموح وربما ذكي وموهوب .

● الثور
٢١ ابريل - ٢١ مايو
الزهرة
صلب ، يعتمد على نفسه ، [illegible] محب للسلام والمتعة ، ربما كان [illegible] عنيدا [illegible] والمرأة منهم تهتم بانوثتها .

● الأسد
٢٢ يوليو - ٢٢ اغسطس
الشمس
قوي ، كبير ، طموح ، مهيمن ، نشط ، رجولي في الاحساس ، ولكنه اكثر سيطرة على نفسه من (الحمل) وذو توجه وقت في العمل .

● العقرب
٢٣ اكتوبر - ٢٢ نوفمبر
المريخ (بلاتون)
معقد وخطر ، قوي العاطفة ، وهوائي في العاطفة ، لكنه قادر ايضا على تحويل طاقته المتدفقة في [illegible] حياته الشخصية .

● الدلو
٢٠ يناير - ١٩ فبراير
زحل (اورانوس)
مبدع وخلاق فنيا او علميا ، روحي ، خفيف ، غريب ، ومتفتح للكشف للسلام والاخاء والمساواة بين الناس .

● الجوزاء
٢٢ مايو - ٢١ يونيو
عطارد
سريع البديهة ، متقلب التفكير ، نشيط ، يحب الاتصال والاقناع ، [illegible] والصراع الداخلي .

● العذراء
٢٣ اغسطس - ٢٣ سبتمبر
عطارد
ذكي ، منضبط ، قنوع ومفكر ، مترف الذهن ، دقيق ، يعمل بهمة ومهارة في العقل ، ذو ضمير [illegible] .

● القوس
٢٣ نوفمبر - ٢١ ديسمبر
المشتري
منطلق ، نشط ، منفتح على الاقدام ، يحب مخالطة الناس ، ويحب النشاط الخارجي والرياضة ، مندفع احيانا ، وخيالي واسع في نشاطه .

● الحوت
٢٠ فبراير - ٢٠ مارس
المشتري (نبتون)
مائي ، روحي ، او عصبي ، منطو على نفسه [illegible] غير مستقر ، حالم [illegible] ذو قدرة فنية .





فى انه لا يدعى لنفسه قوة حدس خارقة، ويصر على ان التنجيم والتنبؤات الفلكية علم مجرد من الادعاءات التى الصقت به وانه تنبأ بثورة الطلاب فى فرنسا عام ١٩٦٨ وبموت الرئيس الفرنسى بومبيدو . ويقول عن نفسه :

- إننى منجم كبير وعملائى من علية القوم ولدى جمهور غفير من المستحقين اكبر مما اتيح لاى انسان اخر فانا لا احتاج الى الشهرة ..

ومن هؤلاء المنجمين فردريك ديفنز وهو يعمل فى جانبى الاطلنطى وقد كون ثروة طائلة من التنجيم وله معهد للتنجيم فى كل من واشنطن ورالى وكارولينا الشمالية ويعتقد ان التنجيم علم يمكن ان يتلقاه الانسان كالبيانو والجيتار تماما وقد اشتهر بانه تنبأ باسبوعين بحادث جوى فوق سماء شيكاغو لطائرة دى سى ١٠ . ولكن ادعاءه لمجلة (الحاضر) بان احد الأساقفة قد استشاره ذات مرة قد قوبل بالسخرية والتكذيب من قبل الاسقف نفسه ..

اما المنجم بتريك ووكر فهو يقول إنه يرفض ان يقرأ طالع الافراد لانه على حد قوله لا يريد للافراد ان يعتمدوا عليه فى تحديد مسيرة حياتهم . فهو يقول : إن حياة الانسان فى تشبه بلوحة متشابكة الخطوط وان على كل انسان ان يقوم بتلوينها باسلوبه الخاص وإرادته .

القمر والمزاج

والقول بتأثير الكواكب والافلاك على شخصية الانسان لا يقتصر ـ كما يقول المنجمون ـ فقط على المدار الشمسى والابراج فقد سادت فى اوساط كثيرة الفكرة القائلة بتأثير القمر على امزجة الناس وتصرفاتهم وقد افسحت مجلة الريدرز دايجست مجالا للحديث عن الافكار المطروحة حول هذا الموضوع فى عددها الصادر فى ابريل (نيسان) ١٩٨٠ ... وعرضت للفكرتين (وهما ما يسود عند بعض العشاق وصائدى الاسماك والمعلمين والادباء ان للقمر عندما يكتمل تأثيرا يجعل الاشياء تحدث وتؤثر على المزاج وهو ما قال به كتاب صدر مؤخرا ، والرأى العلمى السائد بأن أحوالنا وتقلب أمزجتنا وتقلبها لا علاقة له بنجوم ـ بقمر او بحتمى وانما من مؤثرات نفسية او فسيولوجية تنبع من داخلنا ... ومثل كل المواضيع التى تشغل وتحير الاسرار الغامضة للطبيعة الانسان فان تفسيرها لا يخلو له من دفعة ما يحتسبه من الخلط فيها تلك النظريات الاجتهادية .. فبعضها يعتمد تطبيق العلم وبعضها يغوص فى بحر السحر والوهم والدجل .

ولعل اكثر تلك النظريات اقترابا من التفسير العلمى تلك التى تضمنها كتاب حديث يرى ان جينات الوراثة قبلنا هى المسئولة فى المقام الاول عن احوالنا العقلية .

الانسان والمحيطات

قبل عدة سنوات كتب العالم فيرقوس وود وهو احد العاملين بمعهد المحيطات القومى بالولايات المتحدة تقريرا عن حدوث موجتين من المد والجزر العالى للغاية احداهما بعد الاخرى فى ٨ يناير و ٧ فبراير سنة ١٩٧٤ وكان من رايه ان الارض والشمس والقمر فى كلتا الموجتين ستكون جميعا فى خط مستقيم تقريبا وان القمر سيكون قريبا من الارض فى الثامن من يناير . هذا اللقاء بين الاحداث الفلكية يجعل مياه المحيطات ترتفع بشكل يفوق مستوياتها العادية .

وكان بين من قرأ ما تنبأ به العالم وود اى شىء من الاهتمام الدكتور ارنولد ليبر وهو طبيب نفسانى من ميامى بالولايات المتحدة . وقد توصل الى نتيجة مؤداها ان هناك علاقة قوية بين العدوانية فى الانسان والدورة القمرية ، وخاصة بين مدمنى الكحول والمخدرات واولئك الذين يكثرون من الحوادث او يميلون الى الجريمة ، واولئك المضطربون عقليا .

ويقول د. ليبر : «ان جسم الانسان مثله فى ذلك مثل سطح الارض مكون من ٨٠٪ ماء و ٢٠٪ مواد صلبة . وفى اعتقادى ان قوة جاذبية القمر تؤثر فى الماء الذى بجسم الانسان ـ جسمى وجسمك ـ مثلما تؤثر فى المحيطات . وللحياة مدها وجزرها اللذان يتحكم فيهما القمر ، ويصلان قمة ارتفاعهما وهبوطهما عندما يولد القمر وعندما يكتمل . ويكون تأثير القمر على سلوكنا اشد ما يكون فى هذين الوقتين» .

ولانه عايش ما ظهر من نتائج عندما وقع القمر والارض والشمس فى خط مستقيم فى عام ١٩٧٠ ، وتم له ان يلاحظ ارتفاعا حادا فى معدل الجريمة المحلية ، قرر الدكتور ليبر أن يحذر الشرطة بميامى والصحف والعاملين فى قسم الطوارىء فى قسم الامراض النفسية بمستشفى ميامى التذكارى بانه يتنبأ بحدوث اضطراب عام فى سلوك الناس خلال فترة هذا اللقاء الكونى . وحذر من

العنف الذي يخشى ان يصاحب المد والجزر المتوقعين .

فماذا حدث ؟

« لقد انطلقت الشياطين من عقالها » كما يقول الدكتور ليبر . وكان ضحايا جرائم القتل في الاسابيع الثلاثة الاولى من العام الجديد ضعف ما حدث في شهر يناير باكمله في عام ١٩٧٣ . كما تكررت حوادث الجريمة بلا دافع ولاسباب غريبة .

ومن تلك الاحداث وتجارب مماثلة ، استخلص الدكتور ليبر ان للقمر والافلاك الخارجية تاثيرا مباشرا في بعض الناس ، ولها تاثير محتمل وكامن في اغلب الناس . وقد جمع قدرا كبيرا من الادلة لتاييد نظريته ، منها :

١ـ تزداد المكالمات الهاتفية ، التي تبلغ مطافي مدينة فينيق باريزونا بمعدل ٢٥ الى ٣٠ مكالمة في ليالي اكتمال البدر .

٢ـ تقارير بعض العاملين في عيادات الصحة العقلية ، بالمستشفيات تفيد بان المرضى يظهرون ارتفاعا في اضطراب سلوكهم وحدته .

٣ـ الدورة الشهرية للمراة هي في العادة ٢٩ يوما ونصف ، وذلك هو طول الشهر القمري ، كما ان مدة الحمل في النساء هي تسعة اشهر قمرية .

جينات الوراثة

وفي مقابل النظرية السابقة هناك كتاب جديد متداول الفه البروفسير رولاند فيف ، بعنوان « تارجح الحالات النفسية » . والبروفسير فيف استاذ الطب النفسي العلاجي في المركز الطبي بكولومبيا بنيويورك . وفي رايه ان جينات الوراثة ذات تاثير اكبر من اية قوة خارجية في تحديد حالاتنا النفسية . وينصب اهتمام الدكتور فيف بشكل خاص على المرضى بالانقباض النفسي الحاد الذين تتارجح حالاتهم النفسية بين النشوة القاهرة الى الانقباض الحاد .

ولقد توصل الى رايه الاساسي بعد دراسة تاريخ ... حالة مرضية ... استخلص منها ... الاكثر من تاريخ ... النفسية ... نتيجة للتغيرات في كيمياء الجسم ... الحديث والضغوط الكبرى في حياتنا وهو لا يستبعد احتمال تاثير القمر على ساعاتنا البيولوجية ، ويعترف بالملاحظات التاريخية حول الجنون والتي ينظر إليها احيانا كدورات للانقباض الجنوني ، كل دورة منها ثلاثون يوما .

ولكن الدكتور فيف لا يقر بان التاثيرات الفلكية هي التي تدفع حالاتنا العقلية الداخلية الى الحركة ، بالضرورة . ويورد كامثلة حياة ثلاثة رجال عظماء ليؤيد حجته .. احدهم ونستون تشرشل الذي امتزج فيه الانقباض العميق والنشوة المشعة وذلك بشكل مكنه من ان يعمل على مدار ساعات اليوم . وقد نتج عن تارجح حالاته النفسية انعدام للحذر والقدرة على التفسير ازعج المحللين معه :

وليس من شك ان المزاج المتقلب كان جزءا مما ورثه تشرشل ، كما يرى د. فيف ويقرر ان « شحنة جينية (وراثية) عالية كانت فعالة في سلالة اسرته ، وان تقلب احوال تشرشل كان اساسا بسبب جينات الوراثة فيه اكثر مما هو بسبب البيئة » .

وكان الرئيس الامريكي تيودور روزفلت مثالا لحالات ارتفاع الروح المعنوية والابتهاج حتى غدا البيت الابيض الى نوع من السيرك . كان روزفلت يتكلم اثناء الغداء بلا انقطاع الى الزوار الذين يزدحمون حول مائدته ، ثم يخرج مسرعا الى مكتبه حيث يقابل الشيوخ واعضاء الحكومة ورجال الكونجرس وسيلا من عامة المواطنين ، وفيما بعد يخرج الى ركوب الخيل او السباحة او التمشي . واحيانا يقوم بكل ذلك في نفس الوقت . كل ذلك قبل العشاء ، والذي متى جلس إليه انطلق في الحديث والصياح دون ان يتوقف لحظة . وكانت حالاته النفسية مبتهجة في الاغلب . وعلى نقيض ذلك عرف ابراهام لنكولن بحالات الانقباض الشديد ، التي يصفها فيف بانها كانت متكررة ونابعة منه ، مما يشير الى اضطراب كيميائي .

ولعل اشهر حالات انقباضه كانت تلك التي صادفت فسخ خطوبته لماري تود في يناير ١٨٤١ . فقد ظل لاكثر من اسبوع غير قادر على حمل نفسه لحضور جلسات الهيئة التشريعية بولاية الينوي . وخشي زملاؤه ان يكون قد اصيب بنزعة انتحارية .





جان ريفلد

هل تتحكم جينات الوراثة في المرضى المصابين بالانقباض النفسي الحاد ؟

ويرى الدكتور فيفد أن حالات انقباض لنكولن ربما كانت في بعض الاحيان بسبب الضغوط الخارجية ، ولكنها في معظمها مستقلة عن حالات الفقد أو النكبات ، مثلها في ذلك مثل كل حالات الانقباض الناتج عن اسباب كيمائية او تحولات في طبيعة الجسم حين تتجدد فيه أجزاء وتندثر أخرى .

إن النظرية التي يقدمها الدكتور ليبر في كتابه «الاثر القمري» تنظر في تأثير الاجرام السماوية على التوازنات المعقدة للهرمونات والسوائل والموصلات الكهربائية العصبية في اجسامنا . ويرى ليبر أن جلد الانسان بتركيبه يسمح بحركة قوى كهرومغنطيسية في كلا الاتجاهين ، الامر الذي يسمح بتوازن ديناميكي ، فكل رسالة عصبية تولد مجالها الصغير من الطاقة ، ولكل خلية حقلها الكهرومغنطيسي الخاص ، مثل نظام شمسي دقيق للغاية . ويرى الدكتور ليبر أن القوى الكهرومغنطيسية الكبرى الصادرة من الاجرام السماوية تستطيع التأثير على توازن عالم الخلايا تحت المجهرية هذه .

ويقول الدكتور ليبر في كتابه : «عندما يكون هناك اتفاق بين الدورات الفلكية مثل ذلك الذي يحدث مدا وجزرا حادين كما في عام ١٩٧٤ فإن جهاز الجسم الآدمي يتلاقاه اضطراب مغاجيء في الجاذبية والحقل الكهرومغنطيسي المحيط به .. مما يغير وبشكل درامي التوازن القائم بين عوالمنا الداخلية والخارجية ، وبذا يصبح الجهاز العصبي مضطربا ، متوترا ، وتتغير فيه طرائق ارسال الرسائل العصبية ، ويكون بذلك ارتفاع أو انخفاض في الماء في اجزاء مختلفة من الجسم ..»

ويضيف الدكتور ليبر أن من بين مرضاه عددا كبيرا من صرعى الانقباض الجنوني الذين تكم تهدئتهم بعقار الليثيوم .. وفي بعض الاحيان يتصل بي كثير منهم في نفس الوقت ليخبروني عن حدوث نفس الاعراض لهم - القلق ، الانقباض ، فقدان الذاكرة ، وسرعة نبضات القلب . وانني لواثق أن السبب الوحيد وراء هذه الظاهرة الشاذة هو أن كل هؤلاء المرضى يتجاوبون بشكل جماعي مع اضطراب جوي .. والاحتمال الاكبر انه اضطراب ذو صلة بالقمر .. »

وعلى أية حال ، فإن الملاحظات القصيرة التي سجلها ليال واطسون في كتابه «مد الحياة وجزرها» توحي بشيء من وحدة المخلوقات فهو يقول :

« إن كل واحد منا لهو بمثابة متحف متحرك والسائل الموجود في اجسامنا هو صورة طبق الاصل للبحر القديم إذ أن تركيز الصوديوم والبوتاسيوم والكلورايد في دمنا ، والكوبالت والماغنيزيا والزنك في انسجتنا - كلها بنفس النسبة التي كانت ذات يوم موجودة في المحيط القديم .

ومازلنا نحمل ذلك المحيط في دواخلنا . وقد اطبقنا عليه مثل أثر قديم متحجر ، ولكنه ما زال ينبض بالحياة .

وفي كل بحر داخلي دقيق ، مازالت نفس الصراعات القديمة مستمرة مثلما كانت قبل ثلاثة بلايين سنة خلت .

ويمكنك أن تجمع اكبر عدد من عينات مياه البحر ، ولكن واحدة منها لن تحتوي على أي شيء عن المد والجزر ، وإن كانت تخبر عنهما . فالحياة نسيج منظم ، وحركة ، إنها شيء تم صنعه في نقطة مضادة لإيقاع ما هو عارض : انها شيء نادر ورائع في لا معقولية . »

وبعد :

قد تصادف احيانا تخريجات الفلكيين وتخمينات المنجمين ولكن يظل معرفة الغيب رهنا بيد خالق الكون جلت قدرته وما هذه الموجة العارمة التي تحولت الى تجارة وتخريفات ونظريات وتضارب تغذيها اجهزة الاعلام المتطورفي عالم يفتخر بامتلاكه قوى التكنولوجيا الجبارة ، إلا دليل يقدم جديدا على عجز الانسان وفقدانه للاطمئنان حين يفتقد طمأنينة الايمان وسلاحه



هذه الموجة التي تحولت إلى تجارة ما هي إلا دليل على عجز الإنسان وفقدانه للاطمئنان



البديل للعظام الآدمية

أطباء العظام أحجموا في السنوات الأخيرة عن إجراء أية عملية لاستبدال المفصل الأعلى في عظمة الورك.. لماذا؟

[illegible]



تزداد الحاجة في عالم اليوم الى عمليات تغيير المفصل الأعلى في عظمة الورك، وخاصة عند الشباب، وذلك نتيجة للاصابات التي تنتج عن حوادث الحركة او سباق السيارات او الانزلاق اثناء التمارين الرياضية العنيفة، واحيانا بسبب علة مستديمة.

ولكن أطباء جراحة العظام قد أحجموا في السنوات الأخيرة عن إجراء أية عملية لاستبدال هذا الجزء من العظم وذلك لأن مفاصل الورك الصناعية والبديلة قد برهنت على أنها لا تدوم أكثر من خمس سنوات، لأن المفاصل المصنعة عبر [illegible]، لا تحتوي على جزء مصنوع من الصلب الذي لا يصدأ. وهذا الجزء ملصق الى عظم الورك بواسطة ملاط معدني.

وقد اتضح ان هذا المفصل والجزء الفخذي لا يتحرك مع الجسم اثناء مشي الانسان وحركته، ويتولد من ذلك ضغط يزداد شدة على المفصل ويؤدي ذلك الى ضعف المفصل الصناعي وكسره.

لكل هذه الأسباب مجتمعة، بدأ علماء العظام يبحثون عن البديل، ففي السويد اجريت عمليات مفاصل عظم الورك استخدمت فيها مادة السيراميك لصناعة المفاصل، ولكن اتضح ان المفاصل المصنوعة من الصلب افضل منها.

وفي المانيا استخدمت مفاصل مصنوعة من مواد فخارية، ولكن ذلك لم ينجح نسبة لأن مادة الفخار هشة وقابلة للكسر السريع.

كل ذلك اجبر اطباء العظام على البحث عن البديل.

وفي عام ١٩٦٩ اجرى البروفيسور وليام بونفيلد الجراح بكلية الملكة ماري (جامعة لندن) دراسات مكثفة وجادة في تكوين النسيج العظمي الحقيقي للورك الموجود عند الانسان المعافى لكي يجد له مثيلا اصطناعيا. واول نتيجة توصل اليها البروفيسور بونفيلد ان المادة المكونة للعظم البشري عامة لا يمكن صنعها في اي معمل وذلك لانها عملية معقدة جدا، ولكنه توصل مع زملائه الاخرين الى نتائج اخرى اهمها:

ان جوف العظم البشري المتصلب يتكون من انابيب دقيقة عرض كل منها عدة ميكرومترات اي عدة اجزاء من الف جزء من المليمتر. وهذه الانابيب تحتوي وتنقل مواد سائلة هي التي تصنع العظم الحقيقي. وتنفذ هذه الانابيب الدقيقة في داخل تجويف العظم في وضع طولي للعظم نفسه. ونتيجة لها من الخارج طبقتان كثيفة من مادة الكالسيوم والكولاجين، وهو مادة بروتينية.

ومادة الكالسيوم هذه تشبه في وضعها وفي وظيفتها المادة الملحقة او [illegible] الاصطناعية. اما مادة البروتين الكولاجينية الطبيعية فهي تشبه احدى المواد الكيماوية المركبة المستحدثة [illegible] التي يمكن تصنيعها معمليا. بعد هذه الاستنتاجات التي توصل اليها الدكتور بونفيلد، تمكن هو وفريقه المساعد من صنع مفصل عظمي من مادة فخارية ـ لم يكشف عن اسمها ونوعها بعد ـ ومادة اخرى لينة (بلاستيكية) وكان هدفهم الرئيسي ان يشبه هذا المفصل المكبر الحجم المفصل العظمي الطبيعي بقدر المستطاع.

هذا وقد قام الدكتور بونفيلد بعد ذلك باختبار الخواص الطبيعية للعظام البشرية بواسطة جهاز صوتي سريع الالتقاط. وقد استطاع الدكتور بونفيلد عبر الذبذبات الصوتية الدقيقة التي يرسلها العظام الادمية تفادي حدوث الكسور والشقوق المتوقعة في [illegible].

هذا وقد اوضح الدكتور بونفيلد أن لين العظم المفصلي الذي اشرف على صنعه وتقويته سيكون ادنى من المفصل الطبيعي المصنوع من الصلب. والجدير بالذكر ان تكاليف اجراء تغيير مثل هذا العظم في المختبر الان مكلفة للغاية.

والمادة المستخدمة في المفصل الذي اشرف الدكتور بونفيلد على تصنيعه مزايا اخرى، فهي مادة [illegible]، وهذا يجعلها تتداخل مع العظام الطبيعية المجاورة لها وبذلك تقل فرص التكسر والتشقق. كما انه يمكن الاستفادة من هذه التركيبة في صنع جزء من العظام التالفة لاسباب سرطانية.

وقد برهنت التجارب والعمليات الاولية ان المفصل المصنع بواسطة الدكتور بونفيلد وفريقه يعمر ويعيش طويلا.

وستبدأ اجراء العمليات على المرضى والمصابين بالانجليز واستخدام هذا البديل الجديد للعظام الادمية في هذا الشهر (يونيو ـ حزيران ١٩٨٠).



تجربة جزائرية تعطي العالم أول قرية نموذجية تستخدم الطاقة الشمسية





الإكتفاء الذاتي من الطاقة

بدأ انشاء اول قرية في العالم تستخدم الطاقة الشمسية بشكل متكامل يظهر للعيان على وجه سهل منبسط في (عين هناشير) في محافظة (مسيلة) في الصحراء الشمالية بالجزائر.

وقد شرع في البناء من لا شيء . فلا شيء كل شيء وفقا للخطة الموضوعة . فان القرية ستستمد كل احتياجاتها من الطاقة ومن انواع اخرى من مصادر الطاقة المتجددة . واذا نجح ذلك . فان عين هناشير ستكون النموذج الذي يمكن لدول اخرى شارفة في الوجه الشمسي ان تحتذيه.

وتقوم بالتخطيط والبناء المنظمة الوطنية الجزائرية للبحث العلمي وجامعة الامم المتحدة - وهي شبكة عالمية من العلماء والمؤسسات - ويكتمل انشاء القرية في نهاية عام ١٩٨٢ على الارجح . اذا شاء لها ان تنجح.

ولعله ان تكون عين هناشير اول قرية من مثل هذه قرية لاختطاطها الحكومة الجزائرية لتتخلص من المدن القديمة وتعطي بيئة جديدة لسكان والقطرة الاساسية الكامنة وراء المشروع في تآلف المعمار التقليدي والاساليب الحديثة لاستغلال الطاقة الشمسية . وهي قائمة على الافكار والاسس التي طورها المهندس المعماري المصري الراحل حسن فتحي .

والمعمار الجزائري كلاسيكي ومعمار شمال افريقيا كان دائما يستخدم الحرارة الشمسية بشكل سلبي . فالبيوت التقليدية مبنية بجدران سميكة تشكل حاجزا للتدفئة . يجعل المنزل يحتفظ ببرودته من داخل عندما يكون الجو خارجه حارا . ويبقيه دافئا عندما تهبط الحرارة في الخارج . وللمباني الجزائرية نوافذ صغيرة عديدة لتمرير الهواء البارد كما بها نوافير داخلها لتخفيف الحرارة .

ولكن القرية الجديدة بعين هناشير تستخدم الطاقة الشمسية بشكل ايجابي . فالبيوت ستكون مجهزة منذ انشائها باجهزة الطاقة الشمسية كالواح تجميع الطاقة . والمحولات الكهروضوئية . كما في المباني العامة وسيكون لكل بيت جامع للطاقة الشمسية يعين على استخدام الشمس في الطهي والتدفئة . كما ان التصميم نفسه سيمكن من تمرير الهواء لاغراض التبريد .

وسيتم استخدام مجموعة اخرى من اجهزة تجميع الحرارة لاغراض الصناعة والزراعة وستزود بعض المجمعات السكنية بانظمة تعمل بالطاقة الشمسية لانتاج الغاز والوقود المستخرج من الكحول وغذاء الحيوان . وبذلك فان انظمة تجميع الطاقة الشمسية ستتكامل بمقاييس مطلوبة مع الانشطة الاخرى كالانتاج الغذائي . وكل نشاط منها كما يقول واضعو الخطة . مقصود به ان يساهم في سلسلة من النشاطات التي لا تكلف كثيرا . وتتحمل من تلقاء نفسها .

وقد وزعت المسئوليات بالنسبة للفريق واضعي الخطط والمهتمين في عين هناشير بشكل يسمح بتغطية جميع جوانب الحياة في القرية . فهناك مجموعة مسئولة عن المسائل الجغرافية والجيولوجية والهيدرولوجية والفلكية والموارد الاقتصادية وتخطيط المباني الاساسية للموقع .

اما المجموعة المسئولة عن الطاقة فهي المناط بها دراسة المناخ والطقس في الموقع . وانتاج الطاقة وتوصيلها وتحديد دورتها . وتصميم وتركيب الاجهزة .

وهناك مجموعة ثالثة مسئولة عن الخدمات المعمارية الزراعية والجوانب الثقافية والاجتماعية والديموغرافية والتوظيفية في مجتمع القرية .

والطاقة الشمسية في المجموعة المسئولة عن الطاقة مقتنعون بان احتياجات القرية عين هناشير من الطاقة كما تم تصورها الآن ستوفرها مصادر الطاقة بيئية حيوية وعضوية متجددة . ويجري تطوير عدد من الانظمة في الموقع الذي اهل القرية على تحويل الطاقة الشمسية كمصدر للطاقة في القرية التي تقدم لهم احتياجاتهم لها .

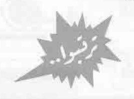
ومنذ البداية تمت استشارة اولئك الذين ابدوا رغبة في الحياة في هذه القرية الجديدة . وفي مرحلة التخطيط . لاخذ آرائهم حول الطريقة التي يجب ان تصمم بها المساكن . وقد اجرى اثنان من المهندسين المعماريين الجزائريين مسحا بين من سيقطنون في القرية مستقبلا حول احتياجاتهم من الطاقة وعاداتهم . وتتضمن مرحلة تالية من المشروع تدريب اهل القرية على الاستفادة القصوى من التكنولوجيات الجديدة . كما يعتزم واضعو الخطة ايضا تشجيع اهل القرية على تطوير اساليبهم الخاصة في تجديد الطاقة .

وقرية عين هناشير هي تجربة .. بعد كل . فان نجحت الخطط كما يأمل واضعو التصميمات الجزائريون . فان دولا نامية اخرى يمكن ان تستفيد من هذه الفكرة . إذ ان هذه القرية تشكل تقدما كبيرا في مستوى المعيشة دون اي مطالب كبيرة من ناحية المصادر . حتى تم بناؤها .

وليس هناك سوى قرية شمسية اخرى تحت التخطيط بالقرب من شيراز بايران . ولكنها تختلف عن تجربة القرية الجزائرية إذ انه لم يخطط لها ان تقوم على بناء قرية جديدة . وانما على تركيب اجهزة الطاقة المتجددة في المنازل والمباني العامة القائمة حاليا .

ان اكبر عقبة تواجه مثل هذا النوع من التنمية هي ان الدول النامية عاجزة عن مقابلة التكاليف الانشائية . ولكن فوائدها متعددة الجوانب . فهي لا تحرر الناس من الاعتماد على النفط او اي انظمة مركزية للطاقة فحسب وانما توفر لهم فرصة افضل لدفع الانتاج الغذائي . وذلك لانه يصبح تحت سيطرتهم هم انفسهم بشكل اكبر . وبازالة ضغط الحاجة الى الاحتطاب من اجل اغراض الوقود . تتم المحافظة على النباتات وتركيب التربة وخصوبة الاراضي المحيطة بالقرية . وتتحسن كلها بمرور الايام .

ونتيجة لأن اسعار النفط في ارتفاع مستمر فان احتمال الاقتراب من تحقيق الاكتفاء الذاتي من الطاقة والذي تتيحه مثل هذه التجربة ينبغي ان يشجع كل الدول على التمعن في تجربة قرية عين هناشير المعتمدة على الطاقة الشمسية .


ترقبوا


الأمة
مجلة إسلامية شهرية جامعة


تصدر من قطر

الدكتور عثمان أبكر

مدخل لعملية الخلق الروائي

إسقاط الحاضر والاتجاه للتغيير باتجاه المستقبل

وربما كانت أهم عناصر روايات سودانية شكلاً ومضموناً كتبت بعد الاستقلال هي روايات الطيب صالح الثلاث وروايتا ابراهيم اسحق ابراهيم ، اذ تتمتع كل هذه الروايات بالعمق والاصالة والشمول والنضج الفني ـ ان عالجنا اللهجة المحلية عند ابراهيم اسحق كما ينبغي ـ كما يتمتع الكاتبان ليس بالموهبة فحسب ، بل بالتزود المطرد بالعالم الذي عنه يكتبان ، وبالثقافة العميقة المتنوعة المتزايدة من التجربة والعلم والاطلاع الدائم وكلاهما يربط نفسه بعلم أن يعرف العالم الانسان الذي عنه يكتب ، والعالم الروائي الذي يبني ، وانطلاقهما من ينبوع القص الأول والتجربة الأولى ـ الجذور ـ الاقليم المحلي بالسودان وتاريخيته وشروطها اللازمة ينبع من الوعي الكامل بضرورة استكشاف الحياة من جذورها .

كثيرة هي الدراسات التي كتبت عن أدب الطيب صالح ، وطويلة ، ولذا يصعب من الصعوبة بمكان أن يتجنب المرء الاسترسال ـ لا شعوريا ـ وراء خطوط دراسة أو أخرى ، وهو يتحدث عن أدب الطيب صالح ، والقليلة ونادرة الدراسات المنشورة في أدب ابراهيم اسحق ابراهيم ، ولذا يخشى المرء أن يحمله حبه وتقديره الشخصي للكاتب وعالمه الروائي الى فقد ما يلزم موضوعية البحث والتقصي ، ولذا اكتفي بتحديد سمات اساسية لعملية خلق الرواية عندهما .

•• استرجاع عالم مفقود

كلاهما ينزع الى استرجاع عالم فقد ، وتعريك ستعرض الى مسرح ذلك العالم المفقود في دراما شاهرها حيث تريد بهم الصحيح يتحركون ، ويفصحون عن اساطيرهم اللحمة الأصلي ، فيتناولون في النهاية رمز انساني تاريخي يحتمل شتى التفسيرات .

فالقرية في «عرس الزين» ـ ليست قرية حقيقية ، ولكن القوى التي تتحرك والعقل وتفصح عن نفسها فيها هي قوى لها وجود موضوعي ، وليس «الزين» حقيقة ، ولكنه

الطيب صالح



رمز لقوى مختلفة تستقطب أهل القرية وتتحدد بها مواقفهم وهي ... لكنه يحدث ... يصبح رمز الوئام الجميع .

والقرية في «موسم الهجرة» ... ابراهيم ... التغيير في موسمه ... ويموت ... مجهول تقطعه كلمات ... الماضي ... التغيير والاستقرار ... الجميع حيناً ـ ومحجوب ... وأهل ... ومحجوب .. يتدبرون أمرهم حتى يلتجئوا قوى التغيير في دواخلهم ابتعدوا عن قوى التغيير ... ـ التغيير ، ... ذلك كله يفصحون عن ... وتناقضها وعودتها الى نوع من الوئام .. أخيرا .

•• رصد آثار عامل التغيير

في «موسم الهجرة الى الشمال» ، ينزل القادم الغريب ، فيحدث تغييرا في القرية كما كان قد أحدث تغييرا في المدينة والذات ، وينزع المرء العنان ، فيتم العنف الذي يمكن للانسان أن يفعله ، القتل ، ويدفن الزوال في صمت ودون بكاء ، وينصرف أهل القرية للتفكير في ما حدث لهم من تغيير في حياتهم ، عن الخطأ في الماضي والحاضر القريب .

وفي «أعمال الليل والبلدة» لابراهيم اسحق ، ينزل الغريب ، فيستقبله عنصر فقط بالولاء والزواج والتربية لاستقباله ، ويستقبله حاجتهم اليه .. وتتم جريمة .. وتفقد القرية (الجواد) ، عذريتها ، تاريخها ، اعرافها ، وتضحي عن واقعها الجديد بعد أن تؤدي الشيء الغناء ... عدم التفكر في الذات .

في «دومة ود حامد» ، «عرس الزين» ، «موسم الهجرة الى الشمال» ، يتحدث ... «عرس الزين» .. ويتذكرون مدى التغيير الذي حدث بعد «موسم الهجرة» .. ويبكون الموتى والأحياء يبكون كثيرا ، ويتقبلون في دواخلهم .. حياتهم ... رجعوا .. لم ...

ارى من ثمة اهتمام الكاتبين يرصد ما يحدث لمجموعة انسانية في زمن ومكان وشروط مادية تتحدد من تغيير ... قدوم شيء جديد ، مسار للتاريخ ، عنصر جديد من عناصر التفاعل بين الزمن والعالم ، ثمة ما يفقد دائما ... وهذه مشكلة التغيير التي يعانيه السوداني ، العالم الثالث .. مشكلة التقدم .

تختلف الرواية عند الطيب صالح وابراهيم اسحق ابراهيم عنها عند غيرهم من روائيينا من حيث اللغة والزمن والثقافة ، كان الطيب صالح في «عرس الزين» يكتب عن مجتمع يحلم بالوئام ، يحلم به ، يتمناه ، جسده في عمله كواقع معاش ، وازال في عمله كل تقابلات وتعارضات العقل والواقع ليخرجه كعالم له ارضية في حياة الناس ، وانما استخدم السرد لايهام القارئ بأن عالم «عرس الزين» حقيقة ماثلة لا تستدعي من القارئ سوى التصديق والقبول ، اكيد ان للزين جذوره في الواقع .

كما ان عالم المصالح المتضاربة ـ دنيوية ، زراعية ، تجارية ، دينية ، قبلية ـ التي اجتمعت لتفرح بعرس هذا «الغريب» ، لها جذور في الواقع ، لكن الوئام الحميم الكامل في الرواية ليس حقيقة ، سمة حياتنا والعالم الثالث في هذا الوطن الشاسع ، التناقض بين كل تلك القوى التي اجتمعت للابتهاج في عرس الزين .

لم يستخدم المؤلف اي رواية لا يعرف الله على تزييف الواقع ليجلوه بصورة الشكل .

•• استخدام الزاوية

اما في « موسم الهجرة الى الشمال » فقد رأى الروائي ان يعرض عالما ، ان يقدم شهادة من اكثر من موقع ، لذا استخدم الزاوية .. الزاوية الذي يعرف نفسه ، ويشكل الوجه الآخر لعملية التغرب والعودة التي اختصتها تجربة وحياة مصطفى سعيد ، وبذا يتم للقارئ الذي يقصد الحكم اخيرا ان يختبر الراوي ليبلغ موقف التصديق والتقبل لروايته اننا . ونجد الراوية يستند الى مخلفات مصطفى سعيد ليعمق ثقتنا في نزاهة وجدية شهادته بما حدث . كما نجده يقدم اشخاصا يوهمهم ما حدث ليكشفهم عن ذلك الغريب ، سلبا وايجابا .

ان تبادل الثقة بين الراوية والبطل ، وبين القارئ والراوية والتكوين بالاحداث في القرية كل ذلك يمنح القارئ فرصة يشبه عالم الرواية متكاملا ليتخلص الى حكم او يعلق الحكم ـ لو كان ذكيا ـ لان الروائي قصد في الاساس ان يقدم عالما علينا ان نتعرف عليه عمليا .

•• تعاملها مع القرية

تبدو القرية لابناء المدينة مستودعا من القيم الروحية والاجتماعية الشاملة البريئة ، بجذورها سالمة عن اي التغير والمدنية ، لا يخدش براءتها وعفويتها وجمالها الا البرود التي يجتاحها احيانا بسبب قوى خارجة عن ارادة الانسان واصل التاريخ ، لذا تلتقي شعراؤنا بجمالها والعفوية واهمل ؟

بعيون لا يعميها بعد الحنين الشوفيني او البلاغة في قراءات معطيات الوضع المادي الاجتماعي والسياسي التاريخي ، ينظر الطيب صالح وابراهيم اسحق الى القرية وانسانها ، ويقدمه كعالم ليس هو البراءة ، ليس هو الوهم ، ولكنه مجال معاناة التغير والتحول ماديا ونفسيا وفكريا .

كلنا سيتزل الفاتي ـ كما اقول ـ ويعود الى اريافه ، داره ، اهله ، ليعيش فانتسته الانسانية الطاهرة ، ويتوقع ان يجد الاشياء والناس كاول عهده بالعباد ، لكن المسألة ليست بهذه البساطة ، انما تهزم بالتجربة والنقد وتتجدد القرية بوافد التغير والاستلاب التي يجد مستقبله فيها ، قرانا هي عالمنا الاول في تبادل وتفاعل مع العصر ، الذي شاع اليها بمنعه رياح التغيير الوافدة وقلبه ، الذي يشمخ الينا رسوخا مقالي .. يبقى .

•• القبض على التناقض الاساسي

هناك تقابلات وتناقضات ثانوية لا يحقق للاديب ان يحتفل بها كقوى للصراع ، العرس ـ عرس الزين ، مثل هذه التناقضات الثانوية تؤكدها المعسكرات التي يقسمها الكاتب ... الطائفة الدينية ـ القبائل ـ الفئة المتميزة ـ الجاه ـ الفقر .. ويلتقيها الكاتب بالفرح الاكبر الذي يستمد الانسان لنفسه ، بالحلم ، بالفرح الوحشي الكبير ، بالعرس .

« حدث في القرية » يعرض التناقض الاساسي بين الانسان والطبيعة ، وتمدنا بقدر غير يسير من التناقضات الثانوية ، بين انسان المدينة الوافد بالعلم ـ الناظر او المفتش او التاجر ، او صاحب وسيلة المواصلات ـ وبين اهل القرية في جهلهم .. ، لكن الرواية تدير الاحداث لتبرز اساسا ضعف الانسان وقلة حيلته امام قوى القهر التي يمكن ان تستحيل الى خوف .. خاصة اذا جهل الانسان كيفية استخدامها وادواته . الا الجميع ، يتذكر الجيران والنساء والاطفال ، القروي القلق والراعي ... والغريب الوافد ، انه يكون الجميع الى [illegible] ومهما تفاقمت القرية [illegible] تكون اختلاف ، تكون جرعه .. يموت الكثير ، تكون الارادة الجماعية [illegible] ويبقى الكثير ويبقى الانسان وقد عرف في محنة الطائلة شيئا من نفسه وامكانياته ، سلبا وايجابا .

•• المفارقة ابتداء من حدث عادي

ان الروايتين ، « حدث في القرية وعرس الزين » قد ادرتا حول حدثين عاديين اكسبهما الكاتبان قيمة غير عادية ، فالعرس امر يومي ، فلماذا يثير كل هذا الاضطراب والاصطراع وتكشف ابور الواقع والماضي ؟

وجريان الماء في موسمه امر عادي ، والموت حقيقة يومية ، فلماذا كل هذا الاضطراب في حياة القرية واستكشاف حالها القديم وتطلعاتها الحاضرة وفضح ما كانت به تحيا ؟

لم يكن العرس عاديا ، لان شخصية الزين ليست عادية ، ولم يكن جريان الماء عاديا ، لان ما حمله معه من شر ليس عاديا ، لقد اختار الكاتبان الحدث الذي به يتحول الواقع العادي القائم الى وعي .. ان الاحداث اليومية العادية هي التي تبني التاريخ ، وتحدد مساره وهي بذلك تبني الوعي ، ومن بينها حدثت لحظة التحول التاريخي او النفسي او المادي ، وقد احسن الكاتبان فيهما لحظة تبلور التحول هذه ، اللحظة الباقية عنه ، وقد عالجها الطيب صالح ليؤكد امكانية الوئام في مجال يعج بالتناقضات ، كما عالجها ابراهيم اسحق ـ بعد سطرية شاملة ـ ليبرز القدر الكامن في الانسان رغم عجزه وقلة حيلته وجهله امام المجهول والشر الممكن في الحياة .

لقد حرك الطيب صالح شخصيات الرواية لتبني الحدث وعالمه .. هي التي تتحاور ، تروي وتمتن وتسر ، بعض اللحظات يملؤها وعي الكاتب ، لكنها لا تقدم الكاتب كحاجز مترفع عن هذا العالم يباعد بينها وبين حوار الصدام والوئام في الرواية .

في « حدث في القرية » اختار الكاتب صبيا ليكون الراوية ، جعل من الصبي ـ عثمان ـ براءته وصدقه وامتلاءه بقيم ومخاوف ووعي اهله ، هي التي تقدم لنا لوحات هذا الحدث ، وما يصطرع في بال الجميع تجاه الخطر المحدق بالجميع ، والصبي يستعيد عينيه واذنيه وذاكرته ومعلوماته العملية وتجربته في تقديم ذلك اليوم الطويل في حياة القرية .

حتى هذا الصبي يبقى دون تعريف من الكاتب وهو نفسه لا يكترث بتعريف نفسه ، يتركنا نتعرف عليه في العالم الذي يرويه .

الكاتب اذن، خارج عمله وعالم روايته ، وهذه هي تقنية الرواية الجديدة .

١ ـ ابتعاد الكاتب عن عالم الرواية ، وتشكيل الرواية بالادوات التي تجعلها عالما مستقلا عن الكاتب ، لوحة ، قطعة موسيقية ، قصيدة .. اضافة جديدة للعالم) اعادة لفعل الخلق .

٢ ـ تقديم حدث اساسي يتبلور لحظة التحول في وعي العالم الذي تشكله الرواية .

الجريمة في « اعمال الليل والبلدة »

يستمر ابراهيم اسحق في « اعمال الليل والبلدة » في استخدام الرواية واللغة والحوار النادر في بناء عالم يعاني مشطا حادا في حالاته . يكاشف نفسه مساءلة واحتجاجا عن شروط هذا التغيير وجدواه . لم يكن احد يتوقع ما حدث ، وان كان صوت التاريخ ـ مصطفى ـ يهجس شيئا مريرا شريرا سيحدث من بدايات وحدت ولو يلزمه لها كثيرا .. ولذا ينتظر القارئ حتى تجمع كل وعده وتتطاوله ليقف على حقيقة ما حدث .. موت رجلين ، وموت الجواد « فارس » .

احد الرجلين (فلالة) وافد الى القرية .. البلدة ـ جذوره لكان اخر ، افقد لاحترام اهل البلدة ، ولا مبال بهم وعالمهم ، يرتبط في مسالة حميمة ومشبوهة بعنصر من اهل البلدة (حاجي) ـ هو تجسيد للسائد في صلب القرية ـ لا اب له يعرف ، ولم تحسن تربيته . على يدي هذين الرجلين يسرق الجواد ويقتل !

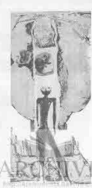
والجواد « فارس » هو رمز التاريخ ومجده في الايام الغابرة حين وقفت البلدة في وجه الغريب الوافد المعتدي بحق ، ولكنها ايضا قتلت رجلا وافدا ـ الجلابي ـ بغير حق ، ليس الوافد دائما على نية شر ، (مامون) يحترم اموره ، ولذا يشاجر (فلالة) .. (ويدلي الجلابي) لم يقصد بهم شرا حين زرع واستثمر جزءا من السابق ، لكن الزبير رحمة كان يقصد الشر ، فاوقفه .. و (فلالة) قصد الشر ، فاوقفته حياته الافعى الشريرة .

السلطة القديمة (العمدة) كانت عاجزة كما راينا في « حدث في القرية » ، لكنها رثت الحق ـ ابناء الراي ـ الى الاهالي ، سلطة وكيل الابيناشي عاجزة عن القتلة الآثر ، واكتشاف الجريمة ، ولكنها ستبقى ، طروحه ، رغم المرات صوت التاريخ (مصطفى) وتشكو البلدة .

لقد اختار ابراهيم اسحق الجريمة كحدث هنا في « اعمال الليل والبلدة » ـ وهي اقوة الى تساؤلات اخلاقية مجتمعية ، سياسية ، وهي تعني السقوط ، ان نصف العناصر القادرة التي مقدمة للجريمة من صنع اهل البلدة ، والآخر وافد !

.. وفي « موسم الهجرة .. »

كانت « ود حامد » حلما بالوئام والحب في « عرس الزين » ، لكنها في « موسم



الهجرة الى الشمال » تتفجر في جريمة لم يعرفها الغريب ، بل تنبع من عنصر متاصل فيها ، القادم وامكن ، فلم يعد الثلاثة ممكنا الا بالرفض الحاد ـ القتل (ود الريس ـ حسنة بنت محمود) ، الراوية ، ابن ود حامد الذي اكمل تعليمه بالسودان ، وتوجه للدراسة عليا باوروبا ، يعود ليشهد قوة التدمير الهائلة لطاقة الحب ـ ماء الحياة ـ حين توجه توجيها خاطئا ، الى التدمير ، في حياة الغريب الوافد (مصطفى سعيد) الذي كان يلتحق حتى الجريمة باوروبا ، في حياة مصطفى سعيد ملف كامل لما تفعله انعدام او سوء قصد هذه الطاقة للحب بالانسان ، لم يكن حبا ما جمعه ببنات الانجليز ، بل نزوع الى الانتحار والفناء ، وربما النحر هو نفسه وهو يقوم ـ موضعا الجميع ـ بعملية الانتقام لليلة الطوفان تلك ، لم يكن حبا ما جمعه بحسنة بنت محمود ، وهي لم تحتج بالحب او حفظ المودة للزوج اللغني حين تقدم الشطاب اليها .

عندما التقت العوالم المختلفة في « عرس الزين » لم الوئام بطاقة الحب الفياضة العطية ـ الزين ـ هنا في « موسم الهجرة الى الشمال » تلتقي العوالم .. لتصطدم او تتغلب ـ وتحتج باسم قيم مختلفة ـ غزو اوروبا كما اقرتها « مصطفى سعيد » ـ والى البيت يد والحنا « ود الريس » ، هنا تلتقي الغربة ، تلتقي القيم التي مكن لها الزين وتعمه والجنين ـ كحلم الكاتب ان الاصلاح عما حدث ، وجذوره في النفس ، وتقلبات الايام ، يحتاج الى استكشاف عميق للذات الحضارية والنفسية للبلدة واهالي ، ود حامد ، يحتاج لاكثر من رواية .. وهذا ما يحدث في « بندر شاه » التي تقدم اهل « ود حامد » بعد مرور ٢٥ عاما على « عرس الزين » .. وتغوص في اعماق زمن لم يعرفه الزين لانه حدث قبل زمان عرسه بكثير !

« ضو البيت »

مريم هو انسان النيل شمال الوادي ووسطه وعميق اثره في صنع تاريخ هذا البلد الشاسع ، ولذا اصبحت رحلة الاستكشاف في الذات الحضارية لزمة كبرى للطيب صالح في تقديم السمات الاساسية للانسان السوداني الذي طمحت حركة القومية لتوحيد بالسودان منذ ايام سنار في ارسالها ، ولذا يتم التعاطف بالسودان والعالم العربي مع كتابات الطيب صالح الذي اختار نموذجه ومكانه في « هذا الجزء من العالم » ، اكثر مما يتم لاي كاتب يشار اليهما اخر من بلاد السودان .

من هو ضو البيت ؟

ما دام اهل عالم الرواية (بندر شاه) قد خصوا الاسماء جزء من سحرهم العميق ، فاننا ناخذه باعتباره اسما على مسمى ، كما نقول ، ورمزا لوافد تعاطفت معه البيئة واعطت منه كثيرا ، وفقدته ، ما هو هذا الفقد ؟ ان الرد واقع في التلاحم الصامت بين الجميع ـ اجيال الصراع المختلفة في الرواية ـ انه الرؤية التي تراها الجميع ، لافتقاد الفجر والفتوة عند الفجر للجميع ، معرفة وتماسكا انسانيا وكرامة وعطاء بالحب كبير ، لكنه فقد .

هذا الماضي حاضر وطاغ في الحاضر ، لكن المستقبل يطالب بحقه في الامكان والتغيير كاملا ، من هنا صراع الاجيال ، الزمن ، حيث يتحالف الجد والحفيد ـ الماضي والمستقبل ـ في وجه الحاضر ـ الاب ـ ان عملية استكشاف الذات في العالم النامي (الدول النامية) تسقط الحاضر من حساباتها ، وتتجه نحو احداث التغيير متمثلة سهم المستقبل ، ومحكومة بحبل السرة للماضي ، لان الوجود ماض ، والحضور مستقبل .

النور عثمان ابكر

محمد مندور
المعلم .. والأب



د. محمد مندور

راسين

في بداية هذه الكلمة أود أنني لم أكتبها لأقوم أعمال الدكتور محمد مندور أو لأكشف جانبا من جوانبه الفكرية الغزيرة .. بل أكتبها تنفيسا عن حزن لايزال يحتدم في النفس على ذلك المعلم الأب .. أما التقويم والتحليل والمناقشة فأتركها للنقاد الذين سيجدون في ذكراه ولاشك فرصة يقولون فيها مالديهم من آراء كثيرة يتفقون فيها مع الدكتور مندور ويختلفون كما كانوا يفعلون وهو ملء السمع والبصر ..

مر على غروب شمس حياته في ١٩ مايو ١٩٦٥ خمس عشرة سنة ظهر خلالها على مسرح الفكر ودروب الأدب شخصيات و شخصيات .. لكني حتى لو أوصلت العديد منهم بعضهم ببعض فلن أقدر بتغطية الهوة العميقة التي تحققت في النفس وفي مسرح الفكر بفقده .. ذلك أن مندور كان من أكثر المفكرين وكان في الوقت نفسه من الأنبياء المقيقيين مع أنه لم يركب متن الخيال قط ..

ومن النادر في أيامنا هذه أن يجمع الرجل في شخصه بين القابليات الأدبية والأهليات العلمية .. وحتى لو كشف لي المنجم عن شخصية لها ثقافة مندور ونقاء مسيرته فمن المستحيل أن أعثر على من يجمع بينهم وبين مشاعر الأبوة الشاملة .. وقبض أحاسيسه الحانية وأساليبه المطبوعة أرضا .. إنني المس الآن وأنا أكتب عنه أنه كان « بابا مندور » وقبل كل شيء .. يوم فقدته

فقدت كل أمل لي في أن أكون ابنة المعجزة الثانية .. ولقد دخلت إلى عالم الأضواء الفكرية والفنية من باب مندور .. كان خطوي من خطوه .. ونظرتي مستمدة من نظرته الناقدة حينا الحانية في أغلب الأحوال .. ولقد أفضى بي هذا الباب إلى طريقين أولها ترعرعت من خلاله وأمام عيني المفردات التي بلورت العظمة في شخصه .. وثانيهما وهو أنني عندما وقعت عيني على أساطين الفكر والفن الذين كنت أقرأ عنهم وأسمع بهم .. لم أر الهالات المضيئة فوق رؤوسهم .. ذلك أن آراء مندور الكاشفة عن ماهيتهم قد بددت انبهاري المبهم بهم .. فأخذت أحجامهم حيزها الصحيح .. كان الواحد منهم يصافح مندور فأبدو بكلمة يحتلب نامر .. والآخر يتصبب أسفا .. وعندما يتركنا خجلا ألتفت إلى بابا أسأله .. لماذا كلمته بهذا العنف .. ولماذا كان الآخر يداري خجله هكذا .. فيفضي إلي بأن هذا الشخص ضعف أمام الموقف الفلاني سنة كذا ..

لم تتغير أفكاري عن المفكرين فقط بفضل مندور .. بل تغيرت حياتي أيضا .. ذلك أنني منذ وعيت .. واشتريت ألواني .. وطلال دراستي الثانوية وأنا أنوي المضي في طريق الفن التشكيلي والالتحاق بكلية الفنون الجميلة .. وفي يوم من عام ٥٦ قرأت في جريدة الشعب نقدا بقلم الدكتور مندور لأحد الكتب التي كنت قد فرغت من قراءتها توا .. فبهرت بآرائه .. وقلت لنفسي .. لو ملكت هذه الثقافة الموسوعية وهذه القدرة الفذة على التعبير لكتبت نفس المقال وبمراتيب الكلمات أيضا ..

ومن يومها تتبعت مقالاته وكتبه هنا وهناك .. وبدأت أحاديثه الإذاعية والتلفزيونية بجانب مقالاته تخلق لي عالما

[illegible]

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

جديدا .. وتعرفني الشباك لم الآن قد سمعت بها من قبل .. وفي الندى مقالاته وحدثه يكتب بحنو وعطف عن رسائل تلامذته في (معهد النقد) فعرفت أن هناك معهدا بهذا الاسم [illegible] .. وما إن حصلت على الثانوية العامة حتى ذهبت أسجل اسمي .. وكان المعهد [illegible] .. وكان الممتحن هو الدكتور مندور [illegible] بعض الأساتذة .. سألني يومها أيهما تفضل أكثر .. المسرح أم السينما؟ [illegible] السينما [illegible] أستطيع الذهاب إلى السينما [illegible] المسرح [illegible] المسرح [illegible] الكبير يوسف الشريف وهو مشغول دائما مع [illegible] والشئون العربية في مجلة [illegible] فقال لي [illegible] الأخوة الكبار دائما [illegible] ويلاحظ أنه [illegible] لي أيضا [illegible] الشكوى.

اكتشفت [illegible] أن معهد النقد [illegible] المسرحية [illegible] قسم الديكور والتمثيل [illegible] ولكن [illegible] كلية الحقوق [illegible] بين كليتي الآداب والحقوق [illegible] مختلفة [illegible] الدكتور [illegible] كانت السنة الأولى مشتركة مع الآداب [illegible] الدكتور طه حسين [illegible] كلية الآداب بجانب الحقوق [illegible] فيها [illegible] كان [illegible] الأول [illegible] في

الآداب [illegible] اللغة الفرنسية واللاتينية [illegible] كلية الحقوق [illegible] على [illegible] أكثر رحابة .. فقبل النصيحة.

المعلم الموهوب

[illegible]

[illegible] المعهد [illegible]

قليلا [illegible] بعد العملية التي أجريت [illegible] كانت فرصة لي [illegible] وقد كشفت لي هذه الفرصة الأخيرة [illegible] .. ذلك أنه كان [illegible] لا يقطع [illegible] وكلها [illegible] قبل أن [illegible] لذلك [illegible]

«إنك يا مندور لأحب تلاميذي إلى نفسي»

[illegible]

اليوم [illegible] فيها مرجعة [illegible] إنما هي محاضرات كان يلقيها على تلامذته في المعهد العالي للفنون المسرحية أو معهد الدراسات العربية.

كان الدكتور مندور [illegible] في دراسة تاريخ النقد الأدبي [illegible] بعدها [illegible] كما يفعل معظم الأساتذة [illegible] على الموضوع [illegible] على الطلاب [illegible] أما اختلاف [illegible] الأولى مع الثانية والثالثة [illegible] ولكن الخطوط العريضة [illegible] كما هي .. [illegible] كان كثيرا ما يضمن محاضراته [illegible] وعن القصة التاريخية أو الاجتماعية أو السياسية [illegible] المحاضرة .. وهذه سمة المعلم الموهوب.

والذكرى [illegible] اليوناني [illegible] الأدب [illegible] كلمة [illegible] وهم الطبقة الثالثة من التجار والموظفين التي تكونت بعد عهود الإقطاع [illegible]

يقول [illegible] بأسلوبه البسيط .. الذي [illegible] أنه لا يقتضيه جهدا أو أنه



العقاد



توفيق الحكيم



محمود شكوكو

اقنعته طه حسين بدخول الآداب بجانب الحقوق

علامة على بساطة الافكار التى يحملها عقله ، ولكن الأمر ليس كذلك ، فإنها بساطة لا تتأتى إلا للقادرين على استيعاب أصعب المشاكل وأعمق الثقافات وهضمها وتحليلها حتى تستقر فى الوجدان ويجرى بها اللسان فى كلمات واضحة مشعة .

البديهة الحاضرة

إن كتابة مندور إهداءات كتب إلى مريديه وعارفى فضله ومكانته من وحى اللحظة التى هم فيها ، لتدل ببلاغة على سرعة بديهة هذا الرجل وسماحته ودعابته الحانية . أتذكر أن الاستاذ صلاح عبد الصبور كان يوما عنده ، وأخذا يطالعان فى جريدة « الاخبار » المعركة الدائرة بين صلاح والاستاذ العقاد حول كتاب صلاح «هكذا يبقى منهج للتاريخ» الذى قدم فيه رأيه فيما سيبقى للتاريخ من العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم ... الخ ، وكان العقاد يسمى صلاح فى هذه المعركة « من هذه » وكان هناك كتاب جديد للدكتور مندور يريد أن يهديه الى صلاح ، فكتب الاهداء هكذا : « إلى من هذه » . وهم يومئذ أن يكتب إهداء لأحد كتبه الى ، فاتفق فى هذه اللحظة أن أبدت زوجته الشاعرة ملك عبد العزيز إعجابها بأناقة ثيابى أو شىء من هذا القبيل فكان اهداؤه (الى ابنتى الرشيقة) ولكن السيدة ملك لفتت نظره الى أن كثيرا من الادباء الاصدقاء

يحضرون كتبه مصر للبيان ... ولكى ... الاهداء (الى ابنتى الحقيقة أدبيا) ... ولكن هو ... فى شخصية الدكتور مندور ... العائلة ... الحديث ... معرفة ... من ... بكل ما فى حين ... وكنت أظن أن هذه الصفة اكتسبها مندور من عمله الطويل فى الاستاذية والتعليم ، ولكن الدكتور لويس عوض يكشف لنا أن طبيعة مندور فى حياته كلها كانت طبيعة معلم وأنه جبل على التعليم وافادة الآخرين ، وذلك فى كتابة (مذكرات طالب بعثة) المكتوب بالعامية ، ثم فى مقالته لتأبين مندور - وعنوانها (وداعا أيها الصديق) والتى نشرت فى الاهرام فى تاريخ ٢٦/٥/٦٥ يقول الدكتور لويس حين إلتقيت فى باريس بمحمد مندور سنة ١٩٢٧ كنت يومئذ فى طريقى الى مقر بعثتى فى إنجلترا ، لازمنى مندور يومين أو ثلاثة ليطلعنى على معالم باريس ! فكان ينتقل بى من السوربون إلى البانثيون إلى الانفاليد إلى نوتردام وغير ذلك من الآثار الباقية ويشرح لى تاريخها ويحلل قيمتها وتوطدت صداقتنا وكنت أزوره فى إجازتى وأستطيع القول أن مندور هو الذى أيقظ فى نفسى حب العمارة والنحت والتصوير حين كان يطوف بى أبهاء متحف اللوفر أو يقف بى بين أعمدة كنيسة المادلين ليشرح لى

الفرق بين العمود الكورنثى والعمود الايونى والعمود الدورى أو يجوس بى خلال نوتردام ودير السانشابل ليروى لى قصة القوس المكسور والزجاج المعشق بالرصاص فى العمارة القوطية أو يحدثنى عن أسس التكوين البيزنطى فى كاتدرائية (السكركير) أو يلوب خيالى بوصف ما رآه من آثار فى الاكروبول وفى سالونيك أثناء رحلته اليونانية (التى كانت فيما بعد سببا شكليا اتخذته الحكومة المصرية مبررا لقطع مرتبه من البعثة لمعارضته لاتفاقية صدقى بيفن) وبغير هذا ما كان يمكن لى أن أربط بين عمارة (التوليدى) وفرساى ولوحات جنسبوره وربنولدز وموسيقى فيفالدى وباخ والدب وانب ين ، عصرا عصرا ومدرسة مدرسة ، لقد خرجت أن عفوات شرح مندور كيف أن باريس تحس حقا بقلب أثينا وتفكر بعقل روما . ويقول لويس عوض بأمانة الحقيقة : (ومن غير مندور كانت باريس حمار وخرجت حمار)

يكتب عن شكوكو !

ومن ذلك نتبين طبيعة تلك السمة التى ميزت شخصية مندور ، إنها الرغبة فى الاعطاء وافادة الاخرين والتى تفرق بين معلم مطبوع ومعلم موظف ، فقد كان (بابا مندور) يبدو عليه الارتياح والغبطة وهو يفيض فى شرح مسألة من المسائل التى تعنى من يستمع إليه ويريد أم يستزيد من علمه فيها ، ويبدو أن استاذية مندور للويس عوض فى نفس لويس بعد ذلك ، فكان كلما تجادل مع مندور يقول له مندور (والله إسئلة !) أذكر يوما من عام ٦٠ انتقلنا فيه من المعهد الى جريدة الجمهورية حيث كان مطلوبا من مندور أن يكتب افتتاحية عدد اليوم التالى (الاربعاء) وبعد أن أملاها على وسلمناها بدل الدكتور لويس عوض ، فسبقه مندور عما تم باجتماعهم مع صلاح سالم (الذى كان رئيس مجلس ادارة دار الجمهورية) حول اصدار مجلة (الكاتب) التى كان من المفروض أن يرأس تحريرها د . لويس عوض ، وعن المبالغ التى تمت الموافقة على رصدها لها ، فقال له لويس عوض : لقد تم كل شىء على ما يرام ورصدوا مبلغ مائة جنيه لاصدار المجلة . عندئذ نظر

له مندور بتعجب وقال (والله إنت . .) هل تكفى مائة جنيه لاصدار مجلة فأردف لويس عوض قائلا إن هذا المبلغ للكتاب الذين يكتبون من خارج الدار فقط . حيث تم الاجماع على أن تصدر المجلة (الكاتب) عن جريدة الجمهورية بحيث تطبع فى مطابعها ويحررها كتاب الجمهورية فأخذ مندور يسخر من ذلك ويستعرض للويس إمكانيات كتاب الجمهورية فى ذلك الوقت . مبينا الخصائص الفكرية فى كل منهم ثم توقف عند كامل الشناوى رئيس التحرير وقال (ماذا سيكتب سى كامل فى مجلة الكاتب ؟ محفوظات ؟) ولا تعنى عبارة مندور عن كامل تقليلا من شأنه أو عدم احتفاء بشعره ولكنها ربما كانت إشارة الى ما بينهما من مشاكسات حيث كان كامل الشناوى باعتباره رئيسا للتحرير يقدم لمندور مقترحات فى شكل كتابة موضوعات جادة وهو يقصد منها المداعبة والتظرف . بينما كان مندور يأخذ الامر مأخذا جديا فيلتقط المقترحات ويحيلها الى موضوع جدى يخرج منه بأشياء طريفة وأصيلة تفوق ما قصد منها فى البداية

اذكر يوما كلفه فيه كامل الشناوى بإجراء لقاءات ثلاثة فى مقال واحد مع زوجته الشاعرة ملك عبد العزيز ومع توفيق الحكيم ثم مع المونولوجست شكوكو وهنا جانب الدعابة . وقد أخذ مندور الامر بجدية تامة . وأجرى هذه اللقاءات الثلاثة . فخرج بلقائه مع ملك بنظرية الشعر المهموس أما لقاؤه مع الحكيم فلم يتم فى الواقع بل فى الخيال حيث أن توفيق الحكيم كان كلما ضرب موعدا لمندور فى دار الكتب أو فى جريدة الاهرام يذهب مندور إليه لا يجده . لذلك قال لنفسه أخيرا . وماذا ننتظر من رجل صفته إخلاف الوعد . ثم ما هو الجديد الذى سيقوله توفيق الحكيم . إن فكره قد توقف عند التعادلية وزمن الفهم ، وزمن الرواية . واللغة الثالثة ولعبة الازمان القديمة منذ عالجها فى سنة ٣٣ فى (أهل الكهف) وهى قضايا بعيدة عن الناس . إننى أستطيع توقع كل اجاباته على كل ما كنت سأوجهه له من أسئلة كنت سأسأله عن كذا فيجيبنى بكذا . . الخ . وهكذا كتب اللقاء المتخيل مع الحكيم . . أما حواره مع رجل التلقائية والفن المحبوب شعبيا (شكوكو) فقد أجراه فعلا فى لقاء شخصى تم بينهما فى مسرح العرائس الذى كان شكوكو أول من أنشأه فى مصر فى ذلك الوقت خرج منه مندور بالسر الكامن وراء هذا الفنان المصرى الوحيد الذى كان له تمثال شعبى يشتريه الاطفال فى الاحياء الشعبية واكتشف مندور أن هذا السر يكمن فى أن شكوكو لم ينافق السلطة ابتداء من عصر الملكية وامتدادا الى عصر الثورة وعهد الجمهورية . بل كان على العكس يعبر عن روح الشعب المصرى فى السخرية لدرجة انه قد قلب الاغنية التى شاعت فى أيام الثورة الاولى (مخلاص اتعدلت والحالة اتبدلت) الى (مخلاص إتقلبت . والحالة اتبهدلت) يكاد شيئهما أن أوقف فترة عن الغناء .

وقد أحب كامل الشناوى المطالبة بهذه المصالحة [illegible] الموضوع الذى [illegible] أن يكون سقفا [illegible] لمندور [illegible] بهذا المقال [illegible] . وربما كانت [illegible] الشناوى ومندور [illegible] والحب . وأذكر من ملامح هذه الصداقة الرائعة التى تدل على تقدير مندور العميق فى صديقه كامل الشناوى وتفهمه لطبيعته : فقد حدث حين مرض كامل الشناوى مرضه الاخير وأدخل مستشفى قصر العينى . تحير مندور فيما يمكن أن يأخذه له كهدية . ولأنه يعرف أن أصدقاء كامل كثيرين لأنه قد عطروا ردهات المستشفى بالزهور وملأوا الحجرة بالحلوى اختار أن تكون هديته لكامل زوج من عصافير الكناريا . لتؤنسه فى وحدته عندما ينفض منه الاصدقاء ويبقى بمفرده ليلا يالها من فكرة شاعرية وإنسانية متفهمة لطبيعة كامل الشناوى الشاعر والانسان معا . لقد كان كامل الشناوى . كما ذكر عنه يوسف الشريف فى كتابه (سيرة حياة كامل الشناوى آخر ظرفاء العصر . .) لا يحب أن يقضى الليل منفردا وكان هذا الزوج من الكناريا بالفعل هو ما تبقى لكامل فى لياليه الاخيرة . . وهذا يذكرنا بببغاء كزانزاكس الذى بقى مع شخصية فيفا تورتليو بطلة قصة زوربا اليونانى حتى آخر حياتها .

مندور
هو الذى
أيقظ فى نفسى
حب النحت
والتصوير

ـ ثروت عوض

[illegible]

كان مندور صاحب صدر يتسع لكل المداعبات التى تصدر عن الكتاب تجاهه . . (أ) هو نفسه كان يصدر المداعبات فى مجلسه وكتاباته . . أذكر يوما نشر مندور مقالا ضمنه رسائل تأييد له عن مقال سابق . فما كان من الكاتب الساخر محمود السعدنى إلا أن أفرد للدكتور مندور طرمة فى مجلة صباح الخير . . لمداعبة مندور سابقا من هذه المقالة . . قائلا لمندور إنك تنشر رسائل القراء . . وكأنك تقول (جامعة كفر البطيخ) فى دولة ليبيا تؤيد مندور على مقالته . . أو أن (كرسى الطايط) يهنىء مندور على مقالته القيمة . . عشرات من النكت المرسومة والمداعبات المنثورة . . مشتملى على طرافتها المضب على السعدنى بل اكاد أقاصمه . . وفى يوم كنا خارجين مع مندور من دار الاذاعة بعد تسجيل حديث فلمحت السعدنى من بعيد . . ولم أوجه برأسى لأحييه ولكن مندور لمحه فسألنى اليس القادم من هناك هو محمود السعدنى . فأومأت بنعم وبنيتى إعلان مخاصمتى ففوجئت بمندور ينادى السعدنى ضاحكا ليسأله (ولد يا محمود أما زال كرسى الطايط يؤيدنى) وتعجبت من ضيق صدرى ورحابة صدر مندور تهلل محمود وجاء يصافح مندور وهو منشرح لعفوه عنه . فاحتضنه وقبله والتفت يصافحنى فقلت ليس قبل أن تقبل يد والدنا بابا مندور . . فوضع يده على يد مندور وصاح قائلا : يا ناس ياللى فى الاذاعات العربية والعالمية هاهو محمود السعدنى يقبل يد عمه العظيم محمد مندور . ثم قبل يده .


كامل الشناوي


صلاح عبد الصبور

جامعة كفر الطيخ في دولة الكويت - تونيك - مسندور على مقالته


د. علي الراعي


أحمد عبد المعطي حجازي

ماذا منيكتب سى كاملا في مجلة الكاتب - ؟ محفوظات !؟ لماذا ثورت أيها الشاب بهذه الحدة والاستهانة بالقضية ؟ يايوسف .. لا تجعل الخلاف في الرأي يفسد للود قضية







ملك عبد العزيز

د. محمد برادة

[illegible]

بالفرنسية دقيقة بحيث استدعت استعماله لعدسة مكبرة مع انه يلبس النظارة .. واستمرت هذه العملية اكثر من ساعة .. ووجدت انها تتطلب جهدا ومشقة مما لا يتناسب مع الذبحة الصدرية اللعينة التي اصابته .. ولحسن الحظ دق جرس الباب ودخل الدكتور على الراعي ليعوده فتنفست الصعداء لاننا سنترك القراءة المرهقة لفترة .. وسأل مندور على الراعي : ماهي اخبارك عندكم – يقصد في وزارة الثقافة – يقال الدكتور على الراعي بواقعيته المفرحة : اليوم صدرت توصية بالا تظهر صورتك في التليفزيون أو صوتك في الاذاعة .. ثم غادر الدكتور على بعد فترة .. ولكي انسيه التفكير في هذه الافكار المزعجة اقترحت عليه إستراحة اقرا له فيها صفحات الجرائد والمجلات واغفلت عن عمد مطالعة مجلة الاذاعة .. فقد كان بها موضوع تحت عنوان (لا يادكتور مندور) لمحمد جلال .. فتصورت من هذا العنوان أن المقال يهاجم بابا مندور في وقت هو احوج ما يكون فيه الى التأييد والرعاية ولكنه اصر على أن اقرأها وما أن بدأت في قراءة هذا المقال حتى وجدت الكاتب يطالب الدكتور مندور بانه (يلس) من اصلاح المسرح الكوميدي ويتعجب من أن كلمة (يلس) الغريبة على قاموس مندور قد وردت على لسانه وهو الذي خاض اشد المعارك واعنفها ضراوة ضد الامتيازات الاجنبية في مصر .. وضد معاهدة صدقي – بيفن ومع الوفد تارة وضده تارة اخرى وفي كل المجالات الادبية والاقتصادية .. ويدعوه محمد جلال في آخر المقال للمضي في طريق النضال ويناشده بالاصرار عليه ..

الايام الاخيرة !

[illegible] مندور واسمت [illegible] على [illegible] .. وتذكرت بابا مندور يقوله عن نفسه [illegible] الكرة كلما اشتد [illegible] .. [illegible] الى [illegible] .. [illegible] القصص والروايات التي [illegible] (الهجوم على المتكرر) ورغم هذه العبارة المتفائلة إلا انها كانت متناقضة مع ما يشعر به من دنو الاجل .. وما كان يقوله من تلميحات عن موته .. فطوال هذه السنة الأخيرة كنت عندما اعود معه الى منزله ونجد بالصدفة سرادقا يلفت الى مداعبا الا تلاحظين أن سرادق المتوفي يقترب من شهر الى شهر نحو منزلي .. الظاهر المأتم القادم سيكون لي .. كنت افزع من هذا الخاطر الذي .. ألم به واضرب الارض بقدمي واجهش بالبكاء .. ويضحك هو مواصلا سخريته المرة .. فيغيظني قائلا (إن ابو طواقة اسم مدافن عائلة مندور في قرب منيا القمح) تناديني بإعادة ..

ولكن اجعله يكف عن هذه الفكاهة السوداء .. كنت اقول ساكتب موضوعا عن دراما حياة مندور التي بدأت بحلم الطفولة في أن يكون وكيلا للنيابة ثم انتهت بالعمل بالسياسة .. ثم بالفن .. وسأنهيه بقولي وهكذا بدأ مندور علمانيا وانتهى قدريا فيضحك لكلامي ويحاكيه بسخرية محببة ..

وبعد أن قضيت معه جزءا من مساء هذه الليلة الأخيرة .. غادرته منقلبة حتى اتركه يستريح .. وما إن وصلت الى بيت صديقة تجاورني في السكن أبثها شجني واسأى على ما استشفه من خطورة حالة بابا مندور الا والحى الصغير يلحق بي ليخبرني بالكارثة التي وقعت بغروب شمس بابا مندور .. لا اشعر كيف جريت في شوارع الروضة حتى وصلت الى منزله ولا كيف انهرت على جثمانه باكية .. وكل من حولي يرشدني لأن التعبير عن الحزن بهذه الطريقة لا يجدي .. والقاموني لاستند على جدار .. ومازلت بجانب هذا الجدار الى يومنا هذا .. لقد كان مندور وحده هو الذي يبدد امثك مشكلاتي ويجعلني أرى النجوم .. ويشرق في نفسي الآمال .. كنت افزع إليه وقد اظلمت الدنيا في وجهي واحاطت بي مشكلات الحياة .. واخال انها تخنقني كأخطبوط وبعد لحظات مع مندور لا اكثر .. يكون هذا الهم قد انزاح عني .

لقد كنت يوم حدثت هذه الفاجعة اعمل مع نجيب محفوظ في لجنة قراءة مؤسسة السينما .. وكان يعرف شدة ارتباطي بمندور .. فاداني ليسألني عن ظروف وفاته وهو مازال في سن السادسة والخمسين .. فحكيت له عن اصابته بالذبحة .. وماكان يفعله ويمارسه خلالها من نشاط .. وما تصل اليه من الفعل صراعاته الادبية والرسمية .. فقال نجيب محفوظ متحسرا !! لقد عالجتم الذبحة كما لو كانت انفلونزا !!

ومن العجيب أن تمر كل هذه السنوات الطوال على وفاة مندور ولا يتذكره بعد طول نسيان أحد من مفكرينا ودارسينا الاكاديميين في مصر أو المشرق العربي بدراسة متوسعة .. ولكن الله يهيىء له شابا من خيرة مثقفي المغرب ليهب سنوات شبابه في اعداد رسالة الدكتوراه عن مندور ويسجلها في جامعة السوربون ويحصل عليها بتفوق .. ذلك المثقف الشاب هو الدكتور محمد برادة وكانت رسالته بعنوان محمد مندور وتنظير النقد العربي .. وقد نشرتها مؤخرا دار الآداب البيروتية ..

عايدة الشريف

دعوة إلى التخلف بدعوى المحلية

محمود زكي

● أي مسرحي إقليمي أن الاستغراق في المحلية يؤدي إلى العالمية
● العالمية تأتي من معالجة قضايا الإنسان بهمومه وعذاباته
● موليير وشكسبير لم يكتبا لشعبيهما فقط .. وإنما لكل الناس
● كاسك يا وطن .. لا تنتمي للمسرح السياسي ولا المسرح التقليدي

صورة من مسرحية «كاسك يا وطن»



دريد لحام



فاجأني حقا ما سمعته من الفنان دريد لحام في لقاء تليفزيوني قبل بث ما يسمى بمسرحية (كاسك ياوطن) . فقد وجهت مذيعة اللقاء سؤالا عن رأيه في كيفية الوصول بالفن المسرحي الى العالمية ؟ فقال إنه يجيب بأن الاستغراق في المحلية يؤدي بنا الى العالمية . ويضيف قائلا : إننا يجب ألا نقدم أعمال شكسبير أو موليير لأن شكسبير كتب مسرحياته للانجليز ، وموليير كتب للفرنسيين .

واود هنا كرجل مسرح أن أقول إن الاغراق في المحلية ـ بالنسبة للفن المسرحي ـ ينقسم الى شقين : شق خاص بالشكل والثاني بالمضمون . فمن ناحية الشكل فإن المحلية تعني استخدام اللهجة العامية كأسلوب للتأليف المسرحي في كل قطر عربي . والحقيقة المؤكدة أننا نحن أبناء الوطن العربي الواحد نجد صعوبة بالغة في فهم اللهجات العامية لأبناء الأقطار الشقيقة الأخرى .

إذن كيف نستطيع أن نصل الى العالمية باللهجة المحلية ؟

أما من ناحية المضمون فما يطلبه هذا الفنان معناه أن نستغرق في معالجة قضايانا ومشاكلنا المحلية (ولا أقول القومية) وهي بلا جدال كثيرة ومتعددة ومتباينة على طول الوطن العربي . فما يعتبر مشكلة معقدة في بلد ربما يكون سببا من أسباب الرخاء في بلد آخر .

إذن كيف نستطيع أن نصل الى العالمية بمعالجة قضايانا المحلية ؟!!

إن العالمية لا تأتي إلا من خلال معالجة قضايا الانسان بهمومه وعذاباته في أي زمان ومكان . وإذا كنا فعلا جادين في الوصول الى العالمية فلنحاول أن نقتحم قضايا ومشاكل الانسان المعاصر وهي ـ بلا شك ـ عديدة في هذا العصر المادي الذي يلهث فيه الانسان وراء لقمة العيش .

واختلف مع دريد في مفهومه عن موليير وشكسبير فهما لم يكتبا لشعبيهما فقط بل كتب موليير في النقد الاجتماعي والمظاهر الاجتماعية السيئة . فأين المحلية في « البخيل » أو « مدرسة الزوجات » أو « المتحذلقات » . وشكسبير كتب للانسان وعن الانسان أينما وجد وهذا ما جعل شكسبير واحدا من أعظم كتاب المسرح في التاريخ . فأين المحلية في « هاملت » أو « ليدي ماكبث » أو « الملك لير » أو « روميو وجولييت » . يقول المخرج الفنان سعد اردش في كتابه (المخرج في المسرح المعاصر) :

« إن مأساة هاملت ليست مأساة موقوتة بزمانها أو مكانها ، إنها تمسنا لأنها ما تزال تعبر عن كثير من قضايانا المعاصرة ولهذا يجب أن نبحث عن الطريق الذي يجعل دراما هاملت معبرة عنا أي نقلها من مناخها التاريخي الى المناخ المعاصر » .

ويؤكد الفنان دريد لحام أن مسرحه مسرح سياسي فلنحاول أن نتعرف في سطور قليلة على مفهوم المسرح السياسي كما وضعه مؤسسا المسرح السياسي في العصر الحديث وهما الألمانيان اروين بسكاتور ، وبرتولد بريخت . فهما يتفقان على أن المسرح السياسي يجب أن يستفز المتفرجين إلى المشاركة الإيجابية في إصلاح العالم وذلك بطرح الحقائق التاريخية والمعاصرة وتحليلها . أما على مستوى مضمون العرض المسرحي يجب ألا يكتفي المسرح السياسي بعرض الأحداث الفردية بل يتخطى ذلك الى تحليل انعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية والى تقرير كافة الوقائع التاريخية المتصلة بها بشكل ينقل الصورة الدرامية الى الحدود والآفاق الملحمية .

فلو طبقنا هذا المفهوم على ما قدمه دريد في آخر أعماله المسرحية (كاسك ياوطن) فإننا لانجد أية لمحة تشير من قريب أو من بعيد الى هذا المفهوم . إن هذا العمل لا ينتمي الى عائلة المسرح السياسي . فالى أية عائلة مسرحية ينتمي ؟ فلنبحث في انتمائه الى عائلة المسرح التقليدي (الدرامي) .

يقول بريخت عن المسرح التقليدي :

« إن المسرح التقليدي (الدرامي) يخاطب عواطف الجماهير ويستهلك طاقاتها الكفاحية عن طريق تحقيق تنفيس الشفقة والتطهير » . وبرغم أن مخاطبة عاطفة الجماهير واستهلاك طاقته الكفاحية هو الشيء ما ترمي إليه مسرحية كاسك يا وطن إلا أنها لا تبلغ حتى أن تكون مسرحا تقليديا . لأن المسرح التقليدي (الدرامي) يجب أن يتبع في بنائه الدرامي القاعدة الارسطية (بداية ووسط ونهاية) هذا بالاضافة الى الوحدات الثلاث (الحدث والزمان والمكان) وهذا ما لا أثر له فيما يسمى بـ كاسك يا وطن . فلا بداية ولا وسط ولا نهاية ولا أية من الوحدات الثلاث وذلك لسبب بسيط هو أنه لا يوجد أصلا بناء درامي .

كاسك يا وطن تتكون من ١٠ لوحات منفصلة من الممكن جدا إلغاء عدد من هذه اللوحات ـ وقد حدث ذلك بالفعل عندما عرضت « كاسك يا وطن » في الدوحة فقد قدمت في ٨ لوحات فقط ـ كما يمكن تغيير ترتيبها عرضيا دون أن يتأثر العمـــل .

إذن نخرج بنتيجة هامة هي أن هذا العمل لا ينتمي الى عائلة المسرح السياسي كما لا ينتمي الى عائلة المسرح التقليدي .

إن هذا العمل الذي قدمه دريد لحام لاينتمي الى أي عائلة مسرحية ذات حسب ونسب وانما يمكن اعتباره ابن غير شرعي لعائلة ما يسمى بالكباريه السياسي ـ ينتمي الى هذه العائلة أيضا مسرح تحية كاريوكا وفايز حلاوة في مصر ـ وهذا النوع من المسرح لا يهدف إلا لهدف واحد هو تفريغ الشحنة التي تعتمل داخل صدر المتلقي بأن يجعله يرى كل الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية في صورة كاريكاتورية هزلية ساخرة تجعله يشعر أن المعلم قد نبش بسبب ردود الأفعال لديه فيخرج المتلقي من المسرح متوهما أن هناك من سيدافع عن قضيته الفكر حماسته وهذا ما يعرف بالتطهير .

المشى على الصراط

رواية علمية تأليف: د. يحيى الرخاوي

عرض وتحليل: أبو المعاطي أبو النجا

من الذي يمشي على الصراط ... البطل ... هو شخص واحد أو عصابة من ... [illegible]

مقدمة

[illegible]

الواقعة

[illegible]

من الشخص الآخر؟

[illegible]

التداعية

[illegible]

الذي يدعوه مرة والذي يدعوه المؤلف أزمنة — يواصل النداء بصوت له سحره الخاص، صوت كالذي نسمع عنه في حكايات الجدات في (النداهة) التي [illegible] عند [illegible] لتفتك بهم، وتسلبهم، النداهة، صوت عزيز أو حبيب لا يقاوم حتى تكتمل الخديعة ...

هذا الصوت يتلبسه لكي يحفظ السر، عن زوجه، عن الطبيب، عن [illegible]، عن الدنيا كلها. وكلما [illegible] حتى [illegible] حتى ليجب أن يصرخ في [illegible] كلما [illegible] الصوت حتى في [illegible] نوعا من الإغراء لا يقاوم ليبقى سرا ...

تتواصل عند [illegible] بعيدا عن كل الناس بحجة أن هذا هو الطريق [illegible] ... لكن حتى إذا نجح في أن يحفظ السر، في أن يغلق فمه إلا عن الهمس والنجوى .. فمن يمنع الشخص الآخر الذي يصر على أن يعلن عن وجوده بكل الطرق ..

وهذا ملمح وجها آخر للأزمة ... فالخضوع لطلبات الشخص الآخر بحجة الرغبة في إخفاء أمره يمكن أن يصبح دون أن يدري طريقا لفضح هذا الأمر.

لكن الفضيحة المحتملة والمؤجلة تهون [illegible] مرة من الفضيحة المؤكدة لو [illegible] حقيقة الشخص الآخر الذي يسكن في داخله.

الهروب في طريق الآلام

أيمكن أن يعقد معاهدة مع الشخص الآخر تكفل لكل واحد منهما نوعا من الوجود ... قدرا من السلطة وتحديد الاختصاصات ..! أليس هذا ما تفعله الحكومات الائتلافية حين تواجه خطرا خارجيا ... ؟ أو ثورة داخلية ...!

وتنجح الحكومة الائتلافية في تأجيل الانهيار [illegible] كان واضحا أن .. عبد السلام المفتي .. يسير [illegible] في خطى واضحة

وتنجح أكثر في الكشف عن طبيعة الأزمة التي يمر بها .. عبد السلام المفتي ..

فهو الشخص الآخر الذي كشف بوجوده عن أعراض الأزمة [illegible] يكشف عن [illegible]

[illegible] الذي كان يراه مجرد [illegible] ومتوحد ومستقل [illegible] .. [illegible] لمسائله بحيرة [illegible] ..

— [illegible] يا [illegible] غريب ؟

وحين يجد أن [illegible] يمضي وقته في القراءة لا يزال يبحث عن إجابة لهذا السؤال، ويرد عليه بحيرة مماثلة :

— لا أدري يا [illegible] عبد السلام ..

يصرخ فيه : [illegible] يا غريب .. ويهاجر غريب [illegible] ..

— تحاورني عشر سنين .. [illegible] بلا استئذان لتشغل حيزا [illegible] .. فما الذي تريده ؟

— إلى متى ستظل يا غريب ؟

— حيالي انتهت إلى هذه الوقفة المتوازنة .. [illegible] في الكتب علا في أن أجد إجابة لمثل سؤالك .. أتعلم من تجربة الآخرين علا من أن أحاول من جديد ..

— ليس المهم ما عرفوه ... بل كيف عرفوه ؟

وتفوق حيرة عبد السلام المفتي من دهشة [illegible] غريب منه ... [illegible] أنه هو الذي [illegible] هذا الحوار مع غريب .. [illegible] الشخص الآخر الذي كان يسأل ... نعم بل [illegible] كان يوجه السؤال إلى عبد السلام المفتي

تلك هي نهاية [illegible] لما يريده الشخص الآخر وسواء أكانت في الواقع أم في الوهم فإن الشخص لن يرضى بأقل من الإعلان عن وجوده [illegible] أن يكون شخصا واحدا هو الذي يطالب ذلك كله .. ! يسأل عن معنى الحياة عند [illegible] الأستاذ غريب ويطلق زوجة وزميلة .. ! ويجري وراء طفلة في سن أولاده .. ويحاول تقبيل [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] كيف يتحدد [illegible] [illegible] هذه [illegible] [illegible] بينهما هو أن كل واحد منهما [illegible] مفاتيح ذلك العالم [illegible] الداخلي بكل ما في الوجود من حياة .. وأنها حين تهجره [illegible] لا يبقى في رأسه سوى ذلك [illegible] الذي [illegible] عن [illegible] وتنطفئ حتى نجوم السماء ..

هو وحده الذي يحدث له ذلك أم أن جميع هؤلاء الناس تسكنهم [illegible] مماثلة ولكنهم [illegible] معها معاهدات [illegible] ..!

وفي كل مرة يوشك فيها أن يقترب من أحد [illegible] صوت .. النداهة .. [illegible] جديد [illegible] هو حال الجميع [illegible] لكل واحد أكثر من حياة ..! الجميع يخفون [illegible] الاستخفاء .. الحياة الاجتماعية تمثيل في تمثيل ..!

والمشاكل تتصاعد في المنزل، وفي العمل [illegible] الأمر برئيسه الأستاذ [illegible] [illegible] بنصحه في لهجة بين التهديد و[illegible] [illegible] مصلحته ألا يعرض نفسه [illegible] ويزيد الأمور [illegible] له [illegible] في التحليل النفسي .

وحين يصل الأمر إلى [illegible] أن ما كان [illegible] سرا لم يعد سرا .. وأن الأمر قد يصل إلى [illegible] [illegible] فإنه يذهب [illegible] إلى عيادة الطبيب الذي ذكره له رئيسه في العمل ..

ولأول مرة وهو في الطريق إلى عيادة الطبيب .. وهو في انتظار موعده في مقهى قريب .. يشعر [illegible] غريب في [illegible] وكأنه لم يعرف [illegible] قط ..

[illegible] [illegible] الائتلاف الحاكم في رأسه [illegible] معا في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن المسألة كلها مجرد [illegible] في توزيع [illegible] .. ويقدمون [illegible] على قدرتهم [illegible] على أن يعملوا معا [illegible] وهو في حجرة الطبيب، وهو [illegible] على [illegible] .. [illegible] على أسئلة الطبيب [illegible] كيف يسخر في صمت [illegible] الجوانب الاقتصادية [illegible] وآخر يناقش الجوانب الاجتماعية ... ولكن عبد السلام المفتي [illegible] ذلك [illegible] الذي كان [illegible] وكان الطبيب [illegible] [illegible] من [illegible] قطع [illegible]

.. عندما تكون [illegible] الرغبة في العلاج [illegible] في الانتظار وستعد [illegible] في [illegible]

.. على مشكلة آخر العلاج

ولا يعود .. عبد السلام المفتي .. مرة أخرى لعيادة الطبيب [illegible] الأستاذ .. [illegible] الصادق .. لا يكف عن سؤاله عن [illegible] العلاج .. [illegible] الائتلاف الحاكم [illegible] جديد في الانتقام من .. [illegible] عبد الصادق [illegible] .. ويكلف [illegible] من خلال [illegible] [illegible] عن أن [illegible] الذي ليس سوى [illegible] للتحليل النفسي ... ويمضي في الانتقام [illegible] عبد السلام المفتي [illegible] دعوة [illegible] [illegible] كيف تكون الحكمة في [illegible] للأستاذ [illegible] .. ويأبى عبد السلام [illegible] صورة [illegible] الزهور [illegible] .. [illegible] الآلة .. [illegible] كما يبدو من المشكلات ولكنها [illegible] [illegible] من [illegible] والحيوية .. الأب والأم والأولاد

كل يؤدي دورا في مسرحية باهتة ، ويخرج من البيت وكأنه كان في زيارة لمقبرة عصرية ... وهنا يكشف المؤلف عن بعد جديد في ازمة عبد السلام المشد ، انه يواصل الهرب من العلاج ولكنه يكشف من خلال ذلك عن تطلعه لمستوى أرقى من التكيف لا يعرف كيف يصل إليه ولكنه لا يرضى بما هو دونه تكيف يتجح في الجمع بين الملائكة والشياطين في عالم نابض وناطق ومليء بالحياة ... ولكنه لا يفعل سوى ما يباعد بينه وبين هذا العالم ، كأنه يهرب مما يريده في الوقت الذي كاد يتعرف عليه فيه .. مأزق جديد ... وتناقض مروع يكاد يفتك به ، وهو يمضي ممعنا في وحدته وحيرته واستسلامه لإفراد العصابة التي تضم الملائكة والشياطين ، ويكتشف عن وحدة مصيرهم ، بأيديهم على إشباع عالمه بألوان الطيف وموسيقى الوجود ، أيمكن ان يكون صحيحا أن تنتمي الملائكة والشياطين لمصير واحد ؟ وان يكون الوجود بلا ملائكة وشياطين يعملون معا وفي تناسق هو وجود راكد خامد لا يصلح الانسان فيه إلا لنسيان اسمه ؟

الزيـــارة

لم تكن هذه الزيارة من الشخص الاخر ، ولا من احد افراد عصابته . كانت من ابن خالته «عبد ربه» الذي جاء من قريته في اعماق الصعيد ليذكره بما يبدو انه نسيه بأن له اما عجوزا يجب ان يسأل عنها ، لانها مضت كبيرة والاعمار بيد الله .... .

ويذهب عبد السلام المشد كما تعود ان يذهب الى قريته منذ سنين ولكنها اول زيارة له بعد ان وقعت الواقعة ...

ان كل شيء يبدو على حاله ، انهم يسألونك عما يعرفون سلفا اجابته عنه كأنما ليطمئنوا اكثر الى ان شيئا لم يتغير ... لكل دور ، ولكل دور ميقات ، لا شيء وقد تغير ، هو وحده الذي قامت قيامته بعد ان ادركه الزلزال ، وانقسم الى اثنين ثم الى ما لا يدري ...

القيامة هنا لا يمكن ان تقوم إلا مرة واحدة يموت فيها الناس جميعا ، ويبعثون معا ، فالذي يحمي هؤلاء الناس مما اصابه ؟ هل تحميهم كائناتهم وعقائدهم وتسليمهم وقسوتهم وتسامحهم من الاسئلة والزلزلة ؟

هل اصابه ما اصابه لانه انفصل عن هذه الكتلة فانفردت به عصابة الملائكة والشياطين بقيادة الشخص الاخر ؟

وهل يجد سلامه وأمنه في العودة الى هذه الكتلة والفناء فيها ؟

هل جاء وحده حقا لزيارة امه ام تسلل معه الشخص الاخر ؟ كأنه يرى كل شيء هذه المرة بعينيه ... في المرات السابقة كان يؤدي دوره المرسوم بدون اسئلة كان يعرف طريقه وسط هذه الكتلة ... كيف يدخل فيها ويخرج منها ؟ محملا في الحقيبة بزيارة من امه يفرح بها الاولاد ، في هذه المرة يجد امه جالسة على السطح تنظر الى الشمس الغاربة نظارة طول الوقت حشرة صغيرة في ثيابها ... ولا تتأكد من انه هو حتى يشرق وجهها بنور إلهي وتكف عن مطاردة الحشرة ... وتسأله عن أولاده واحواله سؤالا عقليا ... كان كل ما يهمها ان تطمئن هي عليه ... وها هي تطمئن بمجرد رؤيته ... وقبل ان تسمع اجابة على سؤالها

شيء واحد طلبته منه ... قبل دفنها ... ان يذهب لزيارة ابيه !

دائما تذكر اباه كلما رأته ... إنه جزء من هذا الاب الذي مات وتركها من سنين طويلة ثم بقيت هي ...

اي قوة تحفظ على هذه المرأة حياتها ؟ هل تكمن هذه القوة لمجرد صدفها للبقاء على قيد الحياة بدون هدف مفهوم سوى صراع الموت لآخر لحظة .

ترى هل هذا هو الحل ... ان نبحث في اشياءنا بمثل هذا الاستسلام الجلد بدلا من البحث في طوننا بلا جدوى !

ويمضي الى زيارة ابيه في مقبرة ... الى اهل قريته حيث يفتحسين اكوام الحد الذاكش ... ويتأكد ان هذه المرة انه لم يجره وحده ابدا فان الشخص الاخر هناك في ... الذي هو الذي يحمل من ... الذي ... .

وفي ... يكشف المؤلف عن جوهر رؤيته الروائية في اعماق عبد السلام المشد الذي ... ليسأل اباه عن معنى حياته ومعنى موته بعد ان عرف الموت والحياة معا ...

ها ليتأكد من ان طريق ابيه الى الله لم يعد طريقه وان مجرد الاذعان والتسليم لا يمنحان امنا ولا سلاما ولا فردوسا حقيقيا او وهميا ...

ها ليتأكد من انه لم يعد له مكان بين اهل قريته الاحياء او الموتى ... ها ليكتشف ان اهل قريته لا يرضيهم اقل من ان يصبح جزءا من كتلتهم متنازلا عن كل وجوده في مقابل ان تمنحه امنها وسلامها بالغاء هذا الوجود ....

ها ليكتشف انه حتى هذه الكتلة لها طريقتها الخاصة في عقاب اولئك الذين يتمردون عليها.. إنها تنفيهم عنها ... دون ان تلقي بهم في اعماق المستشفيات العقلية ... ودون ان تصمهم بالجنون او تلبسهم قميص الكتاف الابيض ... فهي تنفيهم نفيا عبثا في كون الله الرحيب .. تسميهم احباب الله .. يخرجون منها ويعودون إليها ، ابوابها وأسوارها وقليل من طعامها مبذول لهم بلا حساب او عقاب ....

هل يقبل هذا مكان ؟

الحاضر يطرده الى الماضي ، والماضي هذه المرة يطرده الى المجهول فحين تتمزق الصلاة بين الماضي والحاضر يسقط المستقبل من تحت اقدام الساترين ولا يبقى سوى ظلام اليأس ...

التمرد الأخـــير

ماذا يعني ذلك يا عبد السلام يا مشد ؟ لقد عرفت العجز عن التفكر ... ورأيت في داخلك شخصا اخر او عدة اشخاص ... تسالحتم حينا وتخاصمتم في اغلب الاحيان ... ولمست السماء وغصت في الجحيم والمست بشيء الى امل تملكه الوحوش والافاعي ... وبهار اصبحت لا تملكه ... وحين رأيت اجمل الاشياء في الدنيا الصدق والحب ، رأيتهما صرعين في الوحل والعجز ، وحين سمعت موسيقى الحياة والوجود ورأيت وجه الدنيا مثلما خلقها الله بألوانها وروائحها واصواتها لم يحدث ذلك إلا حين انطلقت امرك لعصبة من الملائكة والشياطين بقيادة من لا يريد اقل من السلطة الكاملة ؟ يفعل بها ما يصطدم بكل شيء ، وبكل احد

ايمكن ان تكون تلك هي البداية يا عبد السلام ؟ بداية النهاية بداية استيلائه على السلطة الكاملة ؟ بداية عجزك الكامل ؟

كان من الممكن ان تخفي لبعض الوقت عن بعض الناس عجزك عن السيطرة على عقلك وشعورك اخفيت ذلك حتى عن زوجتك .... ولكن كيف تخفي عنها الآن عجزك

كيف تفسر لها عجزك في كل مرة ؟

كيف تعترف لها بأن هذا العجز لا يحدث إلا حين تكون معها هي ؟ ...

وما معنى سكوتها حتى الآن عن هذا الامر ؟ والى متى يبقى هذا الصمت الذي يعذبك بأكثر مما يعذبك عجزك ، ولكنها لم تسألك طويلا يا عبد السلام ... ها هي تلمح بالمشكلة بل ها هي تحرج بالحـــل ...

نهاية المسيرة

بهذه الواقعة كان عبد السلام المشد يشعر بأنه قد شارف النهاية ... لم يعد هناك مكان او شخص او فكرة يمكن ان يهرب اليها ....

عقله وجسده كلاهما لم يعد يعمل لحسابه فكيف يستطيع الحياة بهذا القدر من التمزق ... ؟ بهذا القدر من تنازع السلطة والولاء ؟ من انعدام الهدف واختفاء الطريق ؟

وفي توافق ناهد بمزج الكاتب بين الفوضى الضارية في نفس عبد السلام المشد ، وبين القلق العارم الذي كان يموج به الشارع المصري

قبيل ٦ اكتوبر حيث يبدو الشارع المصري وكأنه صورة مكبرة لما يحدث في نفس عبد السلام المشد ... ويتلاقى الحدثان في لقطات سريعة متلاحقة بين عبد السلام وبين مجموعات الشباب الثائر في ميدان التحرير ..

ويبدو عبد السلام وكأنه امام لحظة استجمار هائلة وان نفسه توشك ان تنفجر او تلتئم ... فها هي القيامة تقوم هذه المرة في بلده كله ... وها هو يرى ان الازمة ليست ازمته وحده ... ولكن هل يستطيع وحده في عمق ازمته ان يدرك الخيط السري بين الفوضى الضاربة في اعماقه ، والفوضى الكائنة حوله ... واذا كان مجتمعه قد امكنه ان ينقذ هذه الفوضى الى حدث كبير يوم ٦ اكتوبر فهل ينجح عبد السلام المشد ان يسيطر على فوضاه وينظمها في سلوك يصل به الى التكيف الارقى الذى يتطلع اليه ولا يعرف طريقه ؟

ويذهب الى الطبيب النفسي الذى نصحه طبيب الامراض التناسلية بان يذهب إليه .

ولاول مرة يعترف له بكل شيء حدث له او منه وكان يعتقد انه بذلك قد ادى مهمته وما على الطبيب إلا ان يعالجه من كل شيء ... وبطريقة تشبه السحر ..

ولكن الطبيب الذى بدا له لاول وهلة وكأنه احد المرضى ... افهمه في هدوء انه لا يملك سحرا ولا شيئا يشبهه ... وانه يقف معه على نفس المركب وانهما سوف يبحثان معا عن الحل وانه الطبيب ينتظر منه المساعدة . ويقع حرب ٦ اكتوبر ويصبح لعدة ايام جزءا من كل اكبر منه ثم تحدث الثغرة ... فيسقط عبد السلام المشد مع الجزء الذى سقط ...

يسقط هذه المرة فوق ارض لا يجد لنفسه فيها مكانا ولا انسانا يمكن ان يواصل هربه فيه او اليه ...

لابد ان يهرب هذه المرة الى مكان بعيد ... بعيد جدا او سحيق جدا .. وهانما يتلقفه المختطفون في داخل عبد السلام المشد حين يتصل الامر بقرار الهروب ..

ولاول مرة ينجح عبد السلام في اصدار قراره وتنفيذه في نفس الوقت فيلقى بنفسه في احضان مياه النيل التى تهب الحياة لكل الناس في الوادى لتنتزع منه وحده الحياة .

ولحسن حظه او لسوءه وجد هناك انسانا سعى الى انقاذه بدون ان يستأذنه في ذلك ...

فعاد الى الحياة بعد ان رأى المشهد من هناك من عند حدودها القصوى .. فكيف عاد ؟

وكيف بدا مسيرته في مدرسة الحياة ليولد من جديد مع اخوة له كانوا يشرفون على الغرق في مياه اخرى ؟ ضحلة او عميقة .

تلك ما نتحدث عنه في الجزء الثاني من رواية « المشي على الصراط » بعنوان « مدرسة العـــراة » .

أبو المعاطي ابو النجـا

عذابات الفقر والمنفى

الى عبد الوهاب البياتي

الشاعـرة بشـرى ناصـر



(١)

ان اللغة التي يبتلعها
الا ارتواء ؟
الا ...
...
...
...
...
...
اين ...
ان العراق سكنك ..
والعراق قتيل ..
العراق رحيل ..
والعراق عشبة موسى وخاتم سليمان ..
انشق به البحر !
وشد الدائخ ..
واضيع بين العراق والحلم
.. وانت ..

(٢)

بغداد مدينة العشق وانت بابها ..
بغداد ... عام ..
... ...
من الحضن الرابط عند الجسر ..
وانت تكتب العزن ..
وتكتب الشعر ..
وتضيع بين لوركا وابن عربي ..

(٣)

وفي عيون البياتي ..
في التاريخ والخرافة ..
في شعوذة التعاويذ ..
وفي النشابة ..
تغفر الرؤية ..
تغفر المستقبل ..
الصغار للقصيدة طعم النار والشهادة

(٤)

وفي السجون ..
وعلى بوابات المدن الشمالية ..
شاهدت بغداد تبوتة ..
شاهدت الفرا الخضر ..
تشاهد انها كانت النطق
او صدفتا اودعته مرارة المنفى ..

(٥)

وفي مقاهي الليل الباردة ..
تبكي في معطفك ..
حتى الى حبية ..
كنت تشتهي عينيها ..

(٦)

هل تعرف الراحة ابدا ؟

قبيل ٦ اكتوبر حيث يبدو الشارع المصري وكأنه صورة مكبرة لما يحدث في نفس عبد السلام المشد .... ويتلاقى الحدثان في لقطات سريعة متلاحقة بين عبد السلام وبين مجموعات الشباب الثائر في ميدان التحرير ..

ويبدو عبد السلام وكأنه امام لحظة استبصار هائلة وان نفسه توشك أن تنفجر او تلتئم .... فها هي القيامة تقوم هذه المرة في بلده كله ... وها هو يرى أن الازمة ليست ازمته وحده ... ولكن هل يستطيع وحده في عمق ازمته أن يدرك الخيط السري بين الفوضى الضاربة في اعماقه ، والفوضى الكائنة حوله ... وإذا كان مجتمعه قد امكنه أن ينظم هذه الفوضى في حدث كبير يوم ٦ اكتوبر فهل ينجح عبد السلام المشد أن يسيطر على فوضاه وينظمها في سلوك يصل به الى التكيف الارقى الذي يتطلع اليه ولا يعرف طريقه ؟

ويذهب الى الطبيب النفسي الذي نصحه طبيب الامراض التناسلية بأن يذهب إليه ،

ولأول مرة يعترف له بكل شيء حدث له او منه ولكن يحتفظ انه بذلك قد ادى مهمته وما على الطبيب إلا أن يعالجه من كل شيء ... وبطريقة تشبه السحر ..

ولكن الطبيب الذي بدا له لاول وهلة وكأنه احد المرضى .... افهمه في هدوء انه لا يملك سحرا ولا شيئا يشبهه .... وانه يقف معه على نفس المركب وانهما سوف يبحثان معا عن الحل وانه الطبيب ينتظر منه المساعدة . ويقع حرب ٦ اكتوبر ويصبح لحدة ايام جزءا من كل اكبر منه ثم تحدث الثغرة ... فيسقط عبد السلام المشد مع الجزء الذي سقط ...

يسقط هذه المرة فوق ارض لا يجد لنفسه فيها مكانا ولا امساكا يمكن أن يواصل هربه فيه او اليه ...

لابد أن يهرب هذه المرة الى مكان بعيد ... بعيد جدا او سحيق جدا .. ودائما يلتقي المختلفون في داخل عبد السلام المشد حين يتصل الامر بقرار الهروب ..

ولاول مرة ينجح عبد السلام في اصدار قراره وتنفيذه في نفس الوقت فيلقي بنفسه في احضان مياه النيل التي تهب الحياة لكل الناس في الوادي لتنتزع منه وحده الحياة .

والحسن خلفه او تسوده وجد هناك إسعافا سعى الى انقاذه بدون أن يستأذنه في ذلك ...

فقد نجى الحياة بعد أن رأى المشهد من هناك من عند حدودها القصوى .. فكيف عاد ؟

وكيف بدا مسيرته في مدرسة الحياة ليعود من جديد مع اخوة له كانوا يشرفون على الغرق في مياه اخرى ؟ ضحلة او عميقة .

تلك ما نتحدث عنه في الجزء الثاني من رواية « المشي على الصراط » بعنوان « عريسة الصـــراة » .

أبو المعاطي أبو النجـــا

عذابات الفقر والمنفى

الى عبد الوهاب البياتي

الشاعرة : بشرى ناصـــر



(١)

ان اللغة التي ينتقل

الا اراوغ ؟

انت الاخير

[illegible]

انت الماهر ..

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ان الغرق يسكنك ..

والغرق طويل ..

الغرق رحيل ..

والغرق عصا موسى وخاتم سليمان ..

تنشق بنا البحر !

وتشد الدائخ ..

وتصبح بين الغرق والحلم

.. والله ..

(٢)

لبغداد مدينة العشق وانت بابها ..

لبغداد سبعة عشر ..

[illegible]

من الحدس المرابط عند الجسر ..

وانت كاتب العزف ..

وكتب الشعر ..

والشيخ بين لوركا وابن عربي ..

(٣)

وفي جيد البياتي ..

في التاريخ والخرافة ..

في شعوذة التعاويذ ..

وفي الشبابة ..

تغير الرؤية ..

تغير المستقبل ..

الجسر للقصيدة طعم النار والشهادة

(٤)

وفي السجون ..

وعلى بوابات المدن الشمالية ..

شاهدنا لبغداد ثورة ..

شاهدنا الفرا الخضر ..

لتشاهد نهرا كالظمأ

او صديقا اودعناه مرارة المنفى ..

(٥)

وفي مقاهي الليل الباردة ..

لبكي في معطفك ..

حشيشا الى حبيبة ..

كنت تشتري عينيها ..

(٦)

هل تعرف الراحة ابدا ؟

نحو منهج في نقد الأدب العربي

من المؤسف أن النقد العربي الحديث لم يفلح بعد في أن يحدد لنفسه شخصية تميزه عن كل من نقد التراث والمدارس النقدية الأوربية. ويبدو حاضر النقد العربي مجموعة هشة من الأفكار المختلطة، المتضاربة المتعارضة. ويبلغ هذا حدا يصح معه أن نقول إنه ليس لدينا تراث أو اتجاه نقدي، وإنما لدينا — فوضى نقدية — وما دمنا لم نتفق بعد على المؤهلات الضرورية للناقد الأدبي، وما دامت المكونات الثقافية للنقاد العرب المحدثين مختلفة إلى حد تشابك مع الرؤية، فليس لنا أن نتوقع نهضة نقدية حقيقية. لقد كانت لدينا صحوة نقدية في الستينات، ولكن تبين الآن أنها كانت تعتمد على الكم أكثر مما تعتمد على الكيف.

ولهذا كله لم تنجح تلك الصحوة في حفر طريق لرقادة الأجيال القادمة، إن كثيرا مما يكتب تحت اسم «النقد الأدبي» الآن يبدو وكأنه يدور حول نفسه وكثيرا من الأسئلة التي تطرح في الكتابات النقدية وفي منظمات [illegible] تتسم بقدر كبير من الغرابة. فنحن مثلا لا نزال نسأل: هل الأجدى أن نهتم بالنظرية النقدية أم بتحليل النصوص؟ ولا يمكن أن نعدم [illegible] أن يخرج من جلد السؤال السابق حل — توفيقي — متعقل ينصحنا بأن نجمع بين النظر والتطبيق ونجري سباق كذلك. [illegible] تعميق الأفكار النقدية الأوربية في حاضرنا النقدي العربي فنعيد حديث المدارس، والاتجاهات، والمواقف التي بنيت عليها النهضة النقدية الأوربية، ونحاول أن نجد للأدب العربي مكانا في

هذه «الدراما» الحضارية الحية، أو نحمل هذا الأدب تراثنا القديم ونقوم بحركة احياء تناظر حركة الاحياء الغربية — ولكننا لا نقلدها ونستفيد من روحها، ولكنها لا تستخدم ثمراتها المباشرة؟ ومرة أخرى لا نسمع [illegible] والاتجاهات النقدية [illegible] والمواقف الفلسفية التي يموج بها العالم من حولنا؟.

الموضوع من جديد

وعلى الرغم من كثرة الأسئلة، وتنوع الإجابات يبقى النقد العربي المعاصر متخما وعاجزا عن الحركة. وتبقى الحاجة ملحة وملحة إلى فحص الموضوع من جديد وتمثل المشكلة الواضحة — التي هي أم المشاكل — في عجز القارئ أمام النص وهو عجز له أبعاد متعددة.

ومن أهم هذه الأبعاد أن معظم الطلاب الذين يعدون للتخصص في اللغة العربية يستطيعون أن يتحدثوا عن المدارس الأدبية من كلاسيكية ورومانتيكية وواقعية ورمزية، بل ووجودية وعبثية، حديثا يوهم أنهم على شيء من المعرفة. حتى إذا جاءوا إلى قراءة النصوص الأصلية التي قامت عليها هذه المدارس في لغاتها لم يستطيعوا أن يقدموا فيها خطوة واحدة وذلك لعدم معرفتهم بأي فن يعتد به من لغة أجنبية. والأنكى من هذا أن هؤلاء الطلاب أنفسهم يستطيعون أن يحدثوك عن امرىء القيس وطرفة، والنابغة حياتهم، ومفاخراتهم، وشعرهم ويحدثونك عن الأدب الجاهلي والإسلامي، والأموي، والعباسي والحديث وعن قضايا نقدية خطيرة من تقاليد القصيدة العربية، وموسيقاها فإذا واجهتهم بنص يسير جدا من التراث العربي لم يستطيعوا أن يقرءوه قراءة صحيحة فضلا عن أن يحللوه تحليلا نقديا.

وهذا العجز يرجعنا إلى الأبحاث المتخصصة في شرح الأدب وتفسيره — أي في النقد الأدبي — فكثير مما يسمى قراءة النصوص، أو شرح النصوص، أو تحليل النصوص، لا يعدو أن يكون نثرا للشعر، أو تلخيصا لأحداث الروايات، والمسرحيات والقصص، وهو نوع من التناول يرى في النص الأدبي أقل بكثير مما ينبغي رؤيته، أو رؤية أمور فيه أقل بكثير مما ينبغي. كأن نرى الشعر الجاهلي مثلا على أنه تصوير للبيئة الجاهلية — التي تحضر دائما بأنها صحراء، ورعي، وكر، وفر، ونهاج وتفاخر، ومدائح ... الخ.

أو نرى الوقوف على الأطلال — وهو ظاهرة فنية — على أنه مجرد حديث عن ذكريات قريبة أو بعيدة، بدأها شاعر أو أكثر من الرواد، ثم سار عليها بقية الشعراء في خط مستقيم. ورؤية شعر الأطلال على هذا النحو يوقعنا في حيرة فعلية، ذلك لأننا لا نتحفظ عادة في خلع صفات الجودة، والابداع، بل والعبقرية على شعراء اجتمعوا على وصف

- النصوص النقدية في الستينيات اعتمدت على الكم أكثر مما اعتمدت على التركيز
- على الرغم من كثرة الأسئلة وتنوع الإجابات يظل النقد العربي المعاصر عاجزاً عن الحركة
- النار التي نراها في لوحة فنية جديدة تختلف عن النار الحقيقية في أنها برد وسلام
- قياس الحالة النفسية على طبيعتها في الواقع المادي مشكلة تسبب إرباكاً في النقد العربي

الأطلال - كالنابغة، وامرئ القيس، وطرفة، وشريح - في الهلاك، إنه حتى القول بأن الشعراء يتبع خلفهم سلفهم في وصف الأطلال. وعلينا إذا كنا منصفين، أن نركز على السؤال التالي: إذا كان كل واحد من هؤلاء شاعراً عظيماً فما الذي يميز «طلله» وصف الأطلال عند هذا الشاعر عن «طلله» وصفها عند ذلك؟

الفروق الدقيقة

فيقتضي الكشف عن الفروق الدقيقة التي تميز وصف طرفة للأطلال، مثلاً عن وصف النابغة لها. وهذا الكشف يحتاج إلى تحليل فني للشعر يتجاوز الوقوف عند ما يمكن أن يرى من فروق سطحية - مثل المكونات الحسية للأطلال عند كل شاعر، وترتيب وضع الأطلال في القصيدة، وما يتبع هذا الوصف من أغراض أخرى، وما إلى ذلك - إلى فحص دقيق لطبيعة الصور التي يشكلها كل شاعر في وصف الموضوع نتيجة لرؤيته الخاصة له. ومن ثم توجيه هذه الرؤية لخدمة رؤى أخرى في القصيدة حتى تنتهي إلى تصور مقنع للأسباب التي جعلت من وصف الأطلال موضوعاً ملحاً، يراه شاعر عظيم متأخر على أنه أمر جدير بالعناية، وواجب المعالجة.

ويدخل في هذا الباب أننا نعالج شعر أبي النواس - مثلاً - على أنه صورة لحياته المضطربة «المنحلة»، وننظر إليه على أنه وصف قريب للخمر وحانات الشراب، والحياة التي لا تعرف أي قدر من الالتزام الخلقي. ونحن بهذا نهمل كثيراً من الجوانب، نهمل مسألة لم

تعد محل خلاف كبير في النقد الأدبي الحديث، وهي أنه من الخطر الاستدلال بالشعر على سيرة صاحبه الذاتية لأن في ذلك استهانة بـ«فنية» الشعر، وجعله تعبيراً مباشراً عن واقع شخص صاحبه، ويخلق لنا ...



إلى معايير فنية، نستخرج منه بالتحليل فيه ثم يقاس هو بها، وذلك لنقف على وجه الدقة مدى التزام هذا الشعر (أي وفائه لتقاليد الفن) أكثر مما هو محتاج إلى جعله وسيلة للوصول إلى أن صاحبه كان ماجناً أو ظريفاً.

ويمكن أن يقاس على ذلك العجز في مواجهة نصوص شعر المدح، وشعر السياسة فلا تزال المفاتيح المستخدمة في ترسيمها تزج في النصوص إلى بكثير مما ينبغي أن يرى، فدارسو شعر المديح يعنون منذ البداية في أسر فكرة سلاحة في فهم الشعر، تربط بين شعر المديح وبين التسول والتخلي عن الكرامة والتكسب بالفن، وما إلى ذلك من النعوت المسفة التي تسللت إلى قاموس النقد الأدبي - وهي ليست نقدية ولا أدبية - واحتلت ظلماً مكان مصطلحات أخرى نقدية كان لابد أن تجدد وتستخدم وهي تلك المصطلحات المستقاة من العكوف على هذا الفن نفسه.

لأننا يجب أن نقتنع إلى أن المدح معنى من المعاني، وهذا المعنى إذا وضع في أسلوب شعري أصبح شيئاً مختلفاً عما كان عليه قبل أن يوضع في هذا الأسلوب، والنار التي نراها في لوحة فنية جيدة تختلف عن النار الحقيقية في أنها برد وسلام على النفوس التي تتلقى عطاء الفن بعد أن شكل مادته الأصلية تشكيلاً جديداً، وتعامل عن المعنى المتعلقة بخصائصها المنطقية المعتادة التي تربطه بين النار والاحتراق.

وبالمثل فإن دارسي الشعر السياسي لم ينجحوا في الإفلات من أسر «السياسة»، وهم يقفون عند الكشف عن كون هذا

● الوقوع في أسر الواقع [illegible] إلى أوهام كثيرة فيما يتصل بـ[illegible] العمل الأدبي
● الحادثة الواقعية شيء، والحادثة الأدبية شيء آخر، وإن [illegible] في الظاهر

الشعر النجيلى؟ لهذه الفئة أو تلك، وتحريضا على هذا التصرف أو ذاك، أي انهم يستشهدون به على الواقع المادي، ولا يعنون بالكشف عن الرؤية الشعرية الكامنة في الشعر الذي يتخذ السياسة موضوعا له.

فروق جوهرية

وقد لا يختلف على أن القصيدة التي تتناول موضوعا سياسيا تختلف عن التقرير السياسي الذي يتناول ذات الموضوع، ولكن «وضع اليد» على الفروق الجوهرية التي تجعل من هذه القصيدة - ومن هذا تقريرا سياسيا تبقى لدى كثير من دارسي الأدب محصورة في صفات لا تقنع، ولا تضيء الطريق أمام الأجيال المقبلة. كالقول بأن القصيدة تمتاز بأنها كلام «موسيقي تصويري خيالي، مبثوث في نسق خاص، الخ، دون أن تكشف في الدراسة عن «لب الموضوع» وهو أن الشعر شعر والسياسة سياسة أي دون أن تفصل منهج دراسة الشعر عن كل منهج سواه، وأن ندرس الأدب من حيث هو رؤية خاصة للواقع، بأسلوب متميز، محتاج إلى الإلحاح على عناصره والكشف عنها مرة بعد مرة، حتى نصل إلى مجموعة التقاليد التي تحكم التعبير الأدبي، وتميزه عما عداه من ضروب التعبير الأخرى.

وينسحب هذا نفسه على «الأجناس النثرية الموضوعية»، كالقصة القصيرة والمسرحية والرواية التي ينبغي أن تشغل الناقد لا باعتبارها قصصا تحكى أو شخصيات تتحرك، وإنما باعتبارها قوالب أدبية، ذات فلسفة خاصة في تركيبها، وذات تقاليد حية تخضع لها وذات [illegible] تعبيرية، [illegible] وروحية تؤدي إلى الوصول إليها عند التركيب.

إن [illegible] أو مجموعة [illegible] [illegible] من القصة القصيرة [illegible] المسرحية أو الرواية [illegible] الهيكل العظمي من الجسد الإنساني ويبقى ما أشرت إليه من عناصر أخرى مثل الدم واللحم والأعصاب والعروق والخلايا، بل والروح فالذين يقضون الوقت في ملء صفحات تتحدث عن الأحداث في هذه الأنواع الأدبية - وهم يسمونها «المضامين» ويالها من كلمة غامضة - إنما يفعلون شيئا يتجاوز في أثره الضار مجرد تضييع الوقت انهم بذلك يصرفون نظر القراء عن اللب ويوجهونه إلى القشرة الخارجية.

وثمة صفة معوقة أخرى فيما يتصل بنقد هذه الأنواع الأدبية المستحدثة لدينا، وهي قياس الحادثة في هذه الأنواع على مثيلتها في الواقع المادي، وقياس الفن على الواقع المادي مشكلة عامة، وهي تمتد أيضا إلى الشعر وتسبب «ارتباكا» في النقد الأدبي كله، وما ذكرته من أمر قراءة الشعر السياسي ليس ببعيد، وكم من الأحداث التاريخية رويت من خلال الشعر الذي يتناولها، وكم من تفاصيل وقائع سيف الدولة مع الروم استخلص من شعر المتنبي. غير أن هذه الصفة تبدو أوضح ما تكون في نقد الأنواع الأدبية الموضوعية، وذلك لأن كثيرا من النقاد يقع منذ البداية في وهم هو أن هذه الأنواع تصور الواقع الاجتماعي بصفة أساسية ونتيجة لهذا الوهم يبقى الواقع الماثل - الذي يحيط به علمهم هم وحسبهم هم بالطبع - ماثلا في أذهانهم ولا يستطيعون الإفلات من أسره.

والوقوع في أسر «الواقع» يسلم إلى أوهام كثيرة فيما يتصل بفقه العمل الأدبي وذلك لأن الواقع نسبي وجزئي، وخاضع للتغير المستمر، على حين أن العمل الأدبي تجربة خاصة مع الواقع، ورؤية خاصة لها، تأخذ صفة الشمول والثبات وهو تشكيل لغوي يخضع لمنطق خاص به في التوازن. ومعنى هذا أن الحادثة الواقعية لا تمثل منه إلا الخامة الأولى، وهذه الخامة تتحول عن طريق التركيب تحولات أساسية، تفقد فيها - بالقطع - صفاتها الأصلية - أو كثيرا منها - وذلك لكي «تتآلف» مع السياق الجديد الذي توضع فيه مع بقية عناصر الكيان الأدبي. ونتيجة ذلك كله أن الحادثة الواقعية شيء، والحادثة الأدبية التي تصورها شيء آخر، وإن أشبهتها في الظاهر فهذه الأخيرة لا تأخذ معناها إلا من حيث هي جزء عامل من كل هو العمل الأدبي. ومن هنا تتجلى خرافة المقياس الأدبي الذي يلجأ إليه كثيرا في النقد باسم «الواقعية» وذلك حين تدق الأجراس تحية لأعمال معينة لمجرد أن أحداثها «لا تجافي الواقع» أو لأن شخصياتها «تقوى لدينا الإحساس بالواقع».

وإذا كان عجزا أمام النص أن نرى فيه أقل مما ينبغي فإن عجزا أمامه كذلك أن نرى فيه أكثر مما ينبغي. وإذا كان الوقوع في أسر السياسة أو حياة المبدع الشخصية، أو الواقع المادي، يسلم إلى فهم النص على نحو معوج، فإن الوقوع في أسر «الثقافة الخاصة» أو مناهج



- تشكيل قراءة وحيدة للنص الأدبي لا تقوم بطبيعة الحال على ثقافة القارئ
- حين تعقدت مناهج علم النفس خرجت الدراسات الأدبية لتشرح بمصطلحاتها الزائفة

العلوم الاخرى ، ينتهى بنا الى نفس النتيجة الضارة ، وهى عدم اضاءة النص اضاءة حقيقية بتقديمه الى الناس فى حجمه الطبيعى .

ثقافة القارىء

واود ان اسلم ابتداء بان كل قراءة جيدة للنص الادبى انما تعتمد ـ بطبيعة الحال ـ على ثقافة القارىء ، إذ لا يمكن للقارىء غير مثقف ان يقرأ قراءة جيدة كما لا يمكن للقارىء المثقف ان يتجاهل نوع ثقافته ، ولكننى اريد ان اؤكد ـ فى الوقت ذاته ـ ان ثمة فرقا جوهريا بين الوفاء للنص ، وسبر اغواره واضاءته من داخله ، ارتكازا الى ثقافة واسعة عميقة عامة او نوعية ، وبين خلع هذه الثقافة على النص او ـ ما هو ابعد من ذلك ـ قسر النص على الاستجابة للون او آخر من الوان الثقافة فنحن فى الحالة الاولى نواجه موقفا طبيعيا هو استخدام الخبرة الخاصة فى تحليل مادة جديدة وتفسيرها ، ولكننا فى الحالة الثانية نواجه امرا غير طبيعى على الاطلاق ، وهو سوء استخدام المعرفة ، او استعراضها ، او الاصرار على رؤية امور لا وجود لها إلا فى ذهن صاحبها اولى اختلاق الامور لتوافق ما نريد التوصل إليه .

ولا يخامرنى شك فى ان الهروب من النص برؤية اشياء لا وجود لها فيه انما هو تعبير عن العجز امام هذا النص ، وعدم القدرة على تلقى معطياته الحقيقية . والناتج من عناصر ما سميته الوقوع فى اسر الثقافة الخاصة عنصر الولوع بتفسير الادب تفسيرا رمزيا او اسطوريا وصحيح ان الادب رمز ، اى ان الاديب لا يوصل بادية رسالة على نحو محدد مباشر ، وإلا فقد ابرز صفة الادب ذاته ، ولكننا حين نفحص طبيعة هذا الرمز لابد ان نعتصم باقصى قدر من التعلق بالنص ذاته ولا نفرض عليه

بوزيا من خارجه ... الصحيح ايضا ان النص الادبى لا ... بعنصر اسطورية ، ولكن ماهو ... العنصر ينبغى ان يحدد من خلال النسق البنيوى التى تقع فيها على النص ذاته ، لا من خلال ما يخلعه القارىء من معان نشأت فى ذهنه نتيجة لقراءته عن الاساطير فى آداب وثقافات اخرى .

ان الاشارات التى تواجه تفسير الرموز الادبية ينبغى ان تكون فى النص ذاته ، ووظيفة العنصر الاسطورى المستخدم فى الادب ينبغى ان تحدده طبيعة تركيب هذا العمل ذاته . ويوفر العمل الادبى ـ من واقع بنائه النص ـ المفاتيح التى تساعدنا على توجيه معنى الرمز ـ الاسطورة ـ وجهة بعينها ، فان التحدث عن معنى اى رمز او اسطورة فيه يبقى ضربا من الفرض الذى لم تتضح صحته ذلك لان كل عمل جيد انما كان كذلك لانه يحمل فى طبيعة تركيبه الاسلحة التى تساعد على فهمه فهما كاملا ، والوقوف على ادق الاسس التى تحكم بناءه ومعناه ، واى لبس فى هذا انما يأتى من عدم القدرة على الافلات من اسر ثقافتنا الخاصة ، فندخل على النص وهى حية فى اذهاننا ، مسيطرة علينا ، وتكون النتيجة اننا نرى فى النص اكثر مما ينبغى من واقع تلك

الافكار التى دخلنا بها عليه ، والتى نحمل همنا فى البحث عنها ، ومحاولة تطبيقها ، متجاهلين فى احيان كثيرة منطق النص ذاته .

اما مسألة رؤية امور فى النص ليست فيه نتيجة لاستخدام مناهج بعض العلوم الاخرى فتعود ـ فى الاغلب الاعم ـ الى استخدام منهج فرويد فى التحليل النفسى ، وفكرة يونج عن العقل الجمعى ، ومحاولة تفسير الادب فى ضوئهما ، ومحاولة تطبيق علم النفس فى فهم الادب العربى قصة طويلة نسبية ـ وليس هنا مجال استيفاء الكلام عنها ـ نشأت من الاعتقاد فى صحة الارتباط الوثيق بين العمل الادبى وشخصية مبدعه وقد سبقت الاشارة الى الولوع بخلع حياة الشاعر على شعره ، وخلع شعره على احداث حياته ، وخطر هذا الولوع .

وحين تعقدت مناهج علم النفس ، ودوت فى الافق مصطلحات «الدوافع» و«الانفعالات» و«العقد» و«الوعى» و«اللاوعى» سارعت الدراسات الادبية لتتخذ من هذه المصطلحات البراقة اسلحة تلحقها بالعصر ، والحق ان بدايات الكتابة فى هذا المجال حققت اضافات مفيدة فى فهم الادب ، ولكن المسألة تحولت فيما بعد بالدراسة الادبية الى ما يشبه المتاهات ففى بعض الاحوال يغفل المولعون بهذا النهج عالم «البنية الادبية» جملة ويتخذون النص وسيلة لشرح مقولات نفسية ويحتل «الجنس» كما تحتل العقد الرائدة فى اللاوعى الفردى او الجمعى ، الصدارة فى تقسيم النصوص ، ويهمل الادب بصفته تركيبا فنيا .

تلك هى بعض المشكلات التى تقف فى طريق ازدهار نقد الادب العربى ولا يمكن ان يزدهر هذا النقد مالم يتخذ لنفسه نهجا مفيدا ومحددا فى تناول الادب ولا اقصد بالنهج المحدد حصر كل النقد ـ او طرق التناول ـ فى اطار

علينا أن نواجه النصوص ونحلل مضمونها ونستخدم منهجاً ملائماً للحكم عليها

جديدي ، فإنا على وعى بأن مثل هذا الإطار سيكون من أعداء النقد ، ولكنني أقصد ضرورة أن يكون العمل في هذا المجال مشروطاً بمؤهلات معترف بقيمتها وأن تتبع فيه طرائق يتفق على قيمتها في فهم الأدب باعتباره أدباً .

اتاحة الفرص للدارسين

وأول ما يلزم — عندي — في هذا الطريق أن تكون نصوص الأدب جميعاً — قديمة وحديثة — متاحة للدارسين ، من أوسع الأبواب ، وأيسر السبل . ويقتضي هذا عكوف الدارسين — بتوجيه من المؤسسات العلمية وبإمكانياتها على كشف ما لم ير النور بعد من التراث الأدبي القديم وإعادة النظر في المعروف منه ، بتحقيقه تحقيقاً علمياً قائماً على أسس منهجية سليمة والعودة لما حقق منه ولكنه لم يعد متاحاً للناس . ويبدو أن المسألة فيما يتصل بالأدب الحديث — ليست أقل الحاحاً ، فالحدود الثقافية لا تزال قائمة بين أرجاء الوطن العربي ، وما يعرفه الدارسون في كل قطر منه عما يدور — أدبياً — في الأقاليم الأخرى قليل جداً فالشكوى قائمة في كل مكان من عدم تيسر الكتاب ، ومن أن قدراً كبيراً من الإنتاج الأدبي يحال بينه وبين رؤية النور وأن أعمالاً أدبية مكتوبة ولا تجد طريقها إلى القارىء ، ومن المدهش أن قيمة هذه الأعمال لا يمكن أن تتحدد قبل أن ترى النور ، وبدون ذلك تبقى صفة الأدب العربي الحديث — كما يبقى الحكم عليه — ضرباً من الظن — وليس معنى هذا أن نتوقف عن دراسة الأدب حتى يصبح كله معروفاً ومتاحاً وإنما معناه أن نكون على وعى — ونحن نعمل — بأن صورة الأدب العربي ، ومن ثم تحقق منهج ملائم في نقده ، لا يمكن أن تصبح حقيقة كاملة قبل بلوغ هذا الهدف .

والخطوة الثانية التي تمهد الطريق لتحقيق هذا المنهج أن نواجه النصوص مواجهة مباشرة ، وأن يكون استخدامنا للنظرية في حيطة شديدة ، وفي حدود ضيقة ، ولا أدعو بهذا أبداً إلى دحض الآراء النظرية القيمة للنقد العربي القديم ، وإنما أدعو دعوة صريحة إلى مدد النظر إلى نصوص الأدب العربي نفسها بأعين هؤلاء النقاد الوقوع في أسر الأمور التي أشرت إليها من قبل كالواقع المادي ، والثقافة الخاصة ، والسيرة الشخصية للمبدع ، ومناهج العلوم الأخرى .

إن النظر إلى التراث الأدبي القديم بأعين النقاد العرب القدامى يحقق [illegible] [illegible] على حساب أن نواجه النصوص [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاستماع إلى صوت التراث القديم الأدبي صوت أبي تمام فيه ، والى صوت لبيد والأعشى وطرفة لا إلى صوت ابن قتيبة فيهم ، والى صوت أبي تمام والبحتري لا إلى صوت الآمدي فيهما ، والى صوت المتنبي لا إلى صوت المصادر وخصومه فيه ، وقد يتفق نتيجة للاستماع الخاص بأصوات الشعراء هذا — مع بعض آراء النقاد القدامى فيهم ، ولا بأس في ذلك ولا حرج ، ولكنني لا أعتقد أن آراءنا في المعنية يمكن أن تتطابق مع آرائهم وإلا كانت قراءتنا للتراث قراءة غير حسنة .

وكذلك ينبغي أن نسلم أنفسنا — فيما يتصل بالأدب الحديث — إلى نصوص هذا الأدب ذاتها ، لا إلى ما قيل في النقد عنها أو النظر إليها من خلال نظريات النقد الأجنبي التي نشأت ونمت في ظل بيئات أخرى ، وكانت حصيلة النظر في نصوص أخرى ، أن مصطلحات الكلاسيكية والرومانتيكية ، والواقعية والرمزية ، والتعبيرية — وأخيراً وليس آخراً كما يقولون — والبنيوية ، مصطلحات تخالف النص ، ولكن الإسراف في استخدامها إلى الحد الذي

يخضع النصوص العربية لها يحول بيننا وبين رؤية هذه النصوص على حقيقتها ، ووراء تين ، وبرونتيير ، وسانت بيف ، وستاربر ، وارنولد ، وباوند واليوت — التي ضيعت من النظر في أدائهم ، وأثرت على العقود كثير من بعدهم آراء تخالف النص ، ولكن محاولة فهم الأدب العربي في ضوء هذه الآراء أمر خطير غاية الخطورة .

علينا — إذن — أن نواجه النصوص ونحاول وصفها ، وتشخيص سماتها ، وتمييز نواحي تميزها ، مستخدمين في ذلك أقصى قدر من الطاقة والأمانة وأعمق قدر من النشاط الذهني ، والرهافة الشعورية ، وأوسع مدى من الثقافة الإنسانية ، التي لا تعرض نفسها على النص ، وإنما تكون في خدمته .

وإذا تعددت هذه المواجهة وتنوعت جيلاً أدبياً بعد عمل أدبي ، وأديباً مبدعاً بعد أديب مبدع ، وجيلاً أدبياً بعد جيل أدبي ، وإذا نشرنا بنوع من القراءة الخاصة ونجحنا في تحبيب الناس وشباب منهم — بصفة خاصة — إلى تراثهم وحاضرهم الأدبي تكون لنا مع مضي الزمن واحتشاد الدارسين ما يمكن أن يسمى — نهج في قراءة النص الأدبي ، وإذا تعمق هذا الاتجاه وتوالت ملامحه والسمات واكتسب نوعاً من الثبات والاستمرار ، ووصل إلى أرجاء الوطن العربي تحقق كيان متماسك من الأفكار المتعاونة المتكاملة التي يمكن أن نسميها عندئذ نظرية الأدب العربي .

وحين تولد هذه النظرية وتصبح معالمها واضحة لأعيننا يمكن أن نؤكد خصوبة عن طريق اقترانها بآراء النقاد القدامى ، وبالمدارس الأدبية الحديثة ، وبآراء النقاد المحدثين وذلك لأن الحوار بين هذه النظرية وغيرها يصبح في هذه الحالة حوار الذوات المستقلة ، وفي هذا الحوار تستفيد نظرية الأدب العربي من غيرها استفادة مبنية على الثقة بالنفس ، والتفتح ، والإيمان بأن الاحتكاك هو طريق الحياة ، وأن الانطواء هو طريق الموت .

د. محمود الربيعي

رءوف توفيق

السينما تطرق أبواب المنازل .. وتسأل عن الأطفال ؟

● عندما يتسلل العالم الخارجي بالعنف والوحشية .. يلوث الاطفال بعالمه الصغير بيته



فيلم كرامر ضد كرامر

عندما تتعقد المشاكل في العالم الخارجي ، ويصبح من الصعب مواجهة الهم والضيق . . يتسلل الانسان الى بيته ، ويغلق الباب وراءه ويحاول ان يلتقط انفاسه ، فيجد المرفأ . . ويبحث عن الحنان والدفء والأمان مع شريك حياته .

لانه اذا كان العالم الخارجي الكبير قد أصبح مليئا بالعنف والوحشية والعبث . . فانه لا ملجأ ولا ملاذ لهذا الانسان غير مملكته الصغيرة ! بيته !

الكارثة . . انه قد لا يجد الراحة ايضا داخل بيته !!

فلا هو سعيد في الخارج . . ولا هو سعيد في الداخل !!

والوهم الكبير الذي يعيشه ذلك الانسان . انه يستطيع ان يعزل نفسه عما يجري خارج جدران بيته . . وان يتصور ان بيته جزيرة معزولة بطريقة الاتصالات والتأثر بما يحدث في الخارج .

ولكن ثمة امل . . ان يستطيع ذلك الانسان ان يقفل قفل عائلته الصغيرة . . ويحميها من الانهيار . . ويتخبر

الأكاديمية الأمريكية للسينما هذا العام تقطيبا بمراحل ساحقة الفيلم الذهل « نهاية العالم .. الآن » للمخرج « كوبولا » ، والذي يصور فيه بشاعة التورط الأمريكي في فيتنام .. فلم يفز هذا الفيلم إلا بجائزة الصوت وجائزة أحسن تصوير !

بينما يفوز فيلم «كرامر ضد كرامر» بجائزة أحسن فيلم .. وأحسن إخراج (المخرج روبرت بنتون) .. وأحسن ممثل (داستين هوفمان) .. وأحسن ممثلة مساعدة (ميريل ستريب) .. وأحسن سيناريو وفاز بالجائزة المخرج بنتون ، فهو أيضا كاتب سيناريو .

ما معنى هذا الاكتساح الفني ؟

ومن قبل حقق هذا الفيلم نجاحا تجاريا هائلا منذ بداية عرضه في أمريكا مع أعياد الميلاد في ديسمبر الماضي .. وتناولته الصحف والمجلات بالعرض والتحليل في احتفال خاص وسخي .

.. فجميع مستويات الاهتمام بهذا الفيلم .. توجت بهذا العدد من الجوائز الهامة في الأوسكار ..

الطفل بين الأب والأم

ولكن ما الذي يحويه هذا الفيلم ؟ إنه يقدم قصة بسيطة من داخل بيت أمريكي يمثل تفاصيل الانفصال بين الأب والأم .. ويعرى مشاعر ابنهما الصغير في عمليات الشد والجذب بينهما بمهارة فائقة .

فهذه العائلة الصغيرة من الطبقة المتوسطة .. حيث يمثل الزوج « داستين هوفمان » بكل طاقته ليحقق أحلامه .. يفاجأ بإصرار زوجته (ميريل ستريب) على طلب الطلاق بحجة أنها تريد أن تحقق أحلامها الخاصة هي الأخرى .. وتبدل الزوجة كل ما في وسعها للحصول على الطلاق .. وتصبح الحياة مستحيلة بينهما .. ويوافق الزوج على الطلاق .

وتبقى مشكلة ابنهما الصغير الذي لم يتجاوز السادسة من عمره .. فتصدر المحكمة حكمها بأن يتولى الأب رعايته .. وتخرج الزوجة من البيت إلى خضم الحياة تحاول تأكيد ذاتها .. بينما

عشيقة الأب .. [illegible]



الأب والابن وعلاقة قوية [illegible]

السينما العالمية تعزف على أوتار القلوب والدموع ! عمليات الشد والجذب بين الأم والأب والحضانة

يها في قارب الحب والأمان وسط هذا الإعصار المجنون !

والسينما العالمية تحاول أن تفتش بهذا الأفق .. وتطرق البيوت المستقرة تبحث عن الموضوع الذي تستطيع أن تعيد تقديمه على الشاشة لكي تعزف على أوتار القلوب .. وتضغط على المشاعر .. وتستجلب الدموع ..

فربما عشقت هذه الدموع ، العواطف التي تتعلق بالنفوس .. لتضيع معالا بديعا للرؤية .. والفهم !

الفيلم الذي اكتسح الجوائز

وقد كان مثيرا للتأمل دور الفيلم الأمريكي « كرامر ضد كرامر » بحسن جوائز الأوسكار هامة في مسابقة

يعيش على الشاشة تفاصيل العلاقة بين الأب وابنه .

فالأب هنا يواجه ابنه الصغير لأول مرة بهذا الشكل المباشر والحميم .. فهو يتعلم كيف يطعمه .. وكيف يسليه .. وكيف يحكي له الحكايات .. وكيف يسهر على مرضه .. ويصنعا بينهما لغة خاصة تتأكد يوما بعد آخر .. وتزيد مفرداتها .. ويتشابك عالم الأب مع عالم ابنه ليصنعا معا هذا المزيج المدهش من الارتباط والحب ..

وبعد عام ونصف من غياب الزوجة الأم .. تعود من جديد .. بعد أن أرهقتها ظروف الحياة .. تبحث عن ابنها الصغير .. وتطالب بحضانته .. ويتلقى الأب هذا الطلب في ذهول وألم .

كيف يفترق عن ابنه .. أو بمعنى أدق كيف يتخلى عن هذا العالم الجميل الذي صنعه مع ابنه .

ويمرض الأب من شدة الصدمة .. ويقترب منه ابنه ليخفف عنه مرضه .. ويحاول أن يحيطه بنفس حنان الكلمات والايماءات التي كان يستعملها الأب معه في حالات مرضه .. الابن هنا يستخدم نفس مفردات اللغة المشتركة التي صنعاها معا .

وفي قاعة المحكمة التي تنظر قضية حضانة الابن .. تشرح الأم ظروفها بشكل مؤثر .. ويتبرى الأب في توجيه اللوم لها .. ويتبادلان معا الاتهامات .. فكل منهما له وجهة نظر .. وكل منهما عنده من المبررات ما يؤكد أنه على حق .. وتظهر القسوة الواجهة بينهما .. الا أن الادانة الحقيقية لأسلوب الحياة الذي يجرد الانسان من أنبل مشاعره !

مرحلة جديدة في السينما الامريكية

وقصة الفيلم .. عادية .. تتكرر يوميا في الشرق والغرب .. وربما تناولتها السينما العربية بأشكال مختلفة .. ولكن المثير في هذا الفيلم الامريكي .. هذا الكم الهائل من الاحاسيس الصادقة والمؤثرة التي جعلت انسان هذا المجتمع الصناعي الهائل يتوقف أمام الفيلم .. ويطالب معه في قاعة العرض المظلمة .. ويتحول شيئا فشيئا من قراءة الانفعال الى التأمل .. ثم يخرج من قاعة العرض ليحكي عما شاهده .. ويستقل رد الفعل هذا الى الصحافة وأجهزة الاعلام الأخرى .. ويتحول التكريم الى أحد أهم سابقيها الاوسكار !!

ولا عجب لكل ما حدث .. سوى أن الفيلم استطاع أن يحدد الصدمة في الانسان الانسان اللاهث في السباق اليومي الرهيب .. وأن يضغط على الجرح المؤلم الذي يحمله هذا الانسان ويمضي به محاولا نسيانه في زحام القلق !

مشكلة عدم التوافق بين الازواج .. وتصارع الرغبات .. وبحث كل منهما عن اسلوب لتحقيق الذات .. ومشكلة الاطفال الذين يعانون عدم الاستقرار .. ويفتقدون الحب والحنان .. هذا الوهج الدافئ داخل البيوت



● قضايا الأسرة بتأثير صادق في نفوس المشاهدين لأنها الصيقة بالواقع اليومي

الأم وابنها في لحظات النهاية من «موت الأب» (فيلم البطل)



لقطة في عجوزة بين الأب وابنه (فيلم البطل)

الملفتة .. أصبح رغم ملابسه .. وضوحا جديرا بالملاحظة والمناقشة!

ولعل هذا الاتجاه في السينما الأمريكية يجيء كمرحلة تالية بعد أفلام الكوارث (الزلازل والبركانات وسقوط الطائرات والقطارات .. الخ) وأفلام الفضاء وحروب الكواكب والوحوش الخرافية!

ومن المتوقع لرواج هذه الأفلام التي عالجت قضايا الأسرة .. لأنها كانت صادقة في نفوس المشاهدين .. وأكثر اقترابا من الواقع اليومي!

الأطفال .. والضغط على المشاعر

وبالرغم من أن ملامح هذا الاتجاه قد ظهرت بوادره منذ سنوات، عندما قدم بعض المخرجين قضايا المرأة في أفلامهم، إلا أن الورقة الأخيرة والتي اكتسبت مائدة اللعب .. هي اظهار الأطفال في أفلام قضايا الأسرة كنوع من الضغط على المشاعر ..!

ومما يذكر أن أحد العوامل الهامة لنجاح فيلم «كرامر ضد كرامر» هو ذلك الطفل الصغير «جاستين هنري» الذي لعب دور الابن الحائر بين والديه .. وفي التفاصيل التي انفتحت عن [illegible]

[illegible]

الطفل من خلال «دستين هوفمان» الذي يقوم بتوصيلها اليه بطريقته الجذابة، ويتولى رعايته، وتدريبه .. حتى أصبح الطفل يلاحقه كظله في الاستوديو!

وفيلم «البطل»

وبالرغم من كل أسباب النجاح والشهرة والتكريم التي صاحبت فيلم «كرامر ضد كرامر» إلا أنه لا يمكن اعتبار الفيلم رقم واحد في مرحلة أفلام قضايا الأسرة وتحريك الأبناء .. فقد سبق هذا الفيلم، بشهور قليلة، عرض أحدث أفلام المخرج الايطالي الكبير «زيفاريللي» .. ذلك هو فيلم «البطل» الذي لعب بطولته (جون فويت) أمام الطفلة (فاي دوناواي) .. ويعتبر هذا الفيلم هو أول أفلام المخرج الايطالي التي صورها في أمريكا لحساب أحد الاستوديوهات الأمريكية.

وفيلم «البطل» حاصره أيضا الزوج .. والزوجة .. والطفل .. وموضوعه أيضا .. الطلاق وحضانة الطفل!

فهذا الملاكم (جون فويت) تركته زوجته .. وتركت معه طفلهما الوليد حديثا .. فهي لا تريد أن يعطلها تربيته عن عملها بالشهرة والثراء .. فقد اختارت مهنة عرض الأزياء بأضوائها وحرالها الصاخبة والمثيرة!

ويعيش الملاكم لطروفا سيئة .. نفسية ومادية .. بعد أن فقد لقبه في الملاكمة وابتعد عن العمل .. ويصبح لا مورد له إلا من خلال سباق الخيل .. ولا عزاء له سوى ارتباطه بابنه الصغير الذي ينمو بين يديه .. وتتشكل تدريجيا هذه العلاقة .. فالطفل يعتبر أباه «بطلا» ويناديه دائما بهذا اللقب .. ويتمنى دائما أن يأتي فيه يوم يعود الى البطولة ..

ويستعرض الفيلم تفاصيل هذه العلاقة القوية العميقة على مدى ثماني سنوات ..

كل معاناة الأب .. وكل مراحل نمو الطفل ..

وفجأة تعود الزوجة الأم .. بعد أن حققت كل أحلامها في الشهرة، وأصبحت واحدة من أهم عارضات الأزياء في العالم .. إنها تعود لتطالب بحضانة هذا الطفل الجميل الذكي .. إبنها .. الذي تلتقي به مصادفة في احدى جولات سباق الخيل!

ويحاول الزوج الأب أن يمنعها من هذه المحاولة .. فهو كثير ما أخبر ابنهما، أن أمه قد ماتت بعد ولادته .. وظهورها من جديد قد يسبب لابنهما الطفل هزة نفسية .. ثم هو لا يريد أن يفقد ابنه .. لقد أصبح روحه وعقله .. ومحرك عزيمته!

ولكن الأم تصمم على موقفها .. ويكتشف الطفل الحقيقة ويعود الى .. لكنه لا يستطيع أن يتعاطف معها!

ويقرر الأب أن يحقق حلم ابنه بأن يعود بطلا في الملاكمة .. ويبدأ التدريب الشاق من جديد .. والطفل يغذي هذا الحماس بأحضانه ..



الطفل ريكي شرودر يقف بين ابيه (فيلم البطل)

ورقته .. وبراءته .. وارتباطه الشديد بأبيه .

ويحتل الأب ان يواجه احد الملاكمين الشبان في الملاكمة .. وفي يوم المباراة يتابع الطفل عودة ابيه الى حلقة الملاكمة ، والاضواء والجمهور .. ويستمد الأب كل قوته من فرحة ابنه .. ويبذل الاب ما عنده لكي يفوز ، ويستحق اللقب الذي يحلم به ابنه .. وفعلا يفوز .. ولكن يلفظ انفاسه الاخيرة بعد خروجه من حلبة الملاكمة بلحظات ..

لقد حقق الحلم لابنه .. وتنازل عن ابيه .. ومات !

واستطاع المخرج « زيفيريللي » ان يقدم في هذا الفيلم مشاهد بالغة المقدرة .. ونجح في ان يوصل المشاهدين بدرجة غير عادية .. وان يطلق الاعجاب بهذا الطفل (ريكي شرودر) الذي اختاره من بين الفي طفل في مسابقات متتالية اجراها لكي يطل في النهاية على هذه المعجزة السينمائية !

الخروج من القاعدة المألوفة

والاسطر في هذين الفيلمين : « كرامر ضد كرامر » و « البطل » ان قصة الفيلم تتجه ناحية الأب .. وبالتالي الخروج عن القاعدة المألوفة بارتباط الطفل بأمه .

والخروج هنا يكشف حدة الصراع الداخلي .. ويفتح مجالا اكبر لمزيد من التفاصيل التي من الممكن ان تعرض لنتيجة حرمان الطفل من الأمومة .. وفي نفس الوقت تقوم الارتباط بالأب .. وصعوبات تكيف الأب على هذا

الارتباط والمحاولات الطويلة والعصبية لفهم نفسية الطفل والالتزام بطلباته ورغباته .. وكسب ثقته .. وحبه !

ومن العلاقة بين الأب وابنه يقدم المخرج الايطالي « نيمو دندي » قصته [illegible]

[illegible]

بالسينما [illegible] العربية [illegible] الذي يتكمل دراسته في احدى جامعات روما .. والتي يرفض تماما كل اساليب والده في الحياة ، وهو يعبر عن رفضه بالصمت والوحدة ، وعدم الدخول في اي مناقشة مع أبيه .

ويكتشف الأب (يلعب الدور « يوجو تيانسان ») في المدى محاولاته لفهم ما يفكر فيه ابنه .. بمذكرات مخبأة كتبها الابن .. ليعلم بأن ابنه ينتمي الى احدى الجماعات الارهابية في ايطاليا ، والتي تستهدف اغتيال كل الرأسماليين .. !! .. وامام هذه الحقيقة المذهلة ، يحاول الأب ان يكسر انتظار الصمت والعزلة بينه وبين ابنه .. ولكن لا يصل الى شيء .. فيحاول رشوته بالثروة والرفاهية .. ولكن الابن يرفض تماما هذا الاسلوب وتتعمق المشاكل بينهما .. حتى تأتي المصالحة في النهاية بعد اصابة الأب في حادث غامض .. هنا يتقدم الابن الى صمت يرنو بوجهه الى ابتسامة

عادية ويشعر بزهو وحب الكرسي المتحرك الذي يرقد عليه الأب !

وفي طول مشاهد ذلك الفيلم ، لا تلمح وجود الأم .. الا في لحظات قصيرة .. فهي بعيدة تماما عن المكان .. وتعيش في سويسرا مع ابنها الصغير .. وحجتها انها تخاف من موجات الارهاب التي تسود ايطاليا !!

وهذه العلاقات المعقدة .. دائما ما تكون نتيجة لغياب الأم والأسباب الاتية بدءا .. وشخصية جدا .. !

ماذا في السينما العربية ؟

واذا كانت السينما العالمية .. قد عادت لتطرق ابواب المنازل بحثا عن القيمة العقلية والاصيلة في بناء الأسرة .. وبالتالي بناء المجتمعات .. فانه من المؤسف تماما ان تتجاهل السينما العربية هذه الموضوعات الانسانية ، وتتكامل عن رصد كل الظواهر الغريبة التي الفت بظلالها على معظم منازلنا .. واتذكر هنا ما قاله لي شيخ المخرجين السينمائيين ، في حديث الاستاذ احمد كامل مرسي ــ ٧١ عاما ــ انه حزين جدا لان السينما المصرية ابتعدت عن افلام الأسرة .. واتجهت الى تقليد افلام الغرب في العنف والاثارة .. وعلى حد تعبيره :

(لقد شاهدنا افلام الاربعينات والخمسينات في السينما المصرية نجد ان عددا كبيرا من الافلام تناول قضايا الأسرة والعلاقات والروابط الانسانية التي تضمن بناء الأسرة والمجتمع .. وبالرغم من ان بعض المعالجات السينمائية في ذلك الوقت قد تبدو سطحية او ساذجة الى حد ما .. الا انها لو استمرت .. لكانت تطورت ونضجت اكثر .. ولكنهم تركوها ، واهتموا بابراز موضوعات الانحراف .. ولهذا انا حزين جدا) !!

والآن .. وبعد ان عادت السينما العالمية الى موضوعات الأسرة .. هل تعود السينما المصرية ــ أو العربية عموما ــ الى هذه الموضوعات ، حتى ولو من باب « الموضة » ؟!!

انه شيء مضحك حقا .. !!

ولكن .. كم في حياتنا الثقافية والفنية من المضحكات المبكيات ؟ !!

رءوف توفيق

قصائد يافيه

شعر : هارون هاشم رشيد

(١)

شباك أبي

على الميناء عند الشط ،
في « يافا » شباك أبي
تركناها معلقة
بوجه الشمس ، والسحب

• •

تركنا عندها أكياد
صيادين تواقين للبحر
أحبوا عودة الرواد
عند تنفس الفجر
تركناها وفي أنقاضها
أنقاضنا مشدوهة الوجد
على وعد تركناها
ترقب لحظة العود

(٢)

ميدان الساعة

ترى ما زالت الساعة
في الميدان تنتصب
تراها لا تزال تدق
أم تشكو ، وتنتحب

• •

ترى شلت عقاربها
أسى ، وتوقف الزمن
امتش في زواياها
الغراب ، تسلل العفن

• •

فكم من موعد ضربت
لنا كم لحظة حلوة
كخفق القلب وقتها
تردد هنوة هنوه

• •

(٣)

الاعين الظماى

تدور الاصداء [illegible]
تتعالى [illegible]
فتقسم في زواياها
روائح لمرج العمرا !

• •

شوارع حلوتي « يافا »
متاجرها ، مبانيها
وقد زينت بأغلى الناس
قد زينت بأهليها
ترى ، مازال في أنحائها
يتجاوب الصوت
أم أن الليل غطاها
وشد فوقها الموت

(٤)

شيخ

هنا شيخ عسل عكازه
أصوى ، ومنا نهضا
حزينا أغمض العينين
أسلم روحه ، وقضى

• •

وينادي يوم ودعنا
وظل كجذع زيتونة
يمان وراءنا ريح
الشتات تهب ملعونة

(٥)

هنا يافا

هنا « يافا » ولا ترشد
عن « يافا » الغيلان
تحوم فوقها وتستدير
أطيار مشوقات

• •

هنا « يافا » شبابيك
مغلقة ومهجورة
هنا أشلاء بستان
هنا أنقاض نافورة

• •

هنا أثر لمدرسة
بقايا معهد هدمها
كوجه شاحب في الارض
ينزف حمرة الدما



(٦)

بياره

وتهتف من كنوز
الالام ، والاشعار بيارة
تثاثر زهرها ارخى
عليها الحزن استاره

● ●

تفتش عن فتى
بالامس اعطيا ورواها
ومد عروقه فيها
ومن عينيه اعطاها

● ●

وتبحث عن ضفيرته
تدور كنحلة الزهر
هنا وهناك مثل
فراشة تختال في كبر
وتذكر كيف في يوم
كئيب الوجه مسود
رماها غادر القتى
بها للموت للحد

(٧)

كتاب

وفي احدى الزوايا
حيث خيم الصمت وانتشرا
كتاب حرقه الصربي
باق بعد ما انتشرا

● ●

كتاب يحمل التاريخ
والانساب والاسماء
يقول هنا تراث العمر
اشرق خالدا وضاء

● ●

ويحكي قصة ... ،
ترددها .. وترويها
وتبقى قصتها ...
وظل كل ... قصتها
ويرقى ... يقطر
من سطر الى سطر
فتالا دار في الاحياء
من شبر الى شبر

● ●

ويحمل في فواصله
اشارات النداءات
ليافا وهي نائية
تواجه بالبطولات

● ●

ولا صوت يرد ولا
صدى ياتي لنصرتها
ويافا وحدها وقفت
تدافع عن عروبتها

● ●

وظل تدفق الامطار
تدق فوقها النار
تجيء على نواصيها ،
فتهوي الدار فالدار
وينتفض الكتاب تثور
فيه حروفه الثكلى
ويشمخ وجهه العربي
ليبقى الرائع الاغلى

خاتمة

هنا ، يافا ، فياويلاه
يا ويلاه .. يا يافا
وقد مزقت احياء
واتعاء ، وصفصافا

● ●

حبيبتنا ، وان طالت
بنا السنوات تنتظر
واغرقنا الى الاعناق
بات يحيطنا الخطر

● ●

تظل العين شاخصة
اليك .. وليس تنتقل
فتلمح كيف من ليل
الغرائب يشرق الامل

جمال الكناني

ادجار ألن بو

عبقري عاش ميتاً في وطنه

أزمته أنه وُلِد في زمن أمريكي لا يأبه إلا بالربح

كاتب تخصص بكلماته إلى أقصى حدود الخوف

شخصياته أشباح ترسمها نحن لأنفسنا

قال الكاتب الشاعر الناقد الامريكي « إدجار الان بو » في قصته بعنوان « قصص آرثر جوردون » :

« وارتمينا في احضان الظلال ... والتقت هوة سحيقة لتبتلعنا ولكن اعترض سبيلنا شبح انسي ملتف في الكفن ... كان في تكوين اجزاء جسمه الضخم مما عرفنا من الرجال ، وكان بياض جلده يضاهي بياض الثلج » ...

وفي الساعة الثالثة من فجر يوم الاحد ٧ اكتوبر ١٨٤٩ انفتحت هوة عميقة في العالم الآخر لتستقبل إدجار الان بو أو لتستضيف روحه ... وكان آخر ما قاله من كلمات « اللهم أعن روحي الضعيفة » ...

ولعل في هذا الضعف يكمن السر الذي كان حياة هذا الكاتب الشاعر الناقد الذي قال فيه جورج برنارد شو « لقد تم اكتشاف امريكا ... أما بو ، فلم يكتشف » . ترى كيف عاش هناك أرق الفنانين رقة ؟ هذا الرجل الذي يعتبر بفطرته وغريزته ارستقراطي الكلم ؟ واحسرتاه ! إنه لم يعش هناك ... لكنه مات هناك .. وقالوا عنه إنه سكير قاتل مع اننا مازلنا حتى اليوم نتساءل عما إذا كان بو قد شرب من الخمر طول حياته كلها قدر ما يشرب الامريكي العادي في سنة اشهر .

وهكذا نرى أن موضوع إدمان بو على الخمر كان مادة للجدل وموضوعاً لنقاش حاد دار بين من عاصره وبين من خلفه من رجال الادب ...

في العمق ... هو هذا الشعور المخيف الذي يلمس جزءاً من إدجار الان بو ، يتلمس في خوفنا من المجهول خيفة لا يقوم على اساس من تفكير او رغبة في منطق ... خوف من الظلام ... رعب من الجنون ، ومقت للانحلال والضمور والبلى ، وشعور بالعجز تجاه الموت ... احاسيس نحسها في عقلنا الباطن ، ونسجنها في اللاشعور ... و « بو » يلمس فينا كل هذا وكأنه إبرة حادة تخز عصباً من اعصابنا ... فنحن نرى في قصصه مجرى من احلام مزعجة ، تعرض في العلن وتوضع تحت مجهر يحللها ويعطلها .. وما تلك الكوابيس او الاحلام المزعجة إلا محطات تحملنا في رحلة إلى ابعد عتبات نفوسنا .

وسر حبنا لهذا الكاتب وتغلغل سلطانه على قرائه الذين يقبلون عليه ـ دون جدل ـ [illegible] وشخصيات وهمية ، ويصدقون ما قد يثبت لهم بعد الفحص انه خدعة ... هو ان هذا الكاتب يقود قراءه ويحملهم على اجنحة كلماته الى اقصى حدود الخوف ، وهو خوف ان تنكشف نفوسهم وتفشى اسرارهم ... فما شخصيات بو إلا اسود صور نرسمها نحن لانفسنا .

ادرك بو بحاسته الشاعرية ـ وهو يعتبر نفسه شاعراً قبل ان يكون كاتباً ـ ان الانسان قادر على ان يواجه اي شيء وكل شيء ... إلا نفسه . فالانسان لا يتردد في ان ينسب الى نفسه كل صفات القوة وان يتباهى بكل ما ينسب من نجاح

يتعلق بلوم الحظ والنجوم والقضاء والقدر والطبيعة والشيطان على عقبه من نواحي الضعف وما يصادف من فشل او يرتكب من اخطاء ... و « بو » نفسه لم يبرأ من ذلك ، فقد عرفنا فيه رثاء لنفسه واشفاقه على ذاته وشعوره بالاضطهاد واعتزازه الاعمى بنفسه واعتقاده الدائم على الغير ... كان يرى نفسه فريسة للقدر كما صورها في بطل قصته « سقوط بيت آشر » .

على ان « بو » احس في الوقت نفسه ان هناك اكثر من وسيلة للهروب ، منها مثلاً متعة الفكر التحليلي (مثل رجل البوليس السري في قصته « جرائم القتل في شارع مشرحة الجثث ») او تحرير الروح ، وقد عبر عن ذلك في بعض قصائده ... على أن « بو » لم يسر بعيداً في عدم الطرق إلا بخياله ، وعلى ذلك فشخصيته الخالدة التي لا تتميز عن تلك التي رسمها على طراز نفسه مجهمة في جحيمها الخاص ، تعكس الحالة الانسانية في محيط يتحدى الحيرة والتجربة الواعية .

ويجدر بنا ان نتحدث عن جحيم « بو » وكيف وصل إليه وكيف حاول ان يهرب منه وكيف ان هذا الجحيم كاد ان يبتلعه ولكنه تغلب عليه بشعره حيناً وبقصصه القصيرة حيناً آخر .

وقصة إدجار الان بو مأساة من مآسي الادب .. وحياته مروعة مفجعة الى اقصى حد بلغته قصصه المرعبة ... نراه من ناحية ، يحترق عشقاً بحبه للجمال ، وهو شاعر عاطفي رومنسي قوي يعشق الجمال والمثالية ... وهو من ناحية اخرى



إدجار آلان بو



رجل حكم عليه القدر بأن يقضي أيام شبابه في فقر وبؤس ومرض ومسغبة ... وأن يموت ، وهو في رأي أقرانه «رجل فاشل ... ومع ذلك ... يطبع شبابه ويلمع اسمه بعد موته ... قصصه تتمتع اليوم بشعبية ... والشعر يردده تلاميذ المدارس وينشده المطربون ويتنافس الأدباء في كتابة سيرة حياته ومنهم كثرة تشير الى عبقريته ...

قصة إدجار آلان بو تبدو وكأنها قصة كلاسيكية لرجل عاش خارج عصره ، أو لفنان احتقره ، بل تجاهله معاصروه وهو حي يعيش بينهم واعترف الناس له بعد موته .

ولا تقف قصة «إدجار آلان بو» عند هذا الحد .

كان من سوء طالعه أنه ولد في امريكا التي كانت إذ ذاك في فتنة حمى الديمقراطية والتنمية الاقتصادية ، لاتحفل او تأبه بنواحي الحضارة التي لا تحقق ارباح ملموس مثل التعليم والفنون .... ولعل «برنارد شو» كان قد أخطأ إذ قال في عام ١٩٠٩ إن «بو» و «وولت ويتمان» (هما الرجلان الوحيدان اللذان ولدا منذ إعلان استقلال امريكا اللذان يمكن بمخافتهما أن ينقذا امريكا من اللعنة يوم الحساب) على أن الخطأ لم يكن خطأ امريكا وحدها ، بل هو خطة لإدجار آلان بو نصيب فيه .

كان «بو» على حد قول «ديفيد سنكلير» الذي أرخ له ، مصابا بنوع خبيث من مرض السكري فكان إذا شرب حتى أقل القليل ، تمل

مرحلة هستيرية وتوجع والإضافة الى ذلك يعاني من عيب نفساني ... هو الافراط في اعتزازه بذاته مما جعله يرسم لنفسه صورة لم يستطع هو تحقيقها ما عاش ... كان يتصور نفسه «جنتلمان» مهذبا علامة أديبا من واجب العالم أن يعترف بفضله وأن يساعده ويكرمه ، فلما لم يستجب العالم لذلك حقد على الدنيا وما فيها .... وكان وراء ذلك كله اعتماده المزري على النساء وهو ضعف تعلله بأنه فقد أمه في سن مبكرة وأنه كان يلاحق المثل الأعلى للحب والجمال .

وليس غريبا أن يجمع بعض النقاد ، «ادغار الان بو» ، في مصاف العباقرة فقد كان نصيبه من المواهب وافرا ... ولكن شخصيته التي كانت تتجسم فيها قوة هائلة كانت في الوقت نفسه تحتوي على نواح من الضعف خطيرة ... كان «بو» كاتبا موهوبا قادرا على الانتاج الادبي رغم ماكان يواجهه من المصاعب والمرض وخيبة امل وإعراض ... ولكن أعظم قدراته وقوته كانت هي ملكاته الفريدة وقدرته على التعمق في فحص ما في ذاته من اضطراب عصبي وقلق وترجمته الى قصص فاقت أنفاس من يقرؤها .

ازدواجية الشخصية

كانت فكرة الموت تسيطر على قصص الرعب وعلى بعض القصائد التي كتبها «بو» ، وتدلنا دراسة حياته على وجود مثير أثاره بهذه الفكرة ، التي كانت ، وهي تتحول من تجربة واقعية الى قطعة أدبية ، تتخذ صفة مختلفة وتزيد في الدلالة زيادة كبيرة ... كان «بو» يحاول أن يصل الى نوع من التفاهم أو المهادنة مع فكرة «الموت» ، فهو يعترف بالعلاقة بين النوم والموت ، وبين الغيبوبة والموت وبين العقل المضطرب والموت ... ونحن اليوم نسأل نفس السؤال الذي كان «بو» يسأله قبل قرن ونصف قرن .... هل الموت مجرد حالة عدم التفكير ؟ ...

مشكلات «بو» وجولاته المقيضة في مخاوفه وأحلامه المزعجة هي في الواقع تعبير عن المشكلات التي شغلت أفكار العلماء والفلاسفة عبر التاريخ وهي مازالت تشغلهم حتى اليوم .وفي ذلك تكمن عبقرية «بو» .

على أن أحدا في أمريكا لم يعترف بهذه العبقرية أيام كان «بو» حيا يكتب وينظم ... لم يكن لهذا النبي كرامة بين أهله ... فالذي آمن به في فرنسا كان «بودلير» الذي ترجم بعض نثره و«مالارميه» الذي ترجم بعض شعره و«جاي دي موباسان» الذي تأثر بكتاباته ، وفي انجلترا «اليزابيث باريت» و «تشارلز ديكنز» .

ويدين أدب «بو» بالكثير لتيار الرومانسية الذي تأثر به ، ولأحلامه المحمومة التي سلط عليها قدرة نادرة على نسج القصة المنسوجة من خيوط غير محسوسة ... كان إلا يتلاقى الموضوعية والفورية بين إنتاجه على أسلوب عروس يدعمه ما جاد الكاتب نفسه من مواهب . أما الذي رفع شأنه كناقد والنبي معترف به فهو قدرته على الحكم الصحيح على الأدب في عصره ومثاليته وموهبته الموسيقية كشاعر وقوته الدرامية في سرد القصص .

ويكاد يجمع العارفون على ازدواج شخصية «بو» ... كان رقيقا غاية الرقة مع من يحبهم وكان مزعجا كل الازعاج لمن يكرههم ... وكان هؤلاء يرون فيه انسانا مسطورا مجردا من المبادئ ، على أن الشاعر كان في حالاته العادية رقيقا وكان محتملا لبقا ، يقرأ الشعر ويشعر غيره بصوت رخيم النغمة .

ويمكن أن نلاحظ هذه الازدواجية في فن «بو» ، فهو قادر على أن ينظم شعرا ملائكيا أو شيطانيا وهو قادر على أن يكتب نثرا بليغا سلسا أو نثرا مقبضا ولكنه في أبهات أعماله ودرره الفنية ، استطاع أن يصهر هذا الازدواج في واحد مفرد جمع النقيضين فجعل الحسن جميلا والرعب أجمل .

كان «بو» ناقدا شديدا ما يؤكد في نقده على ناحية سلامة اللغة والوزن والبناء كما أنه وضع للقصة القصيرة قواعد تجمع بين وحدات الزمان والمكان والحركة ، تضاف الى الأثر أو الحالة النفسية ... نادى «بو» طول حياته بالفن للفن ذاته وامتدح الأصالة والابتكار لأنه كان أصيلا مبتكرا مبدعا .

جمال الكنانى

أكذوبة مساواة المرأة بالرجل !

ما هذه الضجة التي تقيمها المرأة العربية ، وما معنى كلمة « المساواة » التي تطالب بها ؟!

هل تدهورت بنا الأحوال الى الدرجة التي أصبحت فيها المرأة - وهي كائن بشري درجة ثانية - تطالب بالمساواة بالرجل الذي لولا وجوده على الأرض ، لظل هذا الكوكب كما كان عند خلقه الأول - مكونا من الماء والطين ؟!

عدد كبير من الرجال - واضح انهم من ضعاف العقول - مضوا يدافعون عن المرأة بطريقة مضحكة ويقولون انها لا تختلف عن الرجل بدليل وصول بعض النساء الى المراكز العالية ، مثل المرأة التي أصبحت كبيرة للوزراء في بلاد السند والهند ، ومثل بضع نساء في البلاد « البرانية » جلسن على كراسي الحكم ، فضلا عن كثيرات في بعض مراحل التاريخ ، كالمرأة المسماة بشجرة الدر ، والأخرى التي تسمى كليوباترا ، وتلك التي تدعى فيكتوريا ، علاوة على الملكة العربية التي يطلقون عليها اسم « زنوبيا » .

لكن هذا الكلام لا ينطلي علينا لسبب بسيط .. هو أن النساء المعاصرات اللاتي وصلن الى كراسي الحكم يعشن في بلاد بعيدة لا نعرف عنها شيئا ومن ثم لا نستطيع أن نحكم ان كان هذا قد حدث أو لم يحدث ، وبالتالي فلسنا مطالبين بالرد على موضوع نجهله !..

اما الشخصيات التاريخية ، فان (كليوباترا) ما هي الا امرأة من بلاد ما وراء البحر ، حكمت بلادنا بطريق الخطأ ، والخطأ لا يصح أن يكون قاعدة ، ونفس هذا ينطبق على (شجرة الدر) التي نعلم جميعا انها بيعت لنا من بلاد مجهولة ، وقد قبلنا شراءها خوفا عليها من (البهدلة)! لكنها طلعت لنا في (الانظرون) !

بخصوص المرأة المسماة بفيكتوريا التي رضي الانجليز بأن تحكمهم ، فكلنا نعلم أن بلاد هؤلاء الناس باردة جدا . وهذه البرودة هي التي تسببت في افتقار رجالهم الى الشهامة التي نتميز بها نحن أبناء المناطق الحارة . بدليل أن الروس المعاصرين يريدون الوصول الى المياه الدافئة بغرض تعليم رجالهم بالشهامة التي يحسدوننا عليها !

المرأة الوحيدة التي تنتسب الينا حقا ، تلك التي تدعى « زنوبيا » ملكة « تدمر » .. ونحن نعترف بأنها جلبت لنا العار وفضحتنا في العالمين ، لكننا نحب أن نقول انها امرأة غير طبيعية ، فقد كانت منذ صغرها تدخن السجائر ، وقد حاول أبوها أن يقتلها فلم يستطع ، فاضطر الى أن يتبرأ منها ، وهذا الكلام ثابت رسميا في مكاتب السجلات المدنية لمملكة « تدمر » !..

فاذا انتقلنا الى زاوية أخرى ، وجدنا بعض الرجال من ضعاف العقول يقولون ان الحضارة التي بلغها الرجل هذه الأيام كان من المستحيل قيامها لولا وجود المرأة



لأنها هي التي أنجبت الرجل وأرضعته وأدفأته في حضنها الحنون ، وتولته بالرعاية حتى استوى على قدمين .. كذلك يقولون انها أخته وحبيبته وزوجته التي تشجعه وتدفعه الى الأمام ، وتفخر بكل تقدم يحرزه ، وتمسح على جراحه اذا ما ادلهمت الدنيا وغاب القمر ..

نقول لضعاف العقول هؤلاء ، اذا كانت هي أمه التي أنجبته وأرضعته وأوته في حضنها الدافىء ، فان هذه التصرفات من بقايا المجتمعات البدائية الموغلة في القدم والتي نربأ بأنفسنا من الأخذ بها .. ذلك لأن أبسط وزارة زراعة في العالم ، اذا ما أرادت أن تغرق الأسواق بكميات من الدجاج الطازج ، فما عليها الا أن تحضر بضع ملايين من البيض ، ثم تفقسها بالوسائل الصناعية ، فلا تمضي أيام حتى تجد أمامها ملايين الكتاكيت ذات الأشكال التي تسر الناظرين .. فاذا كنا نطرح في الأسواق هذه الكميات الهائلة من الدجاج الطازج ، وبهذه البساطة ، فهل يستعصي علينا طرح ملايين الأطفال - الذكور - بنفس الطريقة ؟!

اما حكاية انها أخت الرجل وحبيبته وزوجته التي تمسح على جراحه عندما تدلهم الدنيا ويغيب القمر ، فهذا كلام غير مقنع ولذلك قررنا عدم الرد عليه .. والدليل على انه غير مقنع هو قولهم بأنها تمسح على جراحه عندما يغيب القمر ، بينما أبسط انسان يعرف أن القمر يغيب حقا ، لكنه يعود ويطلع في أول الشهر !..

بعض ضعاف العقول يقولون ان « المساواة » أصبحت حقيقة واقعة ، فلو نظرنا حولنا لرأينا المرأة في كل حياتنا .. فهي طبيبة وصحفية وممرضة ومهندسة وأديبة وأستاذة جامعية ، فاذا لم تكن بالعدد الذي عند الرجال ، فالسبب يعود الى ظلم الرجل التاريخي لها الذي عجب عنها هذه الأعمال .. ويضيفون بأنها كثيرا ما تفوقت على الرجل في هذه المجالات ، فلا داعي لدفن الرؤوس في الرمال ،

عبد الوهاب الأسواني

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن بعض (الشاغبات) قد تسللن الى هذه الاعمال — في غفلة منا — لكنا لا نألو جهدا في هز الثقة في أنفسهن ، ونرجو أن نتمكن — بإذن الله — من أن نملأ نفوسهن بالعقد النفسية حتى تعود السيادة الينا من جديد بصفتنا كائنات درجة أولى !

أما حكاية أنها استطاعت في بعض هذه الاعمال أن تتفوق على الرجل ، فإن هذا يحدث — والحق يقال — في بعض الاحيان .. لكن هذا لا يدل على أنها يمكن أن تصل الى مرتبة المساواة بالرجل ، لأنها ستظل متخلفة في الحرب ووسائل الحرب .. ونحن نتحدى ضعاف العقول هؤلاء أن يدلونا على امرأة واحدة اخترعت طائرة — تلقي بقنابلها فوق الناس — أو صاروخا عابرا للقارات — يدمر المصانع — أو دبابة تفتك بالبشر ، أو يدلونا على امرأة واحدة أشعلت حربا عالمية أو حتى محلية على نطاق محترم يملأ العين !

لا يوجد ..

بينما الرجال — حفظهم الله — قدموا الكثير في مضمار الحرب التي هي القياس الحقيقي للعظمة الانسانية ، لأنها السبب في وجود الفن كما أخبرنا بذلك رجل مهم من أصحاب العقول النظيفة !

لقد استطاع هتلر — مثلا — أن يشعل حربا عالمية ، وقد نجح — مساه الله بالخير — في أن يجعل النار تندلع على الكرة الارضية من أولها البحري حتى آخرها القبلي ..

ولو كان هتلر هذا امرأة — لا قدر الله — لكان هش القلب ، ولرفض أن يهدم المدن فوق رؤوس أهلها ، ومن ثم لحرمنا من أفلام الحرب العالمية الرائعة التي نستمتع بمشاهدتها الآن ، ونحن نتحدث في هدوء ونشرب شاي العصر !

ولا أحد طبعا — ممن يتشدقون بالمساواة — يستطيع أن ينكر حاجة الانسان المعاصر الى الفن !

الحب.. دائما

شعر : عصام الراوي

ما أجمل أن نحيا حبا
أن نلمس كل الأغصان فتزهر
أن نسقي وردا فلا نرجس
أن نمسح دمعة طفل بك وحزين
أن نمحو عن كل الناس سواد الافكار
أن نرسم فوق الأوراق
وعلى كل جدار
طفلا يضحك

• •

سألوا بنت العشرين
ما معنى الحب ؟
قالت :
عصفور غنى فوق الأشجار
يطرح في قلبي نهر الأشجان
يلبسني ثوب زفاف كل الأيام
سألوا شيخ الخمسين
ما معنى الحب ؟
قال :
يجعلني شابا في العشرين !
ما أجمل أن نحيا حبا في كل الاعمار

جمال قطب

روائع الفخار والخزف الإسلامي

● مهما كشفت الحفائر عن حضارات موغلة في أعماق التاريخ. فإن الآثار الفخارية تمثل الجانب الإسلامي والبدائي في مخلفات هذه الحضارات

لاشك أن أقرب الفنون الزخرفية والتطبيقية إلى روح الإنسان، بل وأكثرها التصاقاً بالأرض هي صناعة الفخار والخزف، وإن من يشاهد صانع الفخار، ولاسيما عاجن الطين، وهو يشكل تلك الأواني الأسطوانية المثيرة، ليشعر بقوة الامتزاج بين الإنسان والطين. وصدق الله العظيم: «وبدأ خلق الإنسان من طين»..!

ومن الطبيعي أن تكون آثار الخزف والفخار هي أول ما يعثر عليه المنقبون بين الأطلال، فهي من التراب، وتبقى في باطن الأرض ما بقيت الأرض نفسها؟ وإذا كانت معظم مخلفات التراث الإنساني تتكلس وتتحجر بين طبقات التربة وترسبات الأزمان، فإن الآثار الفخارية بحكم تكوينها لا تقبل المزيد من التحول أو التحجر أو الانصهار كغيرها من الخامات الأخرى.

ولقد تقدمت فنون هذه الصناعة في العصور الإسلامية تقدماً كبيراً؛ إذ فتح الإسلام أقطاراً كثيرة ذات تراث عريق في مضمار هذا الفن، وخصوصاً في إيران والعراق ومصر والشام، ولكن صناعتها قبيل الفتح الإسلامي أخذت في التدهور للخلل العام الذي أصاب هذه البلاد حينذاك. وبظهور الإسلام وإنشاء المدارس الفنية في عهوده المزدهرة، وجدنا أن الانتعاش يدب في كل مرافق الحياة، ويعبر الفن عن تلك الروح المترفعة المقدسة. ووجدنا أن فنون الفخار والخزف قد بلغت حد الروعة في إيران والعراق ومصر بوجه خاص.

ولم يكتف الفنان المسلم بزخارف الأرابيسك المعروفة، بل اقتبس كثيراً من الوحدات الشهيرة من الفن الصيني حيث كانت معظم أقاليم الإمبراطورية الإسلامية تستورد كميات كبيرة من الخزف الصيني الشهير، وذلك ما كشفته حفائر البحث الأثري في الفسطاط وسامرا وغيرهما من مراكز الإنتاج الفني في عهود الإسلام المختلفة. ومن هذا الامتزاج توصل المسلمون إلى صناعة الفخار المطلي بالمينا، وأجادوا تشكيله وتلوينه، وابتكروا عدة ألوان منه مثل السلادون وتقليد البورسلين.

[illegible]

ومهما كشفت الحفائر عن حضارات موغلة في أعماق التاريخ، فإن الآثار الفخارية تمثل الجانب الإسلامي والبدائي في مخلفات هذه الحضارات، مما يؤكد أن الفخار قد يكون أقدم صناعة عرفها البشر، وهو يصنع من الطين المحروق دون طلاء، ومن خواصه أنه هش كثير المسام، وطينته أكثر سمكاً وأقل نقاء من طينة الخزف. ومن المناظر المألوفة أن نرى الأواني الفخارية في استعمالات حفظ المياه وتبريدها وتقليلها نظراً لوجود المسام في جدران هذه الأواني. أما زخرفتها فقد عرف الصناع المسلمون طرقاً عديدة لها مثل النقش البارز والحفر الغائر والطبع بالأختام. وفي بعض الصور طليت المصنوعات الفخارية بالألوان (المينا) وخاصة في عصر المماليك، إذ نرى أمثلة منها في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة. ويبدو أن هذا الفخار الملون كان صناعة خاصة لأغراض الطبقات الموسرة والحكام، فقد نقش على كثير منها أسماء بعض أمراء المماليك مثل (السيف قرجي) والسلطان الملك الناصر وغيرهما. وقد تميز هذا الأسلوب بالزخارف الكتابية بالخط الثلث متداخلة بوحدات الأرابيسك الشهيرة.

وكانت ألوانه بالمينا تحتوي على الأصفر والأخضر والبني، وعليها تحفر الزخارف حتى تصل لجدار الإناء.

فن رفيع

عرفنا أن الفخار له طابع البدائية والبساطة في تشكيله وحرقه، وتطور صناعته أصبح بزخرفه ببعض النقوش والكتابات، وأقصى ما وصل إليه هو تزيينه بألوان المينا لبعض الاستعمالات الخاصة. أما الخزف فهو محور اهتمامنا في استعراضنا اليوم كأحد الإبداعات الرفيعة التي اشتهر بها الفنان المسلم على مر العصور، فنجد أن المصنوعات الخزفية تتركز أساساً في صناعة الأواني، وتتفرع إلى أغراض وأدوات شتى مثل الأحواض والشمعدانات والمسارج والقناديل، وقد ذاع استعمال بلاطات القاشاني في التكسية والتبليط. أما الفسيفساء الخزفي فله شهرة كبيرة، ويعتبر من أشهر فنون الزخرفة الإسلامية؛ وهو عبارة عن فصوص وأشكال مختلفة الأحجام والتكوين، يجمع بعضها إلى بعض وتثبت من الخلف بمادة لاصقة تملأ التجاويف بين هذه الجزئيات، فتتماسك في تشكيلات وزخارف متكاملة تثبت على المسطحات المعدنية المعدة لتزيينها بالفسيفساء. أما السلادون وتقليد البورسلين، فيصنعان من عجائن مختلفة ولكنها بدورها أكثر صلابة وتماسكاً من عجينة الخزف، وأكثر استعمالها عادة يكون في صناعة الأواني.

مراحل الإبداع

تمر صناعة الخزف بعدة مراحل أهمها:

أولاً: الحصول على الطينة



المناسبة . وهي تختلف من بلد إلى بلد ومن جهة إلى أخرى . لذلك فهي تتفاوت في جودتها تبعاً لأماكن انتاجها ومكونات عناصر التربة فيها . ومن أجل ذلك يعكف الباحثون على تحليل الطينة ومكوناتها في الآثار المكتشفة . ومن هذه النتائج يمكن تحديد موقع الصنع والعصر والطراز .

ثانيا : تعجن الطينة ثم تشكل إلى مختلف الأغراض المطلوبة . وكان التشكيل يتم باليد في بادئ الأمر ، ثم استعان الصانع - بحكم أصابعه الماهرة المدربة - ببعض الآلات الدقيقة ، كما استخدم الدولاب أو العجلة في تدوير الطين وتصويره في مختلف الأشكال الاسطوانية .

ثالثا : تلوين الأواني بالبطانة (طلاء عام كأرضية قبل عملية الزخرفة) ثم تحرق في أفران خاصة ، ثم تطلى بالطلاء الزجاجي ، وقد يستخدم التذهيب والأنواع الأخرى من الدهانات الملونة حسب رغبة الفنان ، ثم يعاد الحرق مرة أخرى لتثبيت الطلاء ، وربما تكررت عملية الطلاء والحرق عدة مرات حسب التقطية الزخرفية وعدد الألوان المستخدمة وأنواعها .

ومن الملاحظ أن عملية صناعة الخزف يشترك فيها عدة متخصصين ، لكل منهم مهمة محددة : كالعجان والخزاف والحراق والمخروف وهو الفنان الذي يلعب الدور البارز في الابداع ويحدد الطابع الفني الخاص .

ومن أشهر أماكن صناعة الخزف الإسلامي : بغداد وسامرا والموصل في العراق والري وقلشان والسوس في ايران ، والفسطاط والقاهرة والفيوم في مصر ، ودمشق والرقة في الشام ، ومالقة وغرناطة في الأندلس ، والإبط

آنية محلاة بالخط العربي والزخارف النباتية



- الخزف الإسلامي ينقسم إلى عدة طرز، بعضها دولي .. والآخر اقتصر على الطابع المحلي
- عندما هاجر الخزافون المصريون إلى مدينة قاشان

وكوتاهية في آسيا الصغرى . وقد ذكرت المصادر التاريخية أنه كان في أزنيق ثلاثمائة مصنع للخزف في عهد السلطان احمد ، وفي أسطمبول عثر على كتاب عبارة عن رسالة مفصلة تشرح دقائق صناعة الخزف ، كتبها عبد الله بن علي ابن محمد بن ابي طاهر في قاشان سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠١م) . كما أن كثيراً من توقيعات الفنانين قد امتزجت بخارفهم في كثير من آثار الخزف الإسلامي ، ونقرأ على سبيل المثال توقيعات : مسلم وسعد وعبد الله ويحيى بن التوريزي وشرف الابواني .. وكثير غيرهم .

الفنون الخزفية

وينقسم الخزف الاسلامي الى عدة طرز ، بعضها اتخذ الطابع الدولي وانتشر في كثير من الأقطار العالم والبعض الآخر اقتصر على الطابع المحلي ذي الملامح الاقليمية المحدودة . وكان الطراز ينقسم بدوره الى عدة طرز ثانوية أو فرعية حسب اختلاف المكان والزمان والفنان المزخرف وطريقة الصنع والتشكيل . ومن أهم هذه الطرز نوع أصطلح على تسميته (الخزف ذو البريق المعدني) ، وهذا النوع قد احتل مكان الصدارة في الشهرة العظيمة ؛ لأنه فن من ابتكار اسلامي خالص ، وكان هذا الخزف يدهن أولا بدهان أبيض أو مائل للزرقة أو الاخضرار ، ثم يحرق ثم يزخرف بطلاء الأكاسيد المعدنية ، ويحرق مرة أخرى ببطء لتتبخر الأكاسيد ويبقى الطلاء المعدني الذي يتخذ بريقا يشبه بريق الذهب ، ومن المعروف أن الاسلام يحرم استعمال الأواني من الذهب والفضة ، ولذلك فقد ابتكر المسلمون هذا الأسلوب ذا البريق الذهبي ليشيع روح الترف مع مراعاة تعاليم الدين الحنيف . وقد انتشر هذا النوع من الخزف في أقطار اسلامية كثيرة كالعراق وإيران ومصر والشام وشمال افريقيا والاندلس ، كما عثر على بعض الآثار في شبه الجزيرة العربية ، ولم يقتصر هذا الطراز الرائع على فترة زمنية معينة ، بل وجد في عصور اسلامية مختلفة .

ومن أشهر آثار الخزف ذي البريق المعدني ما عرف بخزف سامرا حيث وجدت نماذج كثيرة منه في أطلال مدينة سامرا ، وترجع الى بداية نهوض الفن الإسلامي في القرن الثالث الهجري ، وانتشر أسلوب خزف سامرا في أقطار عديدة ، ولكنها تنتقل من قطر إلى آخر . ومما يجدر ذكره أن صناعة الخزف في أوربا قد تأثرت بالخزف الإسلامي في طريقة تشكيله وزخرفته وتلوينه ، كما ذكرت المراجع العلمية ، وفي أوائل هذا القرن ، كان الفنان الأشهر « ماتيس » يتربع على عرش الابداع في الفن الحديث ، واعترف بأنه عندما زار معرض الفن الإسلامي الذي أقيم في مدينة ميونيخ بألمانيا عام ١٩٠٣ ، عاد بعد أن درس فن تلوين الخزف الإسلامي ، واقتبس من هذه الألوان بهاءها وروعة توافقها وتكوينها ، ولذلك أطلق عليه (ملك الملونين) في العصر الحديث !

الخزف الإسلامي

وإذا رجعنا الى عصور الاسلام منذ العصر الأموي ومرورا في أواخر طريق الإبداع بالعصر الصفوي في إيران حيث زخرت مدينة أصفهان بالروائع الخزفية التي نافست إنتاج الفنانين الصينيين وتفوقت عليه ، حتى نصل الى العهد العثماني بروائعه الخزفية الشهيرة ، لوجدنا أن العهد الأموي لم يكتشف من آثاره الخزفية ما نستطيع من خلاله أن نحدد ملامح المدرسة الفنية الأموية ، وكما هو معروف عن هذه الفترة تسمى في نظر الباحثين فترة الانتقال من فنون ما قبل الإسلام إلى الفن الإسلامي بملامحه المميزة . ولكن استعمال الفسيفساء وهي احدى مشتقات الخزف كان واضحا بشكل رائع في قصر الحير الغربي الذي اكتشف منذ خمسين عاما (١٩٣٠م) على الطريق الذي يصل بين دمشق وتدمر ، وترجع نسبته الى عصر هشام بن عبد الملك (حيث وجد اسمه منقوشا على جدران هذا القصر) وربما كان ذلك في عام ١١٠هـ وكان طبيعيا أن قصر الحير التقاء التيارات المختلفة في الأساليب الفنية خليطا من الفن الاغريقي والفن الساساني .

وما إن حل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) حتى وجدنا نهضة

خزف من القرن العاشر الهجري في عهد العثمانيين











إسلامية في صناعة الخزف . ويرجح المؤرخون سببها إلى التحف الخزفية التي استوردها الخلفاء العباسيون من الصين في عهد أسرة (تانج) والتي حكمت الصين ما بين ٦١٨ و ٩٠٨ ميلادية . وقد أجاد الفنانون المسلمون تقليد هذا النوع من الخزف لدرجة يصعب - بل يستحيل أحيانا - التمييز بين ما هو أصلي من الصين وما هو محلي إسلامي . وكما أسلفنا في أول هذا المقال ، فقد ابتكر المسلمون الأواني الخزفية ذات البريق المعدني لتحل محل الأواني الذهبية والفضية التي حرم الإسلام استعمالها . وهذا الخزف ذو البريق المعدني هو فن إسلامي خالص . ومن العباسيين في العراق انتشر هذا النوع إلى باقي أنحاء الإمبراطورية الإسلامية ، وخاصة في مصر ، حيث عثر بين أطلال مدينة الفسطاط على عدد وفير منها ترجع إلى العهد الطولوني . كما اشتهر إقليم (جاروس) الإيراني وكذلك ازدهر إقليم خراسان بإجادة هذا الخزف وتميز بزخارف العناصر الحية والكتابة في نقوشه الإسلامية .

أما الأواني الخزفية في العهود الفاطمية في مصر فقد تطورت زخارفها برسوم تشكيلات فن الأرابيسك الرائعة ممتزجة بالخطوط والكتابات ورسم الحياة الشعبية المصرية كموضوعات متكاملة تتوسطها في بعض الأحيان صور لشخصيات معروفة في الحياة العامة .

فن السلاجقة

ومن المعروف في استعراض مسيرة الفنون عامة عبر العهود الإسلامية المختلفة ، أن عهد السلاجقة كان عهد تألق وازدهار ، فقد هاجر الخزافون المصريون بعد سقوط الدولة الفاطمية عام ٥٦٧هـ (١١٧١م) ، والتحقوا بخدمة السلاجقة ، وشاعت شهرة مدينة قاشان ، وفي العصر المغولي ، حافظ المغول على الأساليب السلجوقية التي كانت سائدة وشجعوا الفنانين ، وأغرقوهم بالطلبات الخاصة من فنون الخزف الراقي ذي البريق المعدني كمظهر من مظاهر السلطة والتفوق ، واستحدثوا نوعا فريدا في الفن الإسلامي عامة وهي التماثيل الخزفية من آدمية وحيوانية .

ويحتوي متحف المتروبوليتان بنيويورك حاليا على مجموعة نادرة منها ، ومن أهمها تمثال على هيئة طائر برأس آدمي عثر عليه في مدينة الري ويرجع إلى القرن السابع الهجري .

أما العصر السلجوقي في تركيا ، فقد عثر بين أطلال قصر قونيه وقصر قباد على بلاط خزفي بألوان الميناء يشبه في زخارفه وطريقة صنعه ما عثر عليه في عهد السلاجقة في إيران . أما السلاجقة في سوريا (حكم الأتابكة) فقد تمركزت صناعة الخزف ذي الزخارف النباتية والكتابية في دمشق والرصافة والرقة على نهر الفرات .

تحف الأندلس

لم يعرف الخزف ذو البريق المعدني في الأندلس إلا في القرن الثامن الهجري . وقد يكون ما وجد منه قبل ذلك مستوردا من مصر والعراق . وعندما أنتج الفنانون المسلمون المصنوعات الخزفية في بلاد الأندلس ، وصلوا بها إلى قمة الإجادة ، مستخدمين الزخارف الهندسية

والنباتية متداخلة في توافق فني مع العبارة الشهيرة (لا غالب إلا الله) ، وكانت شعار ملوك غرناطة وقد شاع استعمالها في جميع نقوش ذلك العصر الذهبي . واشتهرت عدة مراكز لإبداع فن الخزف مثل مالقة وغرناطة . ثم انتقلت هذه المراكز الى مدينة (بلنسية) وتخصصت مدينة (منيشة) في الخزف ذي البريق المعدني ، وبهذا اصبحت اهم مراكز التصدير الى الدول الاوروبية ، لذلك لم يكن غريبا ان يعثر بين الآثار الاندلسية على الكثير من الأواني الخزفية وقد نقشت عليها الشارات الاوروبية والرسوم القوطية متداخلة مع زخارف الارابيسك الإسلامية ، فقد كانت هذه التحف تطلب من مراكز الانتاج في الاندلس لتصديرها لمختلف الدول .

عهود الإنتقال

كانت آخر العصور المجيدة للفن الإسلامي ممثلة في العصر المملوكي في مصر وسوريا والعصر الصفوي في ايران والعهد العثماني في تركيا . فقد ازدهرت فنون الخزف في مصر وسوريا تحت حكم المماليك ، وابتكرت انواع ذات مستوى رفيع من نوع البريق المعدني تشبه الخزف الصيني ، بل وتفوقت عليه من حيث إجادة صنعها وروعة زخارفها الإسلامية ذات الوحدات النباتية والخط العربي الرشيق .

اما في ايران فقد كان العصر الصفوي عهدا ذهبيا للفنون الإسلامية كافة وللتحف الخزفية خاصة حيث نجح الخزافون في اوائل القرن السابع عشر الميلادي في انتاج نوع راق من الخزف الشفاف هو البورسلين ، ولا تفوق الى منتصف الذي كانت تنتجه الصين في عهد اسرة (منج) . وقد نجح الفنان عنابر فنا الفن الرفيع واستقبلوا تحضيرها كثيرا من القصص الصينيين ، ومن اجل الفن البريق الزخارف . فنقلوا الارابيسك الإسلامي ورسم القصص والطيور والحيوانات الصينية ، منفذة بنفس الاسلوب الصيني الشهير وبالوانها الزرقاء التقليدية ، وسيطرت مصانع كرمان ومشهد . وتألقت مراكز الانتاج في اصفهان التي ابتكرت الامن التحف الخزفية ذات اللونين الذهبي والاحمر النحاسي ، وتخلص الفنان تدريجيا من وحدات الزخارف الصينية ، واخذ يستلهم رسومه من الحياة العامة ، فوجدناه يبدع مناظر وحدات الزخارف واخذ يستلهم رسومه من الحياة العامة ، فوجدناه يبدع مناظر الحفلات والحدائق ورحلات الصيد ومجالس اللهو ومختلف مظاهر الحياة الايرانية .

> ● آخر العصور المجيدة للفن الإسلامي ممثلة في العصر المملوكي في مصر وسوريا والعصر الصفوي في ايران

واشتهرت زخارف البلاطات الخزفية المجمعة لتزيين القصور والمساجد وغيرها من الابنية .

وفي العهد العثماني في تركيا ، لم تزدهر صناعة الخزف الا في اوائل القرن السادس عشر الميلادي في مدينة (ازنيق) ويمكننا تقسيم الخزف التركي الى ثلاث مراحل : الاولى ، وقد تأثرت بالنماذج الصينية التي راجت في العصرين المغولي والصفوي ، والثانية ، وتمتاز بزخارفها النباتية وخاصة استخدام الزهور المحورة كأزهار القرنفل والسوسن وقرن الغزال . اما النوع الثالث ، فقد عرف بنقوشه من الحيوانات والطيور بجانب الوحدات النباتية والازهار التي كانت سائدة في المرحلة السابقة ، والمشاهد لقصر السلطان مراد الثالث وقصر (توبكابي) الذي شيد عام ١٥٨٩م ، يرى حشدا رائعا من زخارف البلاطات الزخرفية تعتبر آية من آيات الفن الخالدة ، والتي اكسبت العصر العثماني طابعا فنيا فريدا .

... وهكذا وزع الفنان المسلم لمسته الواعية على كل مظاهر الحياة الإنسانية ، وترك مصنفاته المبدعة تثير الاعجاب ابدا ، وتبعث الامل في نفوس بني البشر عبر التاريخ .

جمال قطب



خزف من استانبول من المتحف العربي السادس عشر حتى القرن الثامن عشر


كمال سعد
بازمان الأندلس
المدن التي علمت أوروبا كل فنون المعرفة
وأغنت الحضارة الإنسانية





باقية أوراق البرتقال مشبعة برطوبة العطر المنهمر في الدروب الضيقة!

ضاع الهدف الذي ظل يحارب من أجله فرحى أوراقه.. وسكب مداده، واعتزل الحياة

قرطبة ، وغرناطة ، واشبيلية ، قطع من عقلى وقلبى وتراثى الذى أضاء الدنيا فى ساعات حالكة الظلام .

وأثناء تجوالى فى المدن الثلاث فى أسبانيا ، وتحلقى بذيل أعمدتها وأسوارها ومبانيها الشامخة الشاهدة على مجد غابر ، كنت أجد نفسى ـ مثل غيرى ـ لا أملك غير القول : آه يازمن الأندلس .. فالجرح فى أعماقنا غائر .. وعقولنا إمتلأت بالطلاسم والتعاويذ والخرافات التى جعلتها عاجزة عن الاستقراء والتأمل .. وقلوبنا هائمة لا تعرف أين المستقر .. ووجوهنا تفضحها دهشة الغريب ونظرة العاجز القليل الحيلــة !

ولكن ما جدوى تأنيب الضمير والنفس ما دمنا نتناسى أن شعلة الفكر هى التى أخرجت للعالم قمة الحضارة العربية العظيمة ؟! .. وما معنى الندم إذا كنا لم نستوعب دروس التاريخ التى أكدت أن عزائمنا لم تضعف وعقولنا لم تنطفىء إلا عندما ألهمنا ظهر كل صاحب موهبة وأحطناه بالخمول واليأس والإرهاق !

إننا ـ بصراحة ـ فى حاجة هذه الأيام الى تلك الروح التى قدمت لنا هذا التراث العربى الاسلامى الذى منحته لنا تلك المدن ، والذى كان خير معلم لأساتذة أوربا فى جميع علوم المعرفة التى أغنت وصنعت الحضارة الإنسانية

إعتزال المؤرخ

فى البداية ، أجد نفسى فى مدينة قرطبة ، حاضرة الأمويين ، ذات الحقول







العتيقة بسنابل القمح، والتي تتناثر أشجار زيتونها حتى الجنوب، وتبعد عن العاصمة مدريد بما لا يزيد عن ٤٠٠ كيلومتر!

ومنذ لحظة وصولي للمدينة الممتدة في سفح سلسلة جبل قرطبة عند منحنى الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير جواد لكثير، بهرت في عبق مبانيها الأوروبية الحديثة، وأرتعت في أحيائها العربية، لأشم عواءها المشبع برطوبة العصر المنهار في الدروب الضيقة المتعرجة، وأتنفس شذى أوراق برتقالها وزهورها الذي حملته الى أنفي حدائق البيوت الناصعة البياض. التي جعلتني أتذكر قصة عمرها أحد عشر قرناً، ولعل بطلها لم يبتعد كثيراً عن المكان، فهو رجل آمن بأن التاريخ لا يكتب إلا من خلال موقف، وأنه بدون النظرة الشاملة والتحليل العميق لن يكون إلا مسجلاً لكل ما يجده أمامه من حقائق أو أكاذيب، ولذا فإن مقياس الأحداث عنده ينبع من التزامه بالوحدة الكبرى التي تمت في ظل الخلافة الأموية، ولذا فقد أخذ على نفسه بأن يكون عاصفة في وجه أي خلاف يراد به شق الصفوف، وشرع قلمه ناقداً في قسوة كل الذين حاولوا الخروج على الدولة الأموية إلى أن حدثت الكارثة العظمى التي قسمت الأندلس الى دويلات صغيرة، وهنا قال في شجاعة لكل معاصريه: لقد انتهت مهمتي كمؤرخ بعد أن رأيت وطني في ظل الذبح وهو مشرف على الزوال!

واعتزل.. فعلاً.. عالم التاريخ العظيم



ان حيل الانتاني... ورأس أوروبه وشكت... فقد أعلن بأن دوره كمؤرخ قد انتهى بتحقيق الهدف الذي ظل نصيراً من أجله... من الشرقية الاسلاف واتباعها... الشريفة.

وهنا استوقفني أحد الأولاد الذين تعودوا مصاحبة الأفواج السياح الذين قادتهم أقدامهم الى تلك الأزقة، وأخذني لأرى بيتاً به نافورة وسط حديقة فيحاء،

ودلفنا الى الممر عبر ممر صغير مزينة جدرانه بزخارف عربية، فوصلنا الى صحن البيت، وهو مكشوف، أرضيته من الرخام، وتطل عليه جميع حجرات البيت عبر مظلة صغيرة تستند الى أعمدة غاية في الرشاقة والجمال!

إلا انني سرعان ما تخلصت من الرجل بعد أن طاردتني قصصه الملفقة عن تاريخ الفتح العربي، التي تعود على سردها مع كل من سبقوني.

فقصة وصول العرب الى الاندلس واضحة كل الوضوح، وليس فيها لبس أو غموض، وبدايتها كانت عند سيطرة المسلمين على الشاطئ الافريقي، فيما عدا حصن واحد هو سبتة الذي استطاع حاكمه «يليان» المرتبط بالامبراطورية البيزنطية الضعيفة المتهاوية أن يمنع سقوطه بسبب حكمته وتقربه من قائد الفتوحات الاسلامية موسى بن نصير، ومن القائد الشهير طارق بن زياد.

وكان هذا الحاكم هو أول من وجه أنظار المسلمين الى الشاطئ الاسباني بل وعرض عليهم كل ما يملك من سفن لتحقيق الغزو والتخلص من خصمه اللدود «لذريق»!

وقام طارق بن زياد بقيادة جيش قوامه سبعة آلاف مقاتل، نقلته سفن حاكم سبتة على دفعات الى الشاطئ، وبعد بضعة شهور من عبور طارق بن زياد المضيق البحري الفاصل بين اسبانيا والمغرب، كان المسلمون على أبواب طليطلة، ولحقهم جيش آخر أتى من القيروان في تونس بقيادة القائد العربي

مرح الفنان والحفلات الجماعية بين الأروقة القديمة



قرطبة بسحرها الذي أوحى للشعراء بقصائد خالدة

مازالت قرطبة المدينة الساحرة في إسبانيا، رغم شهرتها الحقيقية!

العروس التي ظلت مجرد أطلال حتى هذا القرن بعد أن أحرقوا قصورها وبساتينها الغناء!



رأيت عبقرية المهندس والمزخرف العربي في محراب المسجد الجامع وفي أقواسه المزهرة الضخمة!

موسى بن نصير الذى اتم الفتح وركز اسس الحكم الاسلامى ، ناقلا معه اساليب الفكر العربى ، بما فى ذلك اللغة العربية وادابها ..

إلا ان مجد مدينة قرطبة لم يبدأ ، إلا عندما هرب الامير الاموى عبد الرحمن الداخل من دمشق الى الاندلس عقب سيطرة العباسيين ، ووصل الى قرطبة عام ٧٥٦م ، وبدأ يجمع شتات الدولة الإسلامية فى الاندلس ، واتخذ من المدينة عاصمة لملكه ، واسس قصرا خارجها سماه الرصافة ، وشيد مسجدا اسلاميا فى أواخر عهده ، وترك لخلفائه من بعده روح العلم والحضارة ، الى ان قام البربر بحركتهم فدمروا القصور وبعثروا الكنوز وانتشرت من بعدهم الفتن والحروب الأهلية ، التى اسقطت قرطبة - قلب الحضارة الاندلسية - قبل منتصف القرن الثالث عشر ، ومن بعدها انهارت المدن والممالك العربية فى الاندلس ، واضطر فى النهاية ، ابو عبد الله ، إلى اجراء مفاوضات سرية مع اعدائه لتسليم مدينة غرناطة ، وانتهت المفاوضات بدخول فرديناندو ملك الارغول وزوجته ايزابيل ملكة قشتالة الى المدينة فى عام ١٤٩٢م ، معلنين زوال الدولة الاسلامية فى الاندلس ، بعد خروج « ابى عبد الله » اخر ملوك الاندلس من المدينة باكيا ، وصوت امه يصرخ فى وجهه :

إبك مثل النساء ملكا مضاعا
لم تحافظ عليه مثل الرجال

المسجد الجامع

ورغم ان مدينة قرطبة تعتبر اليوم سوقا عامة للقمح والزيتون والشعير والنبيذ والحمضيات ، فهى مازالت المدينة التاسعة فى اسبانيا ، ومازال سكانها الذين يصل عددهم الى ٢٥٠ الف نسمة ، يفضلون توجيه اقتصادهم نحو الانتاج المتمثل فى الصناعات الشعبية التى تعتمد على اشغال الذهب والنحاس والجلود ، فهى الأكثر رواجا فى مدينتهم التى كانت فى القرن الثانى عشر الميلادى مركزا طبيا لاوربا ومكانا بارزا للمهتمين بالفلسفة وعلم النبات وعلم الفلك والتراجم الانسانية ..

والغريب ان سكان المدينة انفسهم يقولون لك ، انه بينما كانت اوربا غارقة فى ظلام الجهل ، كانت مكتبة مدينتهم فى القرن العاشر الميلادى تحتوى على ٤٠٠ الف مجلد ، وكان بالمدينة ٧٠٠ مسجد و ٩٠٠ حمام !

واثناء تجوالى فى احياء المدينة القديمة ، وجدت ان السور الضخم الذى كان يحيط بهـــا قد اصبح داخل الاحياء القديمة نفسها .. وهو اثر من الاثار العربية الباقية التى يدخل فى نطاقها قنطرة الوادى التى تطل عليها قلعة الحرة التى كانت مخصصة لزوجة الخليفة ، والازقة الضيقة القديمة فى المسجد الجامع بما فيها من بيوت تحتفظ بطابعها الاندلسى ، ويضاف لكل ذلك مدينة الزهراء عند جبل العروس على مسافة اربعة كيلو مترات من قرطبة ، والتى كانت الشاهد الصامت على الاناقة فى الماضى ، واستمرت بقصورها الشامخة وسقفها العالية وحدائقها وحوضها الكاسرة ونافوراتها الفخمة التى نهبت من آخرها منذ تسعة قرون عندما استولى البربر على المدينة واضرموا النار فيها ، لتظل حتى هذا القرن مجرد اطلال ، لولا ان بدأوا فى السنوات الأخيرة فى ترميم جزء كبير منها ومحاولة الكشف عن اثارها التى دفنت على مر السنين !

أما المسجد الجامع ، فمازال يعتبر اكبر مسجد اقيم فى اوربا ، ويسمونه الآن المسجد الكاتدرائية ، بعد ان وضعوا الى جوار مئذنته عند البوابة الخارجية برجا عاليا للاجراس واقاموا بين اعمدته الهيكل !

والمسجد الجامع فى قرطبة مقام على مساحة هائلة ، تربو على ١٢ الف متر مربع ، وله سقف يرتفع الى تسعة امتار ، تحمله اكثر من ١٢٠٠ سارية رخامية رفيعة ، وتبدو الاقواس المزدوجة مرهفة دقيقة الصنع محتفظة بلونيها الأبيض والاحمر ، بينما يظل محرابه تحفة معمارية رائعة تتجلى فيها عبقرية المهندس والمزخرف العربى !

وهذا المسجد الذى يطل على ساحة واسعة تكتنفها اشجار البرتقال ، استغرق بناؤه ٢٢٠ عاما ، ووضع اول حجر فى اساسه الخليفة الأموى عبد الرحمن الداخل فى عام ٨٧٠م ، وتوالى على بنائه وتوسعته ثلاثة اخرون من الخلفاء الامويين ، كان آخـرهـم المنصور بن ابى عامر اخر الخلفاء الامويين فى الاندلس !

فراق العاشق

والوقف فى مدينة قرطبة عند نصب تذكارى اقامه الشباب فى ساحة المدينة منذ عشر سنوات للوزير والشاعر والعاشق الخالد ابن زيدون بمناسبة مرور ٩٠٠ سنة على وفاته ، والعجيب انهم وضعوا الى جواره الشاعرة الذكية الطاهرة الذيل ، ولادة بنت المستكفى ، وكلاهما يحلق كفه إلى اعلى مداعبا الهواء وقد اختاروا ابياتا للشاعرة وكانها موجهة الى الشاعر ، وفيها تقول :

أغار عليك من عينى ومـنـى
ومنك ومن زمانـك والمكـان



يا زمان الأندلس



كيف بالغ شباب قرطبة في قصة حب الوزير الشاعر ابن زيدون ؟؟



«جنة العريف» في غرناطة بعمرانها الخضراء وزهورها وسواقيها التي تسعى للمجد الزائل!



داخل المسجد الكبير

ولو انني جعلتك في عيوني
إلى يوم القيامة ما كفاني

واختاروا ايضا للشاعر كلمات يعبر بها عن خوالجه نحو الشاعرة بقوله:

بأمن غدوت في الناس مشتهرا
قلبي يقاسي عليك الهم والفكرا
إن غبت لم ألق إنسانا يؤانسني
وإن حضرت فكل الناس قد حضرا

واعتقد ان شباب مدينة قرطبة قد بالغوا في قصة الحب، فالواقع ان الشاعر احب الشاعرة في بداية شبابه حبا من جانب واحد، ولذا انتهت قصة الحب بهجاء متبادل عبر سلسلة من الاحداث ذاق خلالها الشاعر مرارة السجن ظلما، ومرارة فسق اسالة تحمل بقلبها لشخص غيره وتخلص له، ولم يجد في النهاية طريقا امامه سوى ان يطردها من قلبه الى الابد، وان يهجرها الى دنيا السياسة لعله يعوض حبه المهزوم من خلال بناء حاضره ومستقبله وسط المنافسات والمكائد السياسية.

اعظم الفلاسفة

ويبدو ان قرطبة قد خلدت اهم اعلامها في عصور الاندلس، وإن كانت قد تناست مغنيها الشهير، زرياب، الذي غنى في دروبها، واضاف لاوتار العود التقليدي وترا خامسا، واخترع مضراب العود من قوادم النسر!



فعند اسوار قرطبة العربية القديمة رأيت تمثالا لاكبر فلاسفة الاسلام، ابن رشد، الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، وقال عنه مؤرخو الغرب انه من اعظم الفلاسفة اثرا في الفكر الاوربي فهو مؤسس الفكر الحر، وقد دعا المرأة – في فترة مبكرة إلى خدمة المجتمع والدولة – كالرجال، وارجع الكثير من الفقر في عصره الى الرجل الذي يمسك المرأة لنفسه وكأنها نبات أو حيوان اليف، إعتقادا منه في متاع يمكن أن توجه إليه كل المطامع، وهذا بدلا من أن يعطيها فرصة المشاركة في انتاج الثروة المادية والعقلية التي تحققها والتي تجعلها ذات فضائل او على خلق عظيم!

وفي إحدى ساحات قرطبة – رأيت تمثالا ثالثا للوزير الفيلسوف إبن حزم الاندلسي، الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي، وكان يؤمن بان للعلم زكاة هي نشره وإذاعته، والذي ملأ الاندلس بحركة فكرية واسعة، إعتنق فيها مبدأ الاخذ بالعلم الصحيح والاعتماد على العقل والبرهان، وعرض



نظرية المعرفة قبل أن يقدمها «كانت» بسبعة قرون !

وهناك تمثال للعالم موسى بن ميمون ، ولازالت هناك أفكارا أخرى لتماثيل عديدة في عقول المشرفين على الثقافة والسياحة في المدينة التي رأت أزهى العصور وأخصبها في مجالات العلوم والثقافة والابداع أيام كان للعرب حضارة عظيمة !

الشاعر الأسير

وإذا كانت مدينة قرطبة قد استغرقتني وشدت كل اهتمامي ، فأنني لايمكن أن أنسى اشبيلية بشوارعها الجميلة الواسعة ، ورائحة زهورها وبرتقالها وياسمينها ، ونهرها الكبير الذي يشطرها الى نصفين ، وأبراجها ومآذنها ، ومسجدها الذي تهدم وبنوا فوقه كاتدرائية اشبيلية ، تاركين الى جوارها حوض الوضوء كأثر باق يذكرنا بقسوة القاتل ، وبل للمهزوم !

وفي المدينة الصغيرة بحثت عن شاعرها وفارسها المعتمد بن عباد الذي احب الأنس والطرب وتقلب في الهوى ، وكاد أن يسقط ملكه تحت سنابك خيول الفونسو السادس ملك قشتالة لولا نجدة أمير المرابطين في المغرب يوسف بن تاشفين الذي انتصر في معركة الزلاقة في القرن الحادي عشر الميلادي ، وما كاد يسيطر على كل الاندلس ، حتى انقلب على المعتمد بن عباد فقتل أبناءه ، وحمل زوجته وبناته في قسوة بالغة ، وأخذه مكبلا بالقيود الى المغرب ، ليموت فقيرا في مدينة إغمات ، وقبل موته كان دائما يبكي حاله بأبيات من بينها :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا
فجاءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة
يغزلن للناس ، لا يملكن قطميرا

ومن أجمل ما رأيت من مآذن في حياتي ، مأذنة «الخيرالدا» ذات السبعة طوابق ، والتي يقال ان الملك الموحدي يعقوب المنصور بناها بطريقة سهلة حتى يتمكن من الصعود إليها بحصانه لرؤية مدينة اشبيلية من على ارتفاع ٩٦ مترا !

كما رأيت القصر العربي بنقوشه وزخارفه وحدائقه الغناء ، وهو القصر الذي أصبح مقرا لملوك أسبانيا منذ تغلبهم على العرب !

وعلى شاطيء نهر الوادي الكبير ، رأيت الحصن العربي القديم ، «برج الذهب» ، ورأيت قصورا متأثرة بالفن العربي الإسلامي ، وعشت لحظات مع راقصة الفلامنكو التي تضرب الأرض بقدميها على أنغام صوت المغني القوي المفعم بالحزن الضارب جذوره في قلب كل الغجر التائهين !

قصر الحمراء

وعند وصولي الى مدينة غرناطة ، أو المملكة المطوقة التي ظلت تقاوم في بسالة طوال قرنين كاملين بعد الانحسار العربي في الأندلس ، أدركت لماذا أحبها الشعراء والكتاب والفنانون وتغنوا بها في قصائدهم ومجالسهم ، فهي جنة الأرض بما فيها من طبيعة حالمة وقصور وبساتين ومنتزهات ، وحفلات للغناء والموسيقى والرقص ومواسم للعصير !

ورغم كثرة المباني الحديثة في المدينة ، فأكثر ما يشدك إليها الشوارع الضيقة والمباني الصغيرة ذات الطابع العربي ، وكنوز العمارة الاسلامية المتمثلة في الأبراج الحصينة العالية ، وقصر الحمراء بأروقته وقاعاته التي نرى فيها فخامة البناء وجمال الأعمدة والأقواس والجص والنوافذ والقباب ذات الزخارف الجصية الملونة وبرك المياه المتفجرة ، وبهو الأسود الاثني عشر التي تخرج المياه من أفواهها وتحمل على ظهورها حوضا في وسطه نافورة !

وعلى التل المقابل للحمراء رأيت جنة العريف بممراتها الخضراء وأحواض زهورها ونافوراتها وسواقيها وبرك

رسوم في قاعة الملوك بقصر الحمراء



مياهها وقصرها الذي كان منتجعا لملوك الأندلس !

وفي أكبر ساحاتها وضعوا تمثالين لفرديناندو وايزابيلا فوق نصب مرتفع وأمامهما الرحالة كريستوفر كولمبس يستأذن في السفر لاكتشاف العالم الجديد بعد استقرار الحكم الاسباني في الاندلس ، وللرحالة قبر في كاتدرائية مدينة اشبيلية !

الحلم والشمس

وسألت في مدينة غرناطة عن يحيى بن باجه وأبي بكر بن طفيل ، فلم أجد لهما أثرا رغم أنهما من أبناء المدينة ولهما فضل عظيم على العلوم الانسانية اعترف به العالم كله !

ابن باجه كان من الفلاسفة العظام الذين ظهروا في الاندلس في أواخر القرن الحادي عشر ، واشتهر بالطب والفلك والرياضيات والهندسة ، وبحث في الحقيقة والعدل ، وطالب الحكماء بالابتعاد عن الملذات العامة ونزعاتهم والعيش على الفطرة ، وهو القائل بأن الحياة السعيدة يمكن نيلها بالأفعال الصادرة عن الروية وتنمية القوى العقلية لتنمية خالصة من القيود !

أما ابن طفيل الاندلسي الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي ، فمازالت فلسفته تثير دهشة وإعجاب كبار رجال الفكر في العالم ، ولعلنا عرفنا رائعته التي كانت مصدر إلهام لكثير من كتاب العالم وهي قصة «حي بن يقظان» التي قال لنا فيها ان الانسان يستطيع دون معونة من الخارج أن يصل الى معرفة العالم العلوي ويهتدي إلى معرفة الله وخلود النفس !

وعند هذا الحد بدأت أودع غرناطة ، على أمل أن أعود إليها مرة أخرى ، لأحلم مثل كل الحالمين بتلك الأيام التي تحولت فيها مدينة واحدة الى جدار عظيم ، أوقف بأس هزيمة العرب في الاندلس ، في نفس الوقت الذي مضت فيه تعانق الفن وتبني القصور الرائعة المكتملة الحضارة ، التي كان من أروعها قصر الحمراء الذي مازالت تدخله الشمس في وضح النهار ، وطول العام من ٣٦٥ نافذة عربية تحدق في صفحات الوجود بعيون عربية أعشاها الحزن منذ هجرنا كتاب التاريخ العربي القديم

كمال سعد

وقائع عربية

حكاية هوى!

بقلم: محمد المنسي قنديل
رسوم: جمال قطب



● استعدت العامة للحرب فحصنوا المتاريس.. واستعد المماليك فهربوا أموالهم

● كانت تحلم بطفل تحته.. وبشمس دافئة.. وقادها هذا الحلم إلى الخطيئة!

كانت (هوى) تنزف.. أرادت طفلا فلم تجد إلا الدم. وهواء القاهرة ساخن، مشبع بالبارود ورائحة الهزيمة الأولى وتغير الحرب كوخز الإبر في عروق الحارات المملوكية القديمة. وتذكرت (هوى) وقع صنوج بائع العرقسوس، ومنادي الجنة وباعة القرنفل والبهارات وعقود الخرز الملون. وكل شذرات طفولتها في العطوف والحسينية. كانت تنزف وتغيب عن وعيها. ويبدو خيال إسماعيل كاشف زوجها.. أو الأغا الفندي كما أعلنت أن تسميه، مختالا في حلته الحربية كالطاووس.. كل ما يحدث هو فتنة مملوكية أخرى. يصعد المنتصر فيها إلى القلعة، ويفر المنهزم إلى الصعيد. كان إسماعيل كاشف واثقا من النصر مثل وثوقه من اختيار زوجة تركية بضة بدلا من تلك المصرية النازفة.

حمى البارود

هذا زمن السرقة والأوبئة والحروب والأشياء الكئيبة.. وهذى أوائل سنى الملاحم العظيمة.. والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة.. والنوازل الهائلة وتضاعف الشرور، وترادف الأمور، وتوالي المحن، واختلال الزمن.. وانعكاس الموضوع، وانقلاب المطبوع، وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال، وفساد التدبير وحصول التدمير، وعموم الخراب، وتواتر الأسباب. وماكان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون.

في الأزهر واصل الشيوخ اعتصامهم وهم يقرأون (البخاري) وفقراء الأحمدية والرفاعية والقادرية والبرهمية يرفعون الأشارات الملونة، ويمضون بها كالمصابين عبر الطرقات المذعورة. أهل الفتة تتراجع، يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف.. جاء إبراهيم بك مكسورا من (الرحمانية) سألوه عن الأعداء فأقسم أنه لم ير أعداء. كل ما رآه هو صفوف زرقاء متراصة تظهر وتختفي وسط سحابات البارود الكثيفة. وفكر العامة سريعا فنصبوا المتاريس من بر إمبابة إلى بولاق.. وفكر الأمراء أسرع فأغلقوا قصورهم وأخفوا نفائسهم واستعد كل واحد للحرب على طريقته الخاصة. وانتهز الأغا الفندي فرصة حمى (هوى) فاعتلى البيت.. وكانت الحمى تسرى في أوصال القاهرة كلها. وكل نذر الغضب تتجمع في إمبابة. حضرت المراكب والغلايين المشحونة بالمدافع. وتجمع مماليك إبراهيم بك ومراد بك وكلاهما يتحاشى النظر إلى الآخر. كانا مازالا متخاصمين وكل واحد منهما يتحين الفرصة ليهرب قبل صاحبه. وجاء الانكشارية والجراكسة والقاسمية والعرب المتفرقة والأرناؤوط، وسحب (التفكجية) المدافع القديمة الصدئة وألقى (الجربجية) أوامرهم للزعر والحرافيش ولم يجرؤ واحد منهم على لقائها الجمود.. وكانت هوى تنزف.. تتسرب الحياة منها قطرة فقطرة

وامتلأت الحارات بأرباب الطرق الصوفية ومشايخ الفتحة، وسعد عم الأمير مكره إلى القلعة والمصر سريعا قديما متآكل الأطراف.. تعثرو تقاطرت منه العلة.. وكان الجسد في حاجة لأن يستعد إلى هذا البيت النبوي. يكفن الحال كالقبطي في نهاية.. و(هوى) لا تدري متى جاء إسماعيل كاشف، ليلقي عليها كلمة وداع وكان كالبوسه الدائم باقيا على صدرها

فشلت في أن تحبه.. وفشلت في أن تنجب منه ابنا تحبه. تنافر الدم لدرجة الكراهية عندما كانت صغيرة رأت مملوكا فأحبته وكبرت فتزوجت مملوكا لم يكن يريدها طائعة كان كل ليلة يأخذها عنوة كما تعود أن يأخذ كل شيء.

ودوى صوت هائل.. وارتجت المدينة القديمة في فزع.. وصرخت (هوى)
.. يا أغا الفندي... يا أغا الفندي
والأغا الفندي تائه في البارود.. لا يفهم ما حدث. عبر السهم من البر الشرقي إلى البر الغربي.. وهدرت المدافع كأنها القيامة وتقدمت الصفوف الزرقاء.. مثل بحر زاحف لا يتراجع.. اقتربت من المتاريس وانقسمت وانسدت، وأصبحت تحاصر كل شيء. وبقد الطبول فانبعثت الأف الطلقات المتتابعة ورأى الأغا رفاقه يتساقطون.

وبدت هوى أنينها.. وأحست بألم طاغ يقلص جسدها.. ثم غابت عن الوعي.

الوجه الشاحب

أحست بألم شديد.. فتحت عينيها فوجدت أربعة وجوه غريبة تطل عليها.. وجوه شاحبة بيضاء مستطيلة.. عيونها زرقاء.. أهذه وجوه الموتى؟.. تمتم أحدهم بكلمات سريعة غاضبة.. وضربها في صبها بقسوة صرخت وحاولت النهوض.. فكرت في ذعر إنهم الفرنسيس.. يرتدون حللا زرقاء متشابهة.. ماذا أحدث؟ انفجرت في البكاء تراجع الجندي الذي كان يضربها.. أشار إلى اثنين أن يبتعدا.. وبقي الثالث واقفا على باب الغرفة سمعت أصوات أقدامهم وهم يصعدون السلم.. وهم يفتحون الغرف ويبعثرون محتوياتها... رفعت عينيها في بطء.. فرأت وجه الجندي الشاحب المتعب يتقدم إليها..

بعد الثلاثة.. تحدثوا مع الرابع.. تطلعوا إليها بشك واضح.. ثم استداروا للانصراف. وبقي الجندي الرابع قليلا والتفت إليها والتقت عيناهما في ومضة خاطفة.. وهذه المرة لم تشعر (هوى) بالخوف.. تركوها حائرة.. توقف النزيف ولكنها لم تكن تستطيع النهوض.

كانت القاهرة قد عاشت ليلة غريبة.. ليلة بلا مماليك ولا جراكسة.. ذهب الحكام القدامى قبل حلول الظلام.. ولن يأتي الحكام الجدد قبل الصباح.. وعاشت القاهرة أقصر فترة استقلال في تاريخها. هاجم الأوباش والعمدية بيتي إبراهيم بك ومراد بك.. ثم هاجموا كل بيوت الأمراء وشبت نار هائلة فصرخ الجميع: إنهم يحرقون بولاق.. وازداد تدافع الهاربين وهرب الأعيان وأفندية الوجاقات والشيوخ ونقيب الأشراف.. تركوا المدينة نهبا للحرافيش.

وفي الصباح دخلت الطوابير الزرقاء المدينة وهي تدق طبولها.. ووضعوا شارات الجمهورية المثلثة الألوان على بوابات الحواري الضيقة.. والأسبلة.. والمساجد القديمة.. والقصور المهجورة.. ودخل قائمقام ساري عسكر بونابرته فوق جواده يستعرض مدينته المغلوبة.

● كان الفرنسيس أشبه بالأطفال حين يعبثون .. حتى عندما حرقوا القاهرة وذبحوا نصف المماليك

ومن يوم وكلت (هوى) جالسة أمام الموت .. عاجزة عن الحركة . سمعت طرقة خفيفا على الباب .. هل عاد الآغا القذر .. ؟ ولو أنه عاد فلن يطرق الباب .. سيدفعه بقدميه . سمعت خطوات مترددة فوق السلم .. شهقت .. فتح الباب وبدا الصندل الرابع بوجهه الشاحب .. بندقيته في يد .. وصرة غريبة في يده الأخرى .. صرخت :

- ماذا تريد ؟

أوقفه على التراجع .. وضع الصرة على عتبة الغرفة وأخذ يشير إليها ويردد كلمات غير مفهومة .. ارتعدت .. ماذا يريد هذا الكافر ؟ فتح الصرة .. فيها بعض الخبز والجبن والفاكهة . أسند بندقيته على الجدار وفك الزرار العلوي من سترته وتنهد في راحة وهو يبتسم .. لو أنه هاجمها فكيف يمكن أن تهرب ؟ مد يده وتناول ثمرة (خوخ) وقضمها ثم لوى وجهه بطريقة مضحكة ليظهر مدى طيب مذاقها .. وضحكت هوى .. ومد يده بالخوخة فتناولتها .. ونسيت أصابعه فلم تنفض .. وعندما عرت أسنانها لم تشعر سوى بالحياة وهي تسري داخلها .. نسيت الآغا القذر والجثث .. الخبز والجبن والفاكهة .. وضحك الجندي النصراني فمسحت يدها في صدرها بخجل شديد .. كان لابد لها أن تأكل وأن تواصل الحياة

خلا شواجهين .. لم يتحرك أحدهما .. كان هناك صمت .. وترقب .. وخوف .. ثم أشار إلى صدرها وهو يردد كلمة واحدة

- نيكولا .. نيكولا

وفي البداية لم تفهم .. ولم يكف هو عن المحاولة .. ثم ضحكت .. وأشارت إلى نفسها ونطقت اسمها أكثر من مرة حتى ردده في صوت متعثر

- هوا .. هوا

سقوط العذاب

أيام قليلة واكتشفت القاهرة أنه لا فرق بين الحكام القدامى والسادة الجدد .. سكنوا بيوتهم .. وجلسوا في مجالسهم وخلعوا القبعات الزرقاء ولبسوا العمائم المزركشة .. وعينوا ديوانا للمشايخ وأول ما طلبوه من الديوان خمسمائة ألف ريال من التجار على سبيل السلفة بطريقة الحال .. وسائلهم التخفيف فلم يحاولوا .. ثم صادروا الخيل والجمال والحمير وكدسوا .. كلكتل سوق السلاح .. وامتلأت شوارع القاهرة بهذه الحيوانات المصادرة محملة بالفرش والصناديق والرياش .. ومضوا على المنازل والخدم والعبيد الذين يعرفون خبايا البيوت لكي يدلوهم على الودائع والدفائن .. وانتشوا الأوباش بالرصاص وأخذوا منهم ما سرقوه .. ثم قرروا خمسمائة ألف ريال على أهل الحرف على سبيل السلفة أيضا .. وشرعوا في تكسير أبواب الدروب والحارات .. ليفسحوا الطرق الضيقة أمام جنودهم

واستردت (هوى) حمرة وجهها الدافئة تفتحت مثل زهرة شرقية .. ويقف نيكولا مبهورا أمامها وهو يراها للمرة الأولى تحت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بداخلها ويحول لقاءهما اليومي إلى انتظار واغتسال وكانت واثقة أن العيون تحلق عليها الآن من خلف المشربيات .. ويحمل إليها الهواء الهمهمات الشامتة المقهورة

أوشكت على التراجع .. ولكنها خرجت وقفت وسط الحارة .. وسط المدينة التي تشيع كآبة الاحتلال .. سألت نيكولا

- إلى أين نذهب ؟

ولم يفهم .. قادها فسارت خلفه عبر دروب طفولتها المرحلة .. وهو يروح عرضها الغريب والمواثيق المغلقة وعقيها الثائرة المثلثة قالت يا أمي احضري ممارئة صحبوا الغلب .. فاستمتعت لعبة .. السيوفية والغورية والأزهر .. قالت يا أمي أصابعه أي ضجة ضد العشق .. فامها العشق ممزوجا بالعار .. والأزهر محاط بخيام الفرنسيين وأمام باب المسجد يرتفع العلم الثلاثي الألوان .. احمد بهذه الجنود .. سقطوا لديهم طويلا .. ومد أحدهم يده نحو خصلة شعرها .. رده بعنف .. ونيكولا يضحك بينا كهدهد في التيار حولها .. ماذا لو عاد الآغا الآن ؟ ماذا لو عرف أنها رأت الشمس ورقصت مع الفرنسيس .. حدثها نيكولا أنهم يحبون .. كانوا أشبه بالأطفال .. دون لهو ودون عقاب صحبتهم .. كأنهم كانوا يعبثون حينما حرقوا القاهرة .. وذبحوا نصف المماليك في موقعة واحدة

وقفا أمام بائع فطير .. أخرج نيكولا قطعة فضية .. أخذها الفطير وسقط عليها بسعادة وحين بدأ يعد الفطير شم (هوى) فدمعها سطرة احتقار مريرة وناولها الفطير في صمت ثم استدار إلى المشهد الحسيني

سارت حتى لامست الأزهر .. شهقت حين رأت بعضا من المماليك جالسين في رواق المسجد .. أوشكت أن تهرب لولا أن نيكولا أمسكها واقتربت منهم .. أخرج قطعة فضية أخرى وألقاها على الأرض .. فرفعوا .. جثوا على الأرض كالديدان .. صرعوا التهموا الفطير في وجوه بعضهم .. تقاتلوا تحولوا إلى شحاذين .. والآغا القذر لم يكن بينهم

لكنهم وقد أرسلت قلقها في نيكولا .. لم تعد تهتم .. أن تترك هذه الشمس الساطعة التي تملأ عروقها بالدم الحار المتدفق .. ولا البساتين المليئة بالشارات ومواكب النصر ولا النزهة عند فم الخليج .. ولا ركوب الحمير في سفح الهرم .. لم تكن وحدها .. كانت وسط عشرات النساء الفرنسيات .. وعشرات من اللاتي قد أزواجهن .. وعشرات الجواري اللاتي فررن من أسيادهن .. في المطاعم وعمارات الأروام .. يتحدثن ويسكرن ويرقصن .. ويشاهدن صواريخ الاحتفال ويحتفلن بقيام الجمهورية .. وسقوط الملكية .. وأصبحت بالوثتها تتفحص في كل يوم تحت الشمس والنيل نيكولا

لكن إسماعيل كاشف لم يكف عن مهاجمتها في الكوابيس الليلية .. وأهل البلد ينظرون إلى وجوهها في خوف وإلى ظهورها في انتظار .. والقاهرة كلها يسودها سؤال إلى أين تسيرين يا هوى .. ؟

الجثث لا تتكلم

غاب نيكولا ثلاثة أيام كاملة .. ذهب يطارد فلول المماليك التي تهاجم أطراف القاهرة من ناحية الصعيد .. وفي هذه



الأيام الثلاثة تحملت عودة الآغا الذي أكثر من ألف مرة .. كان وقع الأقدام ودبيق العيون خلف المشربيات وضجة البائعين وتوسل الشحاذين .. كلها نذر متوالية ثم جاء نيكولا .. ملتحفا بغبار السفر والقتال احتضنته كأنما تستنجد به .. وشرح لها من خلال لغتهما المشتركة كيف هزموا المماليك وقتلوا عددا منهم واحضروا جثثهم الى القلعة في عربة كبيرة .. وهتفت هوى :
ــ أريد أن أرى هذه الجثث

حاول أن يشرح لها أن الجثث ليست أكثر من جثث مجردة لن يراها سارى عسكر بونابرته سوف يأمر بدفنها .. لكنها صممت سارت في شوارع القاهرة وفي ترتجف كانت القلعة رمادية .. والمقطم خلفهم وتناقش نيكولا طويلا مع زميله الفرنسي حتى أزاح الباب الصدىء وسمح لهما بالدخول وهبت رائحة عفنة ثقيلة فأوشكت أن تتقيأ جثث كثيرة ممزقة بلا ملامح مميزة .. دم وبارود ورمل .. كتل متشابهة من الملابس الممزقة واللحم المتناثر .. في أوضاع مختلفة .. فاغرة الأفواه .. متحجرة العيون كأنها وهم .. كابوس بشري .. أحست أنها تتوحد مع هؤلاء القتلى .. وأنها مكسورة الخاطر بلا أي اطمئنان داخلي .. لم يبق من مهارة العشق إلا لحظة احتضار طويلة خالية من الشهوة .. كل الجثث تشبه إسماعيل كاشف .. ولا يوجد بينها إسماعيل كاشف .

حين هبطت من القلعة كانت ترتعد وضمها نيكولا فزادت رعدتها وتمنت في مرارة حقيقية :
ــ لماذا لم يمت .. لماذا لم يمت ؟
البيت .. القاهرة .. الفرنسيس .. مصيدة قاتلة .. لم يعد من المجدي أن تضحك بصوت عال .. أو تقلد اللهجة الفرنسية الناعمة أو تجلس في المسرح وتتظاهر بالفهم أو تلبس ثوبا عريان الصدر أو تشرب .. دون إحساس بالخطيئة الكوابيس الليلة أصبحت ألما ممضا تحولت الى إحساس عميق بالذنب ..

ونقلها نيكولا إلى إحدى البيوت العالية التي تطل على بركة الأزبكية بعد مقتول هارب .. وفر بونابرته من مصر .. وجاء سارى عسكر آخر يدعى كليبر لم يكن نيكولا يحبه

وقائع عربية

عندما طارد الفرنسيس فلول الأتراك عند بلبيس .. وتنزل الناس في الشوارع

لأنه كان عسكريا صارما لا يعرف الرحمة

والقاهرة بدأت تتحفز من جديد . تريد أن تنفض الجسم الغريب الذي يحز جلدها وتطايرت الأنباء عن وصول جيش تركي كبير الى الديار الشامية في طريقه الى مصر وعلى رأسه الوزير الأعظم يوسف باشا وبدأ الانجليز يفرضون حصارا قاسيا على الشواطئ .. تحول الفردوس الشرقي الى جحيم حقيقي . أصبح نيكولا فاسيا كائنه سلوك ذئبي . يهرب من الشوارع المعادية الى جسدها . يؤكد عليه نجاح غزوته ويمارس فيه حق السلب اليومي . وفي أحيان كثيرة كانت هوى تنادي عليه يا آغا أفندي .. لم تحس بأي أمان وظلت في الأزبكية لأنها عاجزة عن الذهاب الى الموسكي

وسمعت أخبار الصلح بين الأتراك والفرنسيس .. ورأت بعض الفرسان الأتراك يتجولون في الشوارع بلا سلاح وغدا سيأتي اسماعيل كاشف .. ونيكولا مشغول بجمع ما يمكن جمعه وبربطه ربطة الرحيل . تماما مثلما فعل الآغا القديم تباعد عنها .. ولم يعد يخرج معها حتى لا يثير الناس ضده .. وفقدت اللغة المشتركة ايقاعها

ثم دخل رسولان من أهم رسل الوزير الأعظم .. أمير المكوسات ومحكر الأقوات . وكان أول مطلب لهما هو مصادرة الأموال بما يكفي لخروج الفرنسيس . ودخول جيش السلطان نصره الله .. ودفع الناس على سبيل السلفة لأول مرة في التاريخ بنفس راضية . وتعالى الدعاء في شوارع القاهرة .. سنة مباركة .. وذهاب الكفرة

حتى مراد بك ولى هاربا الى الصعيد .. أرسل يطلب ثيابا وطرابيش وكساوي له ولمماليكه . وأرسل الانجليز الى الاسكندرية يطلبون مؤنا لمراكبهم واستعد العربان والصعيدية وقطاع الطرق . وكانت القاهرة مثل طائر ذبيح .. لا يموت ولا يكف عن الذبح

لم تبق دار كل حرية .. [illegible] الفرنسيس الأتراك يتقاربون في ملامحهم [illegible] [illegible] الوزير الأعظم الأفخم واستقبله

القاهرة وقد أصيبت بالخديعة .. كان الفرنسيس يطاردون فلول الأتراك عند بلبيس . ونزل الناس الى الشوارع انقضوا على جنود الحامية . وتجمع العامة على تلال باب النصر بأيديهم العصي والنبابيت والقليل من السلاح .. احتلوا الأزقة .. ووجدوا مدفعين قديمين في المطرية . واشترك الرجال والنساء والأطفال في دفعهما حتى الأزبكية وأخرج التجار أثقال موازينهم .. وحرق الرجال قمصانهم .. وتبرع العطارون بالبارود .. وصنعوا من كل هذا قنيفة واحدة قذفوا بها بيت صاري عسكر .. والله ينصر السلطان ويهلك فرقة الرومان .. اطلقوا الأبواب القديمة وأنشأوا معملا للبارود في الخرنفش وحضر التفكجية والجبخكية والحدادون والسباكون وتكاتفوا جميعا وصنعوا مدفعا آخر .. زغردت النساء والمدفع يخرج وسط الموازين كأنه سلطان مصري أصيل .

حفروا الآثار القديمة وأخرجوا منها قذائف مكسورة وقنابل وأسباع وتماثيل مجهولة وأيقونات وجعارين .. وصنعوا متاريس من كل التذكارات القديمة

وكانت (هوى) وحيدة عندما هاجمها العوام . جذبوها من شعرها الى الوحل .. ما كان يجب أن تكون رخيصة الى هذا الحد فتحوا الخزائن ومزقوا الثياب الفرنسية والشارات والمناديل المعطرة .. داسوها بالأقدام « واتخموهـا » وملأوها بالجــروح . ذات مرة حلمت بالشمس وبطفل جميل .. وقادها هذا الحلم الى الوحل

واصم دوي المدافع كل الآذان .. عاد الفرنسيس .. وبدت المدافع التي أصلحها الناس مثل لعبة أطفال .. وقصف الفرنسيس كل شيء بلا رحمة .. نصبوا مدافعهم فوق القلعة وتلال المقطم وأطاحوا بكل المآذن والقباب . وهبط القصر الحارق على كل الربوع القديمة .. ثم بدأ القتال الضاري في الشوارع .. وخلف كل متراس .. وجمعت هوى ما بقي من نفسها وعادت الى الموسكي .. لم يلتفت أحد اليها .. غرقت في غيبوبة جديدة تتداخل فيها صيحات القتال وقدوم الآغا وأول ليلة من ليالي زفافها .. وعطية ختانها وهي صغيرة .. واشتعلت الحرائق في كل بيت من خط الغوال حتى خط الرويعي وحارة



● لا أستطيع وحيدة تحمل ما يحدث هنا اليوم.. [illegible] إلى الوصل.. وعندما [illegible] الإشارة على عنقها.. لا أحتمل!

النصارى. وخلع المشايخ شارة الديوان وصعدوا فوق المآذن المكسورة يحرضون الناس على القتال.. وتقلبت القاهرة على شواظ البارود عشرة أيام كاملة.

وفرض الفرنسيس حصاراً قاسياً.. ورغم جهود الشيخ السحرواي.. فقد اشتد الجوع بقول الأزقة.. وأصبحت بولاق كتلة من اللهب.. وطاف فارس فرنسي يرفع راية بيضاء ويصيح:

ـ أمان.. أمان.. سوا.. سوا..

من الذي يمسك السلطان ويقرع طرق الزمان والقتلى في الحوارى لا تجد من يدفنها؟..

مرة أخرى ذهب المهموزون للاعتذار.. وجاء نيكولا إلى الموسكى واستولى عليها تماما لاستحارة.. وسارت خلفه عبر الحرائق والجثث والمتاريس والمدافع المحطمة والبيارق المكسورة.. وفرض جنرالا الفرنسيس غرامة قاسية.. وقادوا الشيخ السادات سجينا إلى القلعة.. ولم تكن هوى تنتمي لأحد.

مضت الأيام مثل كابوس يومي متكرر.. استولى الفرنسيس على مخازن الغلال وصادروا الجمال والبغال.. وفرضوا غرامة أخرى.. قتل كليبر في حديقة منزله.. وقتلوا القاتل ومثلوا بجثته وجاء عسكرى عسكر جديد.. وحل عيد الصليب فأمروا الناس بتعليق الزينة.. وأطلقوا الصواريخ فبكت الناس في بيوتها قهرا.. وزاد النيل زيادة مفرطة حتى انقطعت الطرق وسقطت البيوت المطلة على الخليج.. وأمروا بهدم الشيخان.. واستولوا على الأوقاف.. وغمت رؤية هلال رمضان.. وصام الناس صوما طويلا لم يعقبه عيد.. وكانت كسوة الكعبة ثالثة.. أكلت الفئة أطرافها.. وبهت الرطوبة نقوشها.. وأصر الفرنسيس على خروجها وسفرها لتكتب بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنساوية.. وانتشر الطاعون ومات به مراد بك.. وكانت هذه في حسبنا الطاعون الوحيدة.. وجاء الإنجليز مرة أخرى.. وواصل الانجليز حصار الشواطئ.. وانهزم الفرنسيس هزيمة صغيرة عند الرحمانية ولكنها كانت كافية.. وانتشرت موجة من الاغتيالات بين الجنود الفرنسيس..

وبدأت المقاومة على الانسحاب من جديد.. وأطلقوا السجناء كالبدرة حسن فيه.. وخرج الشيخ السادات محطما.. ودوى مدفع عند الغروب من قلعة الظاهر وأذن منها للعشاء ثم الفجر وتطلع الناس إلى القلعة في دهشة.. وجاء الصباح فرأوا البيرق العثماني فوقها.

الرحيل إلى المجهول..

استعد الفرنسيس الرحيل بعد ثلاث سنوات وأحدى وعشرين يوما مريرة.. واستعد العثمانيون للدخول بعد ثلاثة قرون مظلمة.. لا أمل..

سارت هوى خلف الجيش المنسحب.. هل هناك طريق آخر؟.. سارت شمالا حتى رشيد.. ووقفت وسط أرض الملاحات الموحشة.. خذني معك يا نيكولا إلى بلدك الغريب.. سأحيا فيه..

ـ لا أستطيع..

هذا بلدك.. [illegible] وأطفال.. [illegible] كان له زوجة وأطفال.. [illegible]

[illegible]

[illegible].. [illegible] القاهرة.. وكانت أشد من الحجارة والبيوت [illegible] لم وتعفنت الكنيسات.. وبدت وحيدة.. وسط شوارع غريبة.. وكانت جراح الطاعون كثيرة فالقتيلات وسحبهم.. وأحست ببطنها غريبة فصرخت إنها أم.. إنها حامل..

هذا الشيء الذي يتكون يجب أن يمضى معه به طويلا.. وانتظرته طويلا.. وليس ذنبه أنه جاء طويلا في زمن كله طويل.. من يملك أن يغفر له.. لا لها.. هو في حاجة منحة العطاء أكثر ذلك يمنحه قدرا من الخلاص..

تركت خرائب بولاق.. إلى الموسكى.. ارتدت حول بيتها القديم.. كان مليئا بمعنى بالحياة هل يمكن الأنا الفذي أن يفهم.. هل يمكن لأحد في هذا العالم أن يفهم.. طرقت الباب وجرت إلى أول الحارة.. توقفت.. وشهقت بعنف.. وفتح الباب وبدا اسماعيل كاشف واقفا.. أشار لها أن تأتي فسارت إليه ببطء.. والهواء البارد يلفحها.. لم يعد لها شيء.. ودخلت البيت مقرورة.. كان مفروشا بالرياش الثمين.. بامرأة كما لم تر من قبل.. لم يوجد فيه امرأة أخرى بعد أن كانا تتكوم في الركن مثل كلبة ضالة.. واشعل كل ما في المنزل من شموع ربما ليتفرس فيها جيدا.. ثم انحنى عليها وجلس أمامها وأخذ يتأمل في هدوء.. وأخيرا قال في صوت أجش..

ـ هل أنت حامل؟

قالت.. أجل.. في وهن وساد الصمت ثم قال

ـ كم كانوا؟..

قومت وهي تبكي.. يا آغا أفندي.. يا آغا أفندي

صرخ فيها..

ـ كم كانوا؟..

ـ واحد فقط.. فقط..

قال في برود.. أمر لا يصدق

وتركها متكومة في الركن.. وانصرف إلى حجرته.. وظلت جالسة ترتعد حتى الصباح وخرج اسماعيل كاشف مبكرا بعد أن أغلق الباب عليها بإحكام.. صعد إلى القلعة.. كان يوسف باشا القبطان حالما يحصي الدقيق التي جمعها من القاهرة على سبيل السلفة.. وقال اسماعيل

ـ يا باشا عادت زوجتي واعترفت..

قال الباشا في اختصار

ـ تكسر رقبتها فورا

قال اسماعيل..

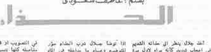
ـ أفضل أن أقتل هذا بنفسي..

ـ مفاريم الها.. اكسرها جيدا أيها اكسرها جيدا

وهبط اسماعيل من القلعة.. والشمس غائمة.. و(هوى) متكومة في الركن تائهة من الإجهاد والأحلام الملتاثة.. وفكر اسماعيل أن البيت لا يجب أن يشبع بأي قطرة من دمها

وأفاقت (هوى) في ذعر وأصابعه على عنقها.. كانت تحلم بالطفل الذي لن تلده أبدا.. وضغط الأغا.. حاولت في وهن أن تقاومه.. وتحشرجت أنفاسها.. وفي ومضة واحدة.. ضج في أذنيها صوت صاخب بالغ العرقسوس.. وأذان الفجر من المشهد الحسيني.. وغناء الملاحين عند وفاء النيل.. ونداء باعة الحمص والترمس والبيض وأصداء للهوادج.. وأطبق الظلام.. ولكن الأصوات المتداخلة الأليفة ظلت تدق في أذنيها كأنها لم تمت..

محمد المنسي قنديل



الحذاء

بقلم : عاطف سعودي

أخذ جلال ينظر الى حذائه القديم في اعجاب شديد كأنه يراه لأول مرة صحيح انه حذاء قديم مهترىء لكنه وفي .. رائع الوفاء . وصحيح انه حائل اللون جريح البشرة لكنه لطيف الصحبة طيب العشرة . وصحيح ان الثقوب التي في نعله لا تجد ما يسدها سوى اسفلت الشارع لكنه الأم الدليل على انه اشد حرصا على قدمي صاحبه من امتن الاحذية والواها . وهو الى ذلك ابكم لا تصدر عنه تلك الموسيقى الرتيبة التي تصدر عادة عن الاحذية الجديدة .. الا انه عزف هذا الصباح لحنا صامتا متواتيه ، الصبر عند البلاء ، جاء اروع من كل الموسيقات ومن كل الالحان .

كان جلال حتى هذا الصباح على اعتقاده القديم بأن القدر يعاقبه .. يقف له بالمرصاد يتحداه ويخصه وحده دون سائر الطلبة في الكلية بأعتى الكوارث واصعب النوازل . وهل هناك اشد من كارثة الفقر على الانسان ؟ جلال طالب فقير . فقير لدرجة ان الحذاء الذي هو ضرورة الضرورات اصبح بالنسبة له امر عسير .. بعيد المنال .. حلم من الاحلام . حذاؤه الذي في قدمه صار كأنه صديقه الحميم او صاحبه الذي لا يقوى على فراقه . لا ينسى جلال ابدا التاريخ الذي اشترى فيه هذا الحذاء لسبب بسيط وهو انه نفس التاريخ الذي دخل فيه الى الجامعة منذ سنتين . كانت مناسبة تاريخية في حياة جلال هي انتقاله الى مرحلة دراسية جديدة فاشترى له والده حذاء جديدا رغم ان حذاءه الاسبق كان وقتها لا غبار عليه وفيه من الرمق الكثير . وظل حذاء الجامعة هذا في قدميه وحيدا بغير حذاء زميل يعاونه او يحل محله او يسمح له باجازة ليستريح او يدوم عطاءه . ينتعله جلال في كل مكان . حتى في داخل البيت لا يجد الحذاء

اذا توضأ جلال شرب الحذاء سؤر المتوضىء وعام ما بداخله في الماء واختلط الماء بالعرق وترسبت الاملاح في مسامه فيصيبه من التشققات ما يصيب . واذا لعب جلال الكرة في الشارع امام البيت تلقى الحذاء لطمات الكرة الصارمة الشديدة على وجهه وجانبيه واحيانا على مؤخرته وكعبه وداسته الاحذية الاخرى وركلته والويل كل الويل له لو افلتت الكرة من جلال فشاط الارض . عندئذ لابد ان يخدش وجهه او ينفصل بعض جلده عن نعله فيئن ويتوجع في سكوت ويتوقف تريثا داخليا . اما اذا اخطأ جلال

في التصويب او فلتت منه الكرة فان مفاصله كلها تصيب في حنق ويشعر بوطأة المسامير المغروزة فيه وتشتد عليه الام الجراحات الغوالي . ماذا يفعل الحذاء المسكين ؟ هل خلت الاقدام من الرحمة حتى يعامل هذه المعاملة التي لا يحتملها الا الجبابرة من البشر . حظه العاثر هو الآخر وقدره هو الذي اراد له ان يقع في قرعة جلال . ورغم ذلك صبر الحذاء . وصبر جلال عليه . كل منهما بات يتوقع ان يأتي الفرج يوما ما فيحال الحذاء الى الاستيداع ويرتاح مما تبقى منه من اطلال . ويستريح جلال منه هو الآخر فقد

سئم منظره البشع وصورته القبيحة. كم وأراه جلال خجلا منه اذا جلس مع زملائه فيدفع بقدميه الى الخلف من المقعد اما ان كان واقفا فانه يهرول رفع بنطلونه عامدا حتى يغطي الحذاء تغطية كاملة فلاذا كان في المصلى كان اول الخارجين منه حتى لا يراه المصلون وهم خارجون من الجامع ؟

والآن هاقد بدأ العام الجديد وكل الطلبة يدوسون نعالا جديدة الا جلالا هل يذهب الى والده ويقول له اشتر لي حذاء جديدا وهو لم يدفع مصاريف اخته التي تتعلم هي الاخرى في الجامعة ؟ هل يقول له ذلك وهو يعلم ان ايجار البيت الشهري لم يدفع حتى الآن . ام يطلب منه هذا الطلب وهو يعلم ان والده محتاج الى حلة جديدة بصورة اشد الحاحا من حاجته هو الى حذاء جديد .

سكت جلال حتى قام والده بسداد اجرة البيت ودفع لاخته مصروفات الجامعة واشترى قطعة من القماش وارسلها الى الخائط ليقوم بتفصيلها حلة جديدة له . وعندئذ تنفس جلال الصعداء واقبل على والده :

● اريد حذاء جديدا يا أبي .

ـ امهلني شهرا فقط يا بني .

● حذائي اصبح غير لائق بالمرة .

ـ استحملت الكثير يا جلال ولم يبق الا القليل .

وصبر جلال على مضض طوال الشهر . صبر اذ رأى الدراجة البخارية التي اشتراها زميله حسني واصبح يأتي بها كل صباح ليملأ فناء الكلية بفرقعتها الشجية . وصبر اذ رأى ساعة زميله محمود الجديدة التي توضح الوقت باللمس او الاشارة وهي تبرق حول معصمه وصبر اذ رأى « الكالكيوليتر » الجديد الذي يتباهى به سعودي لانه يساعده في اجراء اعقد المسائل الحسابية من ضرب وطرح وجمع وقسمة في لمح البصر او اسرع .

واقترب اليوم الموعود . كان جلال خائفا من هذا اليوم الذي ينتظر لقاءه . هل سيأتي حاملا امله محققا رجاءه المتواضع ؟ ام تظهر في الافق طلبات منزلية جديدة تذكيها اولويتها والحاحها فيضطر الى الانتظار شهرا طويلا جديدا . ذكر نفسه بان القناعة كنز لا يفنى وبان الصبر مفتاح الفرج وبأن الرياح قد تأتي بما لا تشتهي السفن . هذه العبارات وامثالها جرى بها لقنه حتى لا تضيق به الدنيا بما رحبت اذا ما تأجل طلبه هذا الشهر ايضا .

وجاء اول الشهر فاعاد جلال الطلب على الوالد .. ام .. الحمد لله لم يتبسم الوالد الطيب الا اذا كان متأكدا من انه سيدخل السرور الى نفس ابنه الحبيب الذي كثيرا ما يدخل السرور على الوالدين اجابة طلبات الابناء .

ومسك يا ابي الذي واعدتني به اتذكره ؟

ـ ها .. طبعا يا بني كيف انساه . ساحققه لك .

متى يا أبتاه ؟

ـ أول الشهر القادم ان شاء الله .

خيبت تلك الاجابة أمل جلال لكنه لم يعلق عليها . اختلس الوالد نظرة الى وجه ابنه ليرى كيف يكون رد الفعل . ولم ينتظر الاب الذي فهم في التو واستدرك في الحال .

ـ أقل لك .. لا تبتئس يا بني . خذ ثمن الحذاء هذا الشهر .. وسأتصرف انا .

كان جلال يعرف أن والده لم يذهب الى الخائط ليتسلم حلته الجديدة رغم أن الخائط قد انتهى من تفصيلها وتجهيزها له . لابد أن والده يتوق الى ارتداء الحلة مثلما يتوق هو الى حذاء جديد .

لا يا أبي .. عندي فكرة أجمل . اعطني جنيها واحدا زيادة في مصروفي هذا الشهر وأنا الذي سأتصرف .

ـ ماذا تفعل !؟

سأعمل صرة شاملة لحذائي فهو قادر على التحمل وأول الشهر الجديد أشتري حذائي الجديد .

وتمت المسرة المطلوبة للحذاء القديم وجاء اول الشهر الجديد وكان اول شيء فعله الوالد ان أعطى جلال ثمن حذائه كاملا .. عشرة جنيهات كاملة .

ذهب جلال الى الكلية في هذا اليوم منتشيا سعيدا . اليوم اليوم .. لا غدا بعد أن تنتهي الدراسة في الكلية سيعود الى منزله ويتناول طعام الغداء ويستريح قليلا حتى تفتح المحلات أبوابها لفترة ما بعد الظهر

ثم ينزل مباشرة من المنزل ويركب سيارة الاوبيس او لعله من الافضل ان يستقل سيارة اجرة . نعم سيأخذ سيارة اجرة لانها اسرع من ناحية ومن ناحية لابد له ان يحتفل بالحذاء الجديد لكن لا .. فكر جلال قليلا وفضل ان يفعل العكس . سيركب سيارة الاوتوبيس المزدحمة وهو ذاهب فلا ضير من أن يدهس احد قدميه وبها هذا الحذاء القديم . اما في العودة من المحل الى المنزل فلابد .. نعم لابد ان يركب سيارة اجرة . كلام معقول سيكون ساعتها منتعلا حذاءه الجديد الذي انتوى ان يلبسه في المحل ويبدأ في استعماله منذ اللحظة الاولى التي تلج قدماه فيه . سيكلف البائع ان يضع له حذاءه القديم في صندوق الحذاء الجديد ليخفيه عن الاعين . كفاه ما ناله منه من احراج وكسوف وازدراء . فكر جلال كذلك في طريقة مناسبة للتخلص من حذائه

القديم اه فكرة رائعة ·· عندما يستقر الحذاء القديم في صندوق الحذاء الجديد ويركب سيارة الاجرة وهو مالك يلقيه من نافذة ··لا·· عيب·· عيب كبير ان يراه المارة وهو يلقي بحذاء من نافذة السيارة وربما انزعجت سيارة اخرى من القلق لتعيد الشيء المسقوط منها ··احسن شيء ان يتعمد نسيان اللفافة في سيارة الاجرة · سيمضي السائق بسيارته بعيد ان يقتضي منه الاجرة لا يلوي على شيء حتى اذا ما اكتشف « الهدية » التي نسيها جلال لم يستطع بطبيعة الحال ان يهتدي الى عنوانه لانه سيغادر السيارة قبل منزله بعدة منازل وعندئذ سوف يقوم عنه السائق في التصرف الذي يليق بمقامها ·· صندوق القمامة !! نعم سيكون صندوق القمامة هو نهاية المطاف والمقر الاخير لهذا الحذاء البالي ·

وفي الكلية تقابل جلال مع زميله وصديقه فتحي · فتحي والده ثري يشتري والد فتحي لابنه الاحذية بمناسبة وبدون مناسبة · هذا حذاء اسود لفصل الشتاء وهذا حذاء ابيض لفصل الصيف وذاك بني او ملون للتشريف او الربيع · تدور دورة الاحذية في قدم فتحي مع دورة الفصول ومع حركة الارض حول الشمس · نظر فتحي الى قدم جلال وامتعض !

ـ يا اخي ·· يا اخي ارجوك ·· امزق هذا الحذاء بربك

● اليوم اصل يا فتحي · ساشتري حذاء جديدا بعد الظهر

ـ اذهب معك يا جلال ·· فحذائي هذا لا يعجبني

● لكنه حذاء جديد يا فتحي ·· شتاء!

ـ مللت منه وبالسوق احذية تركت اخر موضة ـ فهل تصحبني ؟

● طبعا يا اخي ·· على الاقل استفيد من خبرتك وانتقي حذاء جميلا ·

واتفق الصديقان على اللقاء في نفس اليوم · كما اتفقا على المكان



الذي سيتقابلان فيه ·· وانتهى اليوم الدراسي واتجه كل منهما الى منزله ليتناول طعامه ويستريح · وصل جلال الى منزله والبشر يواكبه في كل خطوة يخطوها والسعادة تملأ سرائره ·· سيشتري واستعجل رأس فتحي متمنيا ··· ان حل اليوم الشتاء · كل منهما سيكون ··· حذاء جديد ··· كل يوم في الدنيا له ··· اخر ·

وصل منزله ··· الطريق ··· ·· لم يجد احدا ·· تحول الى الشقة المقابلة · عرف من جاره ان والدته قد استدعي من عمله ليعمل والدته الى ·· المستشفى بعد فاجأها نزيف شديد · عرف جلال ايضا الحقيقة ·· عرفها حقيقة لقدره الذي يلاحقه دائما ·· فوض امره لله وطار الى المستشفى ليطمئن على والدته الحبيبة وبعدها قد دخلت غرفة العمليات والطبيب الجراح وزميله طبيب امراض النساء ومعاونهما دكتور البنج ·· ثلاثتهم معها يجرون لها العملية اللازمة لوقف النزيف ·

شاهد اباه على باب الغرفة يتمتم ببعض ايات الكتاب الكريم · لم يتحدث احدهما الى الاخر · ولم يشعر جلال بيده وهي تمتد الى جيبه لتلتقط الورقة ذات العشرة جنيهات وتحتضنها في الظلام · ولم يشعر والد جلال بيد ابنه وهي تدس الورقة في جيبه ليعينها له حتى يستطيع ان يجابه نفقات علاج امه ·

تغيب جلال عن الدراسة يومين حتى تماثلت امه للشفاء وعادت الى المنزل وفي اليوم الثالث صحا جلال وارتدى ملابسه وحذاءه القديم وخرج قاصدا كليته فالتقى بزميله فتحي كعادتهما· كان فتحي يرتدي حذاءه الجديد ·· ياله من حذاء · اسود اللون لكنه ساطع ·· يخطف البصر ·· ويسر النظر ·

ـ هكذا مواعيدك يا جلال ·· ؟

● معذرة يا فتحي ·· والدتي كانت مريضة ولم استطع الحضور حسبما اتفقنا ··

ـ وما حالها اليوم ؟

● احسن ان شاء الله ·· مبروك على الارض ·· بكم حذاؤك هذا ؟

ـ بخمسة عشر جنيها فقط

● تبلى وتدوب يا اخي ·

ومشى الصديقان على الطريق · قطعا شارعا والذي يليه واقتربا من الكلية وفجأة ·· انشقت الارض عن كلب كالمهر الوليد · بعثر الكلب المارة والطلبة والطالبات واندفع كالقطار صوب فتحي وجلال · طار الصديقان طلبا للنجاة والكلب في اثرهما · الكلب يزأر كان به مسا وهما يصرخان ·

حذاء فتحي جديد ·· لا يساعده على الجري لقساوة جلده وصلابة نعله ·

حذاء جلال القديم اصبح كالكاوتشوك يمشي به كالصاروخ انزلق فتحي عندما حاول مع جلال الانحراف فجأة ليهربا الى شارع جانبي · سقط فتحي على الارض ولحق به الكلب بالغرا فاه · تاله الكلب في اليته · صرخ · اطلق احد امناء الشرطة الرصاص على الكلب قفز الكلب من الالم قفزة واحدة ارتفع في الهواء الى مستوى الطابق الثاني ثم سقط على الارض ساكتا كانه حجر ·· و ·· نجا جلال !!

عاطف سعودي

من تجارب الشخصية

أصارحك القول يا ولدي!

... لا أستعدها من لحظات ... تساوي الدنيا وما فيها ... عندما أضم طفلي إلى صدري ... ولحظة يردد متلعثمًا : بابا ... كلمة حلوة ... وأحلى ما فيها أنني أسمعها لأول مرة ...

ولدي ... أحببت الدنيا من أجلك ... كرهت السفر وقد كنت أعشقه لأبقى بجوارك ... أراك وأنت تنمو يومًا بعد يوم ...

يحزنني بكاؤك ... ويؤلمني مرضك ... كنت أقرأ هذا قبل أن أنجبك ولا أصدقه ... ولن تشعر بإحساس وحب الوالدين إلا إذا صرت أبا ... هذا واقع لن تصفه الكلمات ... مهما بلغت وأبدعت من خيال ... في تصوير جمال حقيقته ...

ولدي ... لقد اخترت اسمك بعد عقد قراني مباشرة ...

وأصارحك القول بأنه اسم مشترك يصلح لك كرجل كما يصلح لأنثى وكنت أنادي أمك دائمًا باسم [illegible] ...

ولدي ... كنت أرى أمك وهي تتألم من حملك ... ولكن البشر الذي كان يشع على عينيها يخفف عني ذلك ... كانت تحكي الطبيب ... يطمئنها بكرههم !! هكذا عرفت ... ولكن خوفي عليك وعلى أمك كان يدفعني للطبيب ...

وقد كلفني ذلك الكثير ...

وعندما حانت لحظة خروجك للدنيا ... كانت هناك قلوب قلقة وعيون مترقبة ... ونفوس متلهفة ... كنت أظن أنني أولهم ولكن عرفت أخيرًا أن جدتك كانت أكثر قلقًا ... وترقبا ... ولهفة ... حتى أنها بكت وهي تحملك بين يديها ...

وقتها ياولدي ... كنت شاردًا في ذهول ... صامتًا ... وبشريط طويل من الذكريات الحلو منها والمر ... يمر في خيالي ... صراع رهيب يدور في خيالي ... أمل كبير يدق في صدري ... حلم عظيم تحتضنه نفسي ... ويدق قلبي وترتفع دقاته ... ويرتفع ناظري إلى السماء باحثًا بين كواكبها عن نجم جديد سيولد تلك الليلة ... بعد لحظات ستكون أبًا ... ما أحلى هذا الشعور ... وما أجمله من إحساس ... أبي !!! لفظ حلو جميل من يحمل من المعاني الكثير ... حرمني منه القدر وأنا طفل صغير ... وذقت مرارة اليتم وحرمانه ...

ومن حاضري الذي عشته وقتها ... ورجوع للماضي القريب والبعيد ... كنت أتطلع إلى مستقبل أستطيع أن أحقق ما أردته لنفسي ... في ولدي فلذة كبدي ... فلذة كبدي تمشي على الأرض وسبحان الله أن يتمنى [illegible] أن يكون أكثر [illegible] ... لا [illegible] مع ولده ...

ولدي ... عجيب أمر هذه الحياة ... فيها من الأسرار الكثير الذي حير العلماء والباحثين فلم يستطيعوا حل رموزها ... وذلك هو سر الخالق تعالت قدرته ...

حياة لم نبدأها باختيارنا ... ولن ننتهي باختيارنا ... وما بين البداية والنهاية يسري لنا قصور تفكيرنا وعجزه أننا نفعل أية ما نشاء !!!

ولدي ... عجيب أمر هذا الإنسان ... سيد هذا الكون ... كرمه الله تعالى على خلقه ... ولكن حشرة صغيرة تقهره ... وشوكة تافهة تؤلمه ... ومواضي نفسه تقلقه ... وهفوات جوارحه تعذبه ... وآماله ... وأحلامه لن تنتهي ... وترهقه ...

يبدأ حياته صارخًا والجميع من حوله فرحين وكل مظاهر السعادة تجمعهم ...

وفي لحظة النهاية ... يودع الدنيا صامتًا ... ساكنًا والجميع من حوله يخيم عليهم الحزن والألم !!!

ولدي ... أرجو أن أكون أكثر تفهمًا ... أقوى إحساس رابط الخالق ... صدق الإيمان ... والثقة في رحمة الله أكثر من ثقتي في كل شيء ... والا [illegible] التنبه لحوله ... وقد تكون الخلاف ...

وحتى الآن ... أصارحك القول يا ولدي أننا لم نستقر على اسم لأختك !!

لكنك تستطيع تسمية أختك ياولدي ...

محمد سيد عبد الرحمن
جمهورية مصر العربية

صـــوت الضمـــير

[illegible] الأحلام مكانًا كبيرًا في تفكير الإنسان منذ قديم الزمان فقد اعتبرها سقراط أنها تمثل صوت الضمير وبنبرة فرويد ... الطريق إلى العقل الباطن .

وفي السنين الأخيرة قام عدد كبير من معامل الأبحاث بدراسة الأحلام ... وتقول أحد النظريات أن العقل البشري يتعامل مع ما يتعرض له بطريقتين :

الأول : يقوم به النصف الأيسر للمخ وهو يعمل بالرابطة ويتعامل مع المعلومات والحقائق ويشير [illegible] منها .

أما الثانية : فيقوم بها النصف الأيمن للمخ ، ويتعامل مع المواقف والمشاعر العابرة التي لا [illegible] أثناء اليقظة ويقوم بتقديرها أثناء فترة النوم .

والمهم أن الإنسان إذا حرم من الأحلام وذلك بإيقاظه عندما يصل إلى مرحلتها أثناء النوم فإن ذلك يؤثر في حالته العقلية والنفسية في اليوم التالي .

كذلك فإن الإنسان إذا كثرت أحلامه ... نتيجة ظروف [illegible] نومه ... فإنه يكون مرهقًا في اليوم التالي . كذلك ثبت أن هناك مشاكل كثيرة يجد لها الإنسان حلًا أثناء الأحلام .

كمال عمار

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

المقامة الأصدقائية



أصبحت عزها من الإختلاط، وإن كان والله فقيراط، وحتى هذا القيراط كان يحسب لايدخل فيه ارتفاع الأحساب والأنساب، وسعة ذات اليد، أملاً في منفعة اليوم أو الغد، بل طبقاً لمقاييس موضوعية، وأحاسيس تجريبية - لا أنعطف إلى واحد وإن طلب عزاءه، ولا أنصرف عنه إذا جفت يداه، بل أصادق أخلاقه - ما يستهويني الطلعة، يرضيني أن يسعد ويسود، ولا يقصيني عنه تقلب الجدود.

وكنت فيما مضى أتذوق، وكيفما اتفق - على أي من الناس، مادام يبدي لي الإيناس - فألزم نفسي صحبته، وكنت في منتهى العجلة، لأنه في أول امتحان، يصبح في خبر كان، وأحدس المثل يقول القائل:

إني لأغمض عيني ثم أفتحها
على كثير ولكن لا أرى أحدا

فالصحابة رغم عددهم الكثير، لايجدهم في الموقف العسير، فكأن وجودهم عدم، ووعودهم ندم، وهو المعنى الذي قاله العامي، بجملته فلان -زي قلته-، وأخذه الشاعر من أهل التفعيلة كما هو جملة وتفصيله، فلم يضف إليه، ولم يدر حواليه، بل عقله واتحد، وقال: هذا الزحام لا أحد!.. لا جديد فيما يبديه، ولا ميزة له على سابقيه.

المهم أن كثرة الصحابة، خيانة كذابة، وهكذا كنت يقدمني التخيل، فأعشر عن الخلل، ولاسي

لم أكن أنتقي وأختار، فقد صاحبت الأبرار والفجار، قصاراً وطوالاً، مختلفين مهناً وأشكالاً، عاديين ومتفردين، سلميين ومعاندين، إلا أن أشدهم خلاسة، وأقربهم إلى نهاية الكتابة، ذلك الذي يحتال ولا ينهزم، ويسلبك ملابسك وأنت تبتسم، وهو النوع المسمى بالقطاع، ويقطع الطريق بالخداع لا بالذراع!

ومن هؤلاء علاء القلقشندي، وشهرته علاء أفندي، كان إذا ألبته رحب، وإن ودعته تشكى وتعتب، وإذا حييته رد التحية، بأحسن منها وشويه، وكان يؤكد بمناسبة وغيرها، أنه مصر على شرها وخيرها، ومع أن الطير كان يعميني، إلا أن كلامه كان يرضيني، فأنست إليه، وأثنيت عليه، مستشهداً به في مجال التفضيل، مردداً كلامه الجميل، وهو من حاضرة يعصرني الكثير من صاحبه، فالذي عنده عندي، ولا فرق بين عبده وعلاء أفندي، ويمدح الكلام بالتحقيق، جامعاً بين النظرية والتطبيق، فإن رأفة الداخل الداهل، أخذها مجرد قول لفعل، وإذا غلب أو قتل غريب، وشدة في حضيض أو بعيد، فالجديد وآخر ينصب سواء من القلقشندي وعبد الشكور، فإذا أصابه التجني الكهرمان، فهذا ينتقل إلى صاحبه بدون استئذان، حتى صارت أحلامه كالأمور، تعقلها الوقع في المحظور، الجميع من كل زوجين اثنين، واحد تحسن والثاني لحسين، فإذا احتجت ولو قلماً من الرصاص، اشتريت اثنين بمنتهى الإخلاص، وقبل برد الشتاء بيومين، اشترى بلوفرين، وادفع بدل العشرة عشرين، غير آسف أو حزين، وإذا حل الهجير، ابتاع قميصين حرير، وهكذا فما في يدي في يده، وما فوق جسدي على جسده، ناسياً أن «ياء الإضافة» في يدي وجسدي، كانت من نصيبي وحدي، أما هو فلا، سواء ما قل أو غلا.

وحدث أن بعث لي صديق مسافر اسمه «عبد القادر» بساعة عظيمة الماركة، أوتوماتيكية الحركة، مينيها أسود، وعقاربها من الذهب الأجود، وسوارها رقيق الحاشية، من أرقى جلود الماشية، غالية الثمن، وافية الزمن، لا تتقدم ولا تؤخر، فحملتها وأنا مستبشر، وهجرت ساعتي القديمة، وكانت لا تزال سليمة، إلى أن جاء هادم اللذات ومفرق الساعات، الخلاء الأبدي، علاء القلقشندي فأبدى إعجابه على الفور، ولكن تجاهلت الدور، وأعاد قراءة السيناريو، فسألته عن جملة البوليستريو، وعاود الإشارة والإشادة، منطلقاً دقته وجماله، وإن يصل الأمر إلى الساعة، فهذا من علامات الساعة، ثم إنها هدية من يحفظ لي عهدا، والهدية كما علمونا لا تهدى، فعاد يلمح بعد التحسين، وأنا أن عن

ظن وحبي، وأخيرا خرج عن التلميح إلى التصريح، وقال أعطنيها إن كنت أخي بصحيح، فاعتذرت بصريح العبارة، مادام تجاهل فهم الإشارة، مدافع عن نصيبه، بأني فهمت قصده بعكسه، وحلفت له فالساعة ليست سيجارة، وأن قصده هو الاستعارة، فهذا عندي ميعاد مع أحد أعيان البلاد، فسألته: وما شأن ساعتي؟ فضحك من سذاجتي، فإن حاجته عند الرجل لا تتأجل، إذا هو دخل عليه بالحاجل والمتجل، البدلة الجديدة مكوية، والحذاء مرآة صقلية، والشراب بلا ثقوب، والكرافتة بلا عيوب، غاية الأبهة، ونهاية الوجاهة، ولكنك يا دكتور، تريد أن يختل الديكور، ونسيت علاقتي بالديكور والتكترة، وتابع هو الثرثرة فقد سبق له لقاء هذه الشخصية، بنفس هذه الساعة العادية، والنظر إلى معصمه، لم أقدر على معصمه، وقال بلا إبطاء، فلقها وسأردها غدا في المساء، بعد أن تكون أدت الرسالة، وأكدت مظاهر الجلالة، وثمة إلح في المسألة، أعطيتها له، وعدت للتي صبرتها قراءة الشعر، فوجدتها قد أثمرت بهذه الهجر، مسامحة مهما تعددت، وأفقه مهما اعتذرت، وقد أخرجا عفريتا كأنها فالفرة قاهرا، أسهولة تورطني في كل ذي زمانك، وكأنني شهريار الملك.

وجاء الغد والمساء، ولم يأت علاء، ولعل الميعاد استغرقه، ولعله ما نجح فيه وحققه، وإن فاته المساء فالصباح لا يفوت، والتزمت السكوت، ولكن الصباح جاء ولم يجيء علاء!



وفي العصر كنت اطرق بابه ، فانفتح عن صبي طل من النجفة ، وقبل أن انطق انا ، قال : بابا مش هنا ، ولكن متى يأتي ؟ فصاح بصوت منكر : يخاطبني ، فلم ترد حلقه التي بالداخل ، ولعلها من اللواتي يحتججن بالمنازل ، ويطلبن الرداء ، مبالغة في الحياء ، ويعتبرن الصوت عورة ، والصمت ستره ، ولأنني احترم تقاليد الشرف ، فقد انصرفت بسرعة البرق ، وجلست في قهوة مجاورة لمسكنه ، انتظارا لرؤياه ، ويؤدي لصلاة العشاء ، ولم يأت علاء ، فدخلت بيته ، وناديت من جديد فلم ينفتح الباب عن سعد او سعيد ، أيناسون هكذا منكرين ؟ ، ولكن ما العمل يامسلمين ؟ وفي الصباح المبكر كنت اجلس في القهوة وافكر ، فقد لم يخرج من منزله اليوم ، فماذا افعل يا قوم ؟ ومع اللحظة ، رأيته يخرج بطلعته الداكنة ، فاسرعت خطاي ، ورآني فصاح ، سامحني لقد وقعت في تعب ، محجل صعب ، ضاعت الساعة في ساعة مشئومة ، كنت اركب اوتوبيس الحكومة ، ضعفت بها ، ونزلت بدونها وانه في منتهى الخجل ، ويطلب فسحة من الاجل ليجمع ثمنها بالكامل ، ويقدمه للكريم الفاضل ، الذي هو انا !! ولما كنت رجلا مؤمنا ، فقد استعوضت الله ، ولكنه صاح لا والف لا ، ولا يمكن ولا بد ، فضميره لا يستحل حق احد ، والقيت عليه السلام ، وتركته يواصل الكلام

وعدت للقديمة الوحيدة ، ولكن لم تخرج منيا بقة مفيدة ، فاشتريت غيرها ، ونسيت امرها إلى أن انقطع الاوتوبيس ، وانا في شارع كلوت بك ولمحت محل ساعات ، ولم يكن فيه إلا صاحبه واحدى السيدات ، خرجت حين دخلت ، وحييت الرجل وسألت ، هل لديك جلود شتواء ؟ فقال ام ، وقدم نوعين متشابهين ، سألته عن أجودهما فقال بحتيهين ، ورحت افاصل ويفاصلني ، واحلفه ويجادلني ، ويقسم أن مكسبه قروش معدودة ، والحال واقف وقد طال شروده ، وهنا رأيتها ساعتي ، والا فهي اختها !! ، وسألت الساعاتي ، أهذه للبيع ، فقال نعم يا حبيبي ، وطلبت أن أراها ، فامسكها بيديه ، وقال سبعون جنيه ، والاجل خاطرك خمسة وستون ، قلت نعم الزبون ولما امسكتها ناكد الظن ، من حشى كان بجوار المسمار وصحت في داخلي باعلم الاسرار ، وتظاهرت بعد النقود ، ووعدت أن استكملها والعود ، رجاه أن يحجزها إلى حتى المساء ، فقال ادفع عربونا وعد متى تشاء ، فدفعت خمسة جنيهات ، وخرجت من محل الساعات ، الى صديقي سامي شعشاعة ، محلم عقلية في البراعة وحكيت الموضوع ، واخليت الضلوع ، مما اظن واعتقد ، فقال ستكون معك في الغد ، واتانيا في الغد بشرطي وقور ، يسألني هل انا عبد الشكور فاجبت انا صاحب الاسم ، فقال تفضل معي للقسم ، بضاعتك سترد عليك ، وساعتك ستعود إليك ، وذهبت وانا غير مصدق ، فاذا بها امام الضابط المحقق ، والساعاتي وصديقي المعلم ، والقين في قفص الاتهام ، وسامي المحامي ، يبتسم ابتسامة الظافر ، وبهت الذي كفر !

وعلا صوت علاء يتهمني بعدم الوفاء ، كيف اهينه ، ثم ابلغ فيه ؟! والساعاتي يدفع التهمة الملحوظة ، بحجة انها مسروقة ، والضابط يسألني هل هذه ساعتي ؟ ، فاجيب بلساني وابتسامتي ، فسألني عما يثبت ملكيتها لي ؟ فتحسست مفاصلي ، فالاثبات الوحيد ، عند القدر ، ولكنه مسافر ، وانبسطوجه النقشبندي وهو يسمع كلامي ، بينما اصفر وجه المحامي ، وهو يرى المعيار يختلف ، والمسار ينحرف ، واجتهدت في دفع الخطر ، وقد اقتربت الساعة وانشق القمر ، واخيرا خرجت من القسم بالسلامة ، بضمان محل الاقامة ، فالتحقيق لا يزال مستمرا ، إلى أن يقضي الله امرا ، وحتى اثبت بما لا يدع مجالا للشك ، أن الساعة حق لي وملك ! ، واستنجدت بعمد القادر حيث يقيم ، فبعث لي إيصال شرائها بالبريد والتعليم ، وقدمته بلا ابطاء ، فتم القبض على الساعاتي وعلاء ، وعاتبت صديقي المحامي ، فقال انه التزم بكلامه امامي ، وقد وعدني بساعتي ، ولم يقصد محنتي !

ومن يومها وانا لا اصدق إلا اهل القلبين ، ولا اتعامل مع كل من هب ودب ، متمثلا بقول القائل :

بلوت حبال الاصدقاء رأيتها

هواء وماء في الغرابيل لا يبقى

فعش واحدا تسلم والا فلا تلم

سواك اذا صادقت من لم تكن صدقا

سراب ولا ماء وظلام ولا بدر

فلا تأتهم فتضيق على وجوههم نصفا

فهم مثل كهان الجحيم خبالة

كواكب الثاني من شرقهم حقا

منتهى الحب

لو جـز بالسيف راسي في مودتكم
لراح يهوي سريعا نحوكم راسي
ولو بلي تحت اطباق الثرى جسدي
لكنت ابلي وما قلبي لكم ناسي
او يقبض الله روحي صار ذكركم
روحا اعيش به ما عشت في الناس
لولا نسيم لذكراكم يروحني
لكنت محترقا من حر انفاسي !

حروف واحدة عشرة معان

وقفة مع حرف اللام عشرة كلامه

اللام حرف واحد ... ومع ذلك له استخدامات عديدة في لغتنا العربية وهي :

١ ــ لام التوكيد : ان الجو لبديع

٢ ــ لام الاستغاثة : يا للمجد

٣ ــ لام التعجب : يا للافلاك

٤ ــ لام الملكية : الحديقة للجمهور

٥ ــ لام السببية : انما نطعمكم لوجه الله

٦ ــ لام الزمن : ثلاث مضين من رمضان

٧ ــ لام التخصيص : الامر يومئذ لله

٨ ــ لام الامر : لتفعل واجبك

٩ ــ لام الجحود : ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

١٠ ــ لام العاقبة : فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا

جدحوبات

باح جسدنا يحضن الدقيقة والذي يشكو صمرة رفيقة وجنة ... القسه وراه تعالى لا يعني شيئا سواه الا الروحية الاول ورئية الاول على الاول الم القيم شيء والكرام واحسوا والجود والعطاء والسماح ودار في بحيرة التفكير واحتمال ان الوسوف والشح

ايا اصحاب محمد [illegible] التحدوا

شعر كمال عمار

اي انتفاض تتيح عند خلال تعظ ... فيه

القفرة : يغني عن سحب العين ولا يطمع طيف عن نور محياه

يظنه شرف الاسم ، محمد ، يغنيه عن الاخبار

القيم ... مدار

تسبح في مجراه الرحمن الاطهار

نوح ... وموسى

من اول ما صنع الله مقادم ، اعلام هداه

حتى سطع محمد في ظهر نهار

●

والعطاء ... جزاء

وتمهل بعض وانت لمن بالق الحق وتقبله للسابق واللاحق

الا انت رايت محمدا صلى الله عليه وسلم يتمثل بمثال يتواصل بتوحد

فيه ولدي سواه

الخالق والرازق

اشرقت الانوار

واليوم الثانية ... عطفه وفداه

ارضا ويسلم قاسية وملائكة باعيد المطالب

نطقت مسالك سبقت زمانك في الاعصار

او ان قصر الدنيا لابصرت المجد لواء معقودا

ودعاء معبود الله والا حبيبك وانما شاء الله

واليوم الثالثة الرابعة الخامسة السادسة

السابعة ... الى ان يرث الله الارض ... موعد

●●●

والدنيا ... دعاء

اصداء نداء المجروحين المسفوحين دما بيدي كسرى ... قيصر

المرتقين بشمع الخير ، صدأ الان ، يظهر الحرية

في ارض لم تدخلها هندا عاريين والقسطنطينية ...

كل العلم مثلوا السلاسل فلا ظهرا قطع ولا ايمانا بقي ... كل وما ظل

حين الان الاصنام البشعة كفيه القاصرين على دفتر الدنيا والاخرة معا

● الا تطغوا في الميزان

والقلم الوية الرحمة حيث سعى

● المومن للمومن كالبنيان

صدق الله تعالى والهادي المختار

●●●

يا احباب حبيب الله

صلوا زيدوه تكريما تسليما وصلاة

كونوا بعضا منه ... فلو كنا ما اختلف الجمعان

يا احباب محمد

اتحدوا ... والان !

لا ... فهو الاعصار

[illegible]

وعلى دق شباب قمت في فمي ابتسامتي

رددوا كما يجب

ودق قلبيا اسرعت والقا بخطواتي

● اهلا حبيبتي

لكنني رايت بالغ الجرائد العجوز

بدا عليه انه راى ملامحي

وغير الموت فجاة ... اراد ان يقول إنه

اني تمسكتي ، لكنه اضطرب

وارتعشت جفونه فرترات مكايتي

●

حين انت حبيبتي

لم تجد ابتسامتي

تساءلت عن السبب

وكلها الوردي فوق جبهتي

● حبيبتي ..

انا كما يجب

فقد كان بائع الجرائد العجوز

يصفعني بقبضتي !

[illegible]

لم يفعل [illegible] التيمين
للأذى في [illegible] والطين
والبيت [illegible] بالشمال
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] لم [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] التي
[illegible] [illegible] وهو يقول
قال [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] والصلاة ؟ !

أجاب : [illegible] الهنا [illegible]
[illegible] ارجو لهنا [illegible]
[illegible] ما [illegible] [illegible]
وكان [illegible] ما زعمت [illegible]
[illegible] [illegible] أو [illegible]
في [illegible] بين [illegible] [illegible]
[illegible] أن [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] حتى [illegible]
في [illegible] [illegible] يا ابن أمي !!



[illegible]

اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً [illegible] [illegible]
وأعوذ بك أن أزول [illegible] [illegible] [illegible]
وأعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك
وأعوذ بك أن يكون أحد من خلقك [illegible] [illegible]

ظالم بن سارق
وأسماء أخرى

عمر بن الخطاب [illegible] [illegible] [illegible] أن يستعمل رجلاً [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فجاء الرجل فسأله عمر عن اسمه ؛ فقال : ظالم بن سارق !
قال عمر : تظلم أنت ويسرق أبوك ؟ .. اذهب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .
[illegible] الرجل .. [illegible] [illegible] !

[illegible] [illegible] بن عبد العزيز [illegible] رجلاً [illegible] [illegible] [illegible] : يا أبي [illegible] فقال له : [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] !!

وفد [illegible] على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] زيد الخيل [illegible] [illegible] [illegible] الرسول من الخيل واسماه : زيد الخير .. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الرجال .. [illegible] الخيل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحروف [illegible] [illegible] [illegible] الخيل والراء في الخير .. [illegible] [illegible] قول الرسول : الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة .

[illegible] إلى الموت

[illegible] [illegible] [illegible] لنا [illegible] ثلاثة من الشعراء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المعروف هو .. [illegible] [illegible] [illegible] على أنفسهم [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .. زهير [illegible] [illegible] [illegible] .. [illegible] ما حدث :

- لتعلمن يا قوم .. [illegible] [illegible] [illegible] ولم [illegible] له .
- بل .. [illegible]
- من هذا [illegible] ؟
- إنه ابن [illegible] .
- ألا [illegible] ؟
- لا .
- [illegible] [illegible] .

وأمسك زهير [illegible] وظل يشرب [illegible] [illegible] حتى [illegible] من [illegible] [illegible] من [illegible] .. ومات !

[illegible] [illegible] [illegible] .. أبو براء .. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .. ومع هذا [illegible] وظل يشرب حتى مات .

[illegible] [illegible] إنه عمرو بن كلثوم الذي [illegible] له في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على الإنس والجن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهو [illegible] لهذا [illegible] : إذا بلغ الرضيع لنا [illegible] .. [illegible] له [illegible] [illegible] .

عمرو هذا [illegible] في غارة على بني حنيفة [illegible] في الأسر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] واحد لولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بلا انقطاع .. حتى مات !



ناجي
بدون تعليق

حل مسابقة من. أين. ما عدد ٥٢

من: اوراس
اين: صقلية
ما: التليفزيون

١- منارة الاسكندرية - برج بابل - سفينة نوح - عصا موسى - ناقة صالح
٢- غير صحيحة
٣- الكمية
٤- ابو الريحان البيروني
٥- خمسين سنة
٦- الطويل
٧- مصر
٨- القديبات
٩- خراسان
١٠- الجرافيت - الماس - الفحم

نتيجة مسابقة شهر أبريل ١٩٨٠

● فازت بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر القارئة: بشرى احمد حمدي - مصر

● فازت بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر القارئة ايناس مهدى الامين - الخرطوم.

فازت بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر القارئة مجد محمد مروان - الكويت.

من. أين. ما

● من..؟
قائد عسكري عربي مصري لقن الجيش الاسرائيلي درسا لاينسى في معركة رمضان سنة ١٣٩٣ في عملية سميت «العشر دقائق» ابلد بقواته فيها لواء مدرعا اسرائيليا شرق الاسماعيلية. اسمه مكون من ثلاث كلمات في عشرة احرف..
١-٩-٦-٩ خطوط وهمية على الخرائط مزقت الوطن العربي الى اقطار شتى.
٢-٥-٤-٨ وحوش لا تخاف غيرها من الحيوانات..
٢-٣-١٠ فترة من الزمان

● اين..؟
معركة بالشام كادت أن تودي بالاستعمار الفرنسي في سوريا ولبنان لولا تخاذل بقية العرب عن النجدة السريعة.
اسمها من ستة احرف..
٦-٣-٢-١ هواء طيب لطف
١-٥-٤ آلة للتسبيح

● ما..؟
نهر عربي في الطريق العربي شبه قديمه المطريون النهر بطليوب إليه تشبه اللغة العربية صفة الماء الجيد الذي يطفيء سعير العطش عند الوصول الى شواطئه....
اسمه مكون ستة احرف..:
٦-١-٣ صفة تؤذن دائما بتدهور المجتمعات البشرية فيحق عليها غضب الله.
٥-٢-١-٣ عدد اكثر من المئات.

الفائزون باشتراك مجاني لمدة سنة:

● محمود عبد العظيم محمود - مصر
● سعيد بن احمد الشريف - راس الخيمة
● عبد الرحيم احمد محمود - الخرطوم
● فيروز عز الدين - الاردن
● نصرة النور على مشلي - بورسعيد
● ابراهيم صبحي الناطور - سوريا
● فتحي مراد رفعت - مصر
● شيرين خميس محمد - قطر
● عثمان محمود القوم - السودان
● عبد الله سعيد الجرو - اليمن
● سهيل السلامي - تونس
● الناصري عبد المجيد - المغرب

الجواب الصحيح

١- هل يتساوى في اللغة العربية معنى (الرؤية) و (الرؤيا) ؟؟
٢- كانت معركة رمضان سنة ١٣٩٣ موافقة ليوم السبت من ايام الاسبوع، ففي أي يوم من ايام الاسبوع كانت نكبة يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ؟؟
٣- صعلوك عربي قديم عمل دليلا لجيش ابرهة الحبشي الذى اقدم على هدم الكعبة المشرفة سنة ٥٧١م .. ذلك العميل اسمه:
ابو لحية - ابو رغال - ابو عزيزة - ابو خنزيرة
٤- أعاد عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بناء الكعبة المشرفة مدخلا فيها حجر اسماعيل طبقا للقواعد سيدنا ابراهيم عليهما السلام في سنة:
٥٥ - ٦٥ - ٧٠٥ هجرية.
٥- يتكون الجص (الجبس) من ملح يسميه الكيميائيون:
كربونات الكالسيوم - كبريتات الكالسيوم - سترات الكالسيوم.
٦- كان احد الخلفاء العباسيين يشارك علماء الفلك مهندسي المساحة في تجارب قياس طول الجزء من محيط الارض لدرجة عرض واحدة كان هو الخليفة..:
السفاح - المامون - المعتصم.
٧- ولد احد فحول الشعراء العرب ليلة مقتل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد المجوس ابي لؤلؤة سنة ٢٣ هجرية .. ذلك الشاعر هو:
عمر الخيام - عمر ابو ريشة - عمر بن ابي ربيعة.
٨- وإن تفق الانام وانت منهم .. اكمل البيت وانسبه لقائله..
٩- مجموع زوايا المثلث الواصلة اضلاعه بين بغداد والدوحة والقاهرة:
٢١٦ درجة - ٣٠١ درجة - ١٨٠ درجة.
١٠- مؤلف قصة (عرس الزين) هو الاديب العربي الكبير:
الطيب صالح - عبد السلام العجيلي - سهيل ادريس.



مشغول جدا

بعيدا عن احداث العالم راح يعالج مشاكله الخاصة بطريقته الخاصة .. حاول ان تجد تعليقا على الصورة

حاول أن تعرف

من هو الفنان ؟

عنوان هذه اللوحة « الاسد » رسمها فنان هولندي عاش في القرن السابع عشر وتميزت اعماله بالجمال والتعبير والاستخدام الرائع للظل والنور . هل يمكنك التعرف على اسم الفنان ؟



حل مسابقة حاول أن تعرف عدد ٥٢

● التعليق على الصورة الاولى :

اسماء الفائزين

- لقد علينا .. والرزق على الله !

عبد الله سالم سبيلي
المملكة العربية السعودية

- سانقش رغم القلق والاعياء . كالنسر فوق القمة الشماء .

فوزي الصوفي
تونس

الصورة الثانية

- اسم المدينة بلغراد يوغوسلافيا .

اسماء الفائزين

- محمد احمد جحيش — صنعاء
- كتمان عبد الكريم — المملكة المغربية

حل مسابقة كاريكاتير وتعليق — العدد ٥٢

- الزوج : ما رأيك يا عزيزتي ، انت المتاولي عشائي ، وانا ادفع نفقات علاجك بالمستشفى ! ..

حسن عبد الفتاح القاهرة

- الزوج : اسمع ! هذا الغذائي وقلت وعد الطعام قبل ان تقدمه لي زوجتي استطاعتي مكافأة النجاة !

خالد سيف سوريا

- الزوج : اصلي معروف ، اخرجي من هنا بسرعة ، لقد اغضبت زوجتي الله التي اكلت اللحمة !

خالد محمد علي عدن

- الزوج : لا داعي لأن تحضري الطعام من اهلي ، فسازوجه اليها بنفسي بعد قليل !

سناء عبد المنعم عواد دولة الامارات العربية

الورقة الأخيرة



وجه من بعيد



وجه صديقي الشاعر الغائب نجيب سرور، لماذا يحاصرني الليلة ؟ في آخر رسالة لي قبل أن يرحل عن دنيانا بشهرين وبضعة أيام .. كتب يستحثني على أن أتشبث بالكتابة في كل عقد من الدوحة، قال إنه مريض ومع ذلك لا يتوقف عن الكتابة، إن القلم هو ما نملكه، وعندما لا نملك ثمن الحصول على الورق، علينا أن نكتب فوق الجدران، وجذوع الأشجار، وفي الآن الأصدقاء.. نحن لن يبقى منا غير الكلمات !

لماذا يحاصرني الآن وجه صديقي الشاعر الغائب نجيب سرور ؟

التي لقاءاتي معه كان مساء العطر من ديسمبر ٧٤ [illegible] وبعض الأصدقاء جلوسا في كافيتريا فندق الشيراتون، حين لمحت نجيب وحيدا مع كوب من الشراب، وقد استغرقته الحالة التي يكون فيها الشاعر بحالة الكتابة، لم يكن أمامه ورق ولا قلم، لكن شفتيه كانتا تطرحان وتنطبقان كمن يقرأ من الذاكرة، أو أنه قد استحضر بالذاكرة شخصا آخر يتحدث إليه. وترددت للوهلة الأولى في أن أقتحم عليه تلك الحالة التي يكون الشاعر فيها غارقا في عالمه، لكني حين وجدته يلوح لي كمن يجلس إلى حبيب الأحمق، مشيرا بأصبعه إلى أصدقائه، انطلقت إليه، فما وجدني أمامه لم يبد عليه أنه فوجئ بي، وخرج صوته مثقلا بمصاحبة التي اعتاد أن يحدثني بها: لقد خدعوا كل أصدقائي - انظر! وراح يخلخل أسنانه مزمعا أن ينتزعها من أماكنها، فأوقفت يده، وعندما قلت له إنني مغادر مساء اليوم التالي إلى دولة قطر .. بدا عليه الحزن الشديد التي مسافر دون أن أودعه، ولولا الصدفة وحدها لما التقينا !

لماذا يحاصرني الليلة وجه صديقي الشاعر الغائب ؟!

أول لقاءاتي به، كانت ذات مساء من عام ٦٧ في رابطة الأدب الحديث بالقاهرة..

عبد القادر حميدة

هنا في الشباب، وهنا أكثر حظا من الحيوية، والإقبال على الحياة، وعفوية التعبير، والرغبة في إثبات الذات، عن طريق الشيوع والانتشار ابتداء من النشر في الصحف والإذاعات، وانتهاء بحفلات الشعر التي نهرع إليها مثلما يهرع المحتفون إلى حفلات الغناء !

ومن عجب أن وجوه تلك الأمسية القديمة تفرقت وتناثرت على سطح الكرة: محمد البنتوري في إيطاليا، وأحمد عبد المعطي حجازي في باريس وفاروق منيب في لندن، وتاج السر الحسن في الاتحاد السوفيتي، ومحيي الدين فارس في الخرطوم، وكامل أمين في السعودية، والتي سعيد في غرفة مكتبه في بيته بالقاهرة راهب في صومعة الشعر والحزن، وكمال عمار مسافر على الورق ٢٤ ساعة في اليوم، وأستاذنا محمد عبد اللطيف السحرتي راعي تلك الأمسيات، في محبس الشيخوخة، تقعد به عن لم ذلك الشمل المتفرق ؟ وها أنذا في أمسية قطرية الشوق والحنين، يحاصرني وجه نجيب سرور .. لماذا هو بالذات ؟!

في تلك الأمسية البعيدة .. لم يكتف نجيب بإلقاء قصيدة .. [illegible] وإنما راح له أن يخطب على قصاد الأمسية. كان نجيب [illegible] ومخرج مسرحي، وممثل، وقارئ والتي [illegible] تلك الممكنات لديه. مثلما كان شديد [illegible] بوجهة النظر، لا يخشى، ولا يلقى في [illegible] التي [illegible] فيها الصراحة، وكان [illegible] الأمسية كلها، ونختتم حتى الصباح [illegible] بعثته لدراسة المسرح في الاتحاد السوفيتي [illegible] ويومها حدثني نجيب، الأب، عن [illegible] أن تلحق به إلى القاهرة زوجته الروسية [illegible] وبعد يومين من تلك الزيارة قرأ لي مقالا [illegible] على زوار المكاتب الذين يقتحمون علينا وقت العمل لكي يزجوا فراغهم بالثرثرة، متجاهلين أن وقت العمل والموظف معا، ملك للدولة والإنتاج، ومع أني [illegible] والله [illegible] المقال الذي شملت دوما بزيارته وإزعاجه، فكانت هذا المقال.. وهكذا اتصل بي تليفونيا فور قراءته.. ولأول مرة يأتيني صوته مهيضا مقسما أنه لن يزورني بعد الآن في مكتبي، ومؤكدا في نفس الوقت أنني على حق !!

لماذا يحاصرني الآن وجه نجيب ؟

على مرمى البصر من نافذة مكتبي في البيت ساحة فضاء كبيرة مهملة تتجسد لي في المساء مسرحا إغريقيا قديما تجري عليه شخوصا من قراءاتي ومشاهداتي وتجاربي مع الناس ! في هذه الأمسية تتناقص على مسرحي حديقة السيدة، والمسكانا، وشقيقها، جاليف، في مسرحية «بستان الكرز» لتشيكوف، وهي نفس المسرحية التي ترجمها وأخرجها نجيب سرور على مسرح الجيب القاهري، الآن أذكر أن مسرح الجيب بمقعد الصغير، وقد كتبت ذلك في حينه ضمن ما كتبت عن المسرحية، ثم تتسع لمشهد البستان باعتباره البطل الرمزي في المسرحية، وبتلك قد سادوته وبرمزيته.. ولقد كتب لي نجيب وقتها موافقا ومؤكدا أنه شقي كثيرا من أجل أن يتاح لهذه المسرحية مسرح أكبر وأعمق دون جدوى !

هل يتجسد لي هذا الفضاء على مرمى البصر من شباكي وجه صديقي نجيب سرور بأحلامه في مسرح كبير يحرر أمكانياته من قيود السكون ؟! أم أنني أتذكره هذه الليلة تحت ضغط الإحساس بالذنب لأنه غادر هذه الدنيا ولم يتلق الرد على آخر رسالة إلي ؟ أم هو حنيني إلى وجوه أحببناها وفقدناها .. إلى الأبد ؟!